الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة و الأدب العربي

تخصص: دراسات مقارنة

2013
Fac.11/2337

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

القرية عند ابن هدوقة

"ريح الجنوب وبان الصبح" أنموذجين (موازنة)

من إعداد الطالبة:

- بن حابة سليمة

تحت إشراف الدكتور:

محمد زمري

السنة الجامعية: 2012/2011

TAS_8A3_06/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة و الأدب العربي

تخصص: دراسات مقارنة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

القرية عند ابن هدوقة

"ريح الجنوب وبان الصبح" أنموذجين (موازنة)

من إعداد الطالبة:

- بن حابة سليمة

تحت إشراف الدكتور:

محمد زمري

السنة الجامعية: 2012/2011

TAS_813_/01

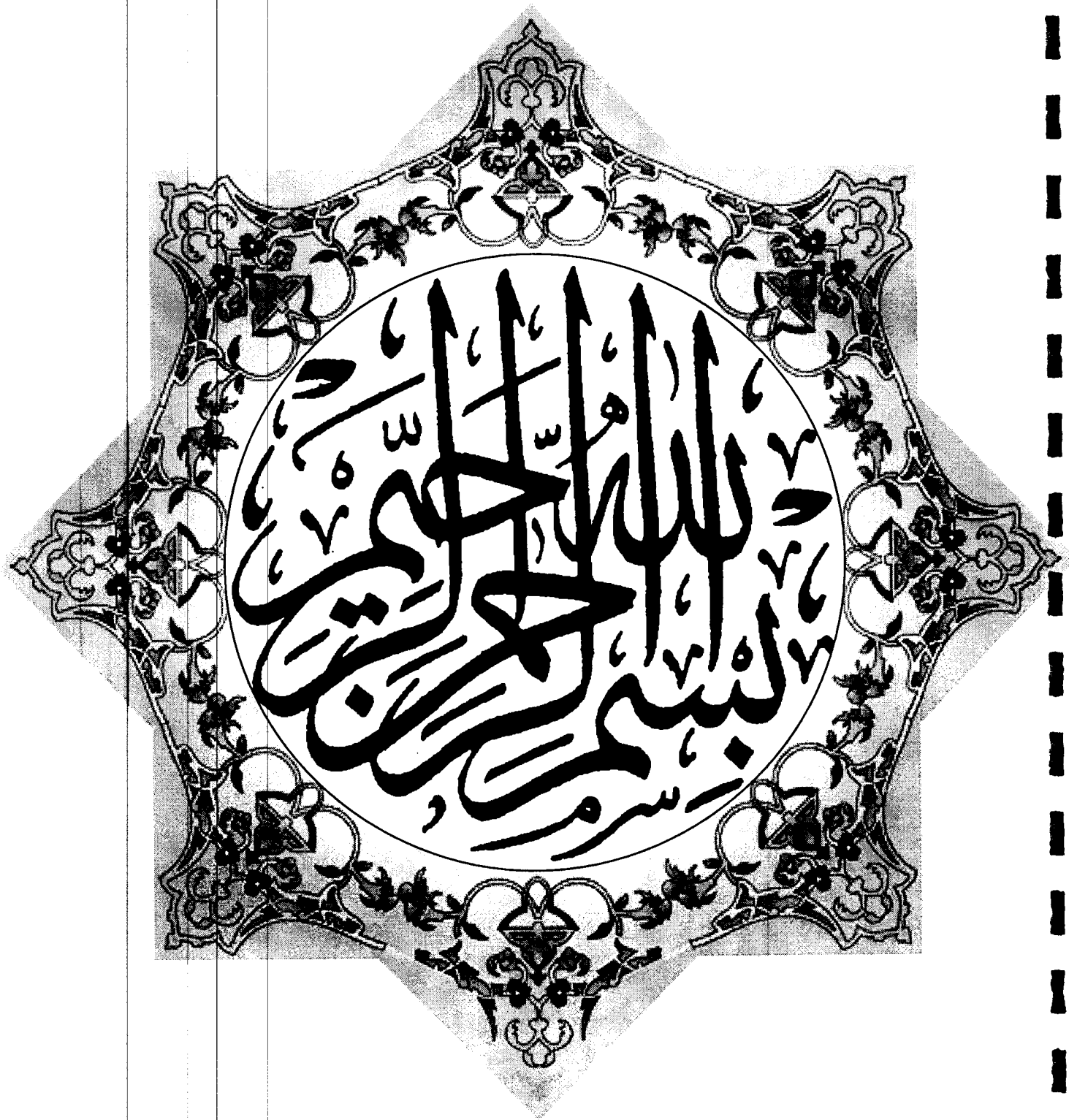

دعـــاء

يا ربي إن أعطيتني مالا فلا تسلبني سعادتي

وإن أعطيتني نجاحا فلا تسلبني عقلي

وإن أعطيتني نجاحا فلا تسلبني تواضعي

وإن أعطيتني تواضعا فلا تسلبني اعتزازي

وإن أعطيتني اعتزازا فلا تسلبني كرامتي

شكر وامتنان

الشّكر الأوّل والأخير للّه العزيز العليم،والحمد والتّسبيح له وحده

والذّي منحني القوّة والإرادة لانجاز هذا العمل

وأتقدّم بجزيل الشّكر وعظيم الامتنان والاحترام إلى أستاذي الفاضل "محمد زمري"

لقبوله الإشراف على هذه المذكّرة وإخراجها للوجود

أشكره على هامش الحريّة الذّي منحني إيّاها أثناء البحث

كما أتقدّم بالشّكر والعرفان إلى الأستاذ المناقش،الذّي تكرّم بقراءة المذكّرة ومناقشتها.

إهـــــداء

إلى والديّ الكريمين أطال الله بقاءهما.

إلى من اتّسع صدره واحتمل عزلتي مع البحث أسرتي...

إلى أستاذي الفاضل محمد زمري

إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

الرّواية هي صورة الحياة الواقعيّة، صيغت بطريقة فنيّة، إذ إنّها ترسم عبر صفحاتها حيـــاة كاملة بأدقّ جزئيّاتها، فتشعر القارئ بأنّه جزء من ذلك الواقع.

ولقد حظيّت الرّواية بعناية كبيرة من النقّاد والدّارسين، وانطلاقا من هذا أردنا البحث في هذا الفنّ الأدبي عن بيئة خاصّة كثيرا ما استهوت الشّعراء والأدباء، إنّها البيئة القرويّـــة بعاداتهـــا وتقاليدها، بطبيعتها وبساطتها...

ولقد اهتمّت الرّواية الجزائريّة بهذا العالم الإنساني الصّغير، وعكسته في العديـــد مـــن الأعمال، وهذا ما جعلنا نختار من هذا الفنّ القصصي: روايتي "ريح الجنوب"و"بـــان الـــصبح" فالأولى تعدّ أوّل رواية جزائريّة ناضجة فنيًّا لأب الرّواية الجزائريّة،أمّا الثّانيّة فهو تمازج بين المدينة والقرية،فهذان العملان :" لعبد الحميد بن هدّوقة "باعتباره ابن هذا العالم (الرّيف)، فهو خير من يعرفه ويرسمه في أعماله، وكون الرّوايتين تنتميان إلى الرّوايات الواقعيّة جاء بحثنـــا هـــذا موسمـــا بعنوان: "القرية عند بن هدّوقة،ريح الجنوب وبان الصبح أنموذجين".

ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى سببين اثنين: الأوّل ذاتي وهو محبّتنـــا لعـــالم الرّواية والبحث في موضوعاتها، أمّا الآخر فهو موضوعي متعلق بتطلّعاتنـــا إلى معرفـــة الرّوايـــة الجزائريّة معرفةً موضوعيّة ولا سيّما روايتي "ريح الجنوب"و"بان الصبح" وجديـــد دراســـتهما، ودلالاتهما ومدى مطابقتهما للواقع.

وتتمحور إشكاليّة البحث حول: الصّورة الّتي أراد الكاتب تقديمها لجمهور القرّاء عن القرية الجزائرية و عن فضائها الإنساني من خلال الرّوايتين المذكورتين.

وقد اهتدينا إلى المرجعيّة ذات العلاقة بالموضوع تمثّلت في: روايتي "ريح الجنوب" و"بان الصّبح" لعبد الحميد بن هدّوقة" والدّكتور محمد مصايف" في "الرّواية الجزائريّة الحديثة بين الواقعيّة والالتزام"،و"واسيني الأعرج" في "اتجاهات الرّواية العربيّة في الجزائـــر"و"دراســـات في الرّوايـــة الجزائريّة"، "لمصطفى فاسي".

واستفدنا من المنهج الوصفي التّحليلي المستند إلى المقاربة النّفسيّة والاجتماعيّة الموازنة في هذا التّحليل.

ومنتهجين في ذلك خطّة عمل مقسّمة إلى ثلاثة فصول إضافة إلى مدخل ومقدمة وخاتمة.

فالمدخل تناولنا فيه المسار الرّوائي لعبد الحميد بن هدّوقة .

أمّا الفصل الأول فقد عنوناه: عبد الحميد بن هدّوقة وروايتيه "ريح الجنـــوب"و"بـــان الصبح" والّذي يتضمّن ترجمة لسيرة الكاتب، ثم تقديم عام للرّوايتين وأخيرًا ملخّصا عنهما.

أمّا بالنّسبة للفصل الثّاني، فقد كان تطبيقي خصصناه لدراســـة التّجليّـــات النّفـــسيّة والفكريّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة للقرية في الرّواية. وأمّا الفصل الثّالث فقد خصّـــصناه لإجـــراء الموازنة بين الروايتين وذلك من حيث الجانب النّفسي والفكري والأخلاقي و حتّى مـــن حيـــث الجانب الاجتماعي .

وفي الأخير نتمنّى أن نكون قد وفّقنا في إعطاء الموضوع حقّه، فإن وفّقنا فهذا من فضل الله عزّ وجل ورضاه، وإن أخفقنا فمن أنفسنا، نسأل الله تعالى التّوفيق والسّداد، وأن يهدينا إلى ما يحبّه ويرضاه.

سليمـة بـن حابــة

تلمســان في: 2012/06/10

قدم ابن هدوقة اسما رفيعا في تطوير مختلف الأجناس الأدبيّة بالعربيّة تقريبًا، إلاّ أنّ رواياته هي التّي جلبت له الشّهرة، وبالدرجة الأولى "ريح الجنوب" التي نشرت في 1971، وتركت أثرًا أدبيًّا عميقًا فقبل هذا العمل الرّوائي كانت مؤلّفات الكتّاب باللّغة الفرنسيّة في مجال الرّواية مهيمنة بلا منازع .حقا لقد كانت تلك محاولات لكتابة الرّواية في الجزائر منذ مدّة طويلة، لكنّها لم تكلّل بالنّجاح.

فاعتبر النقّاد الآن "ريح الجنوب" أوّل رواية حقيقيّة جزائريّة باللّغة العربيّة، لكن هذا وحده لا يكفي لتفسير نجاح رواية ابن هدوقة، والمسألة هنا تكمن في جدّة هذا العمل الفني آنذاك، وفي استجابته لحاجات القارئ الجزائري إلى أدب يعكس في شكلٍ فنّي ساطع وفي متناول التغيّرات الجذريّة في حياة البلاد منذ انتزاع الاستقلال وعزيمة الشعب على بناء مجتمع جديد خال من الاستغلال، و لم تكن هذه التغيّرات هيّنة.

فبعد التغيّرات التّي حدثت في المدينة، أحدثت تغيّرات جذريّة في الرّيف، الّذي تقطنه الغالبيّة السّاحقة من سكّان الجزائر، ففي سنة1970 أعد ميثاق الثّورة الزّراعيّة، الّتي كانت تهدف إلى تحديد ملكيّة الأراضي الكبيرة، ومنحت الأرض للفلّاحين بدون ملكيّة ولقت شبكت متفرّغة من التّعاونيّات من أجل رفع إنتاجيّة العمل، وفي نوفمبر1971، تمّت

المصادقة على القانون الثّورة الجزائريّة، الّذي أعيد بموجبه توزيع الأراضي، وبينت قرى حديثة سمّيت "بالقرى الاشتراكيّة". [1]

في مثل هذه الظّروف ظهرت رواية "ريح الجنوب" الّتي تعكس الصّراع الطّبقي في الرّيف الجزائري غداة إجراء الإصلاح الزّراعي.

وتجري أحداث الرّواية في إحدى القرى في منتصف الستّينات على وجه التّقريب وأبطالها هم شيخ البلديّة "مالك"، الّذي شارك مشاركة نشيطة في حرب التّحرير الوطنيّة، ونقيضه مالك الأرض الغني والخائن "عابد بن القاضي"، الّذي يطمح بكلّ ما أوتي من قوّة للحفاظ على هيبته وثروته، لقد تطلّب الأمر أن يؤمّم "مالك" أراضي "عابد بن القاضي".

ومن أجل الإفلات من ذلك يحاول "ابن القاضي" أن يصاهره ويزوّجه ابنته الطّالبة "نفيسة" الّتي قدمت من العاصمة لقضاء عطلتها في القريّة، وتنطبع في ذاكرتها شخصيّات أخرى في الرّواية مثل الرّاعي الشّاب "رابح" البائس في حبّه "لنفيسة"، وصاحب مقهى القريّة "قويدر" والمعلّم "الطّاهر"، وقد نجح المؤلّف بصفة خاصّة، في رسم صورة شعبيّة عميقة للعجوز "رحمة "الماهرة في الخزف، وهي أيضًا ذاكرة حافظة للتّقاليد القرويّة، تحلم بصبغ قلّة تجسّد "جمال العالم كلّه" وصوّرالمؤلّف بصورة صادقة نفسيّة الفلّاحين البسطاء، الّذين لزموا موقفا حذِرًا من الثّورة الزّراعية المقبلة، "وقدّمت في الرّواية صوّر ساخرة

[1]- مجلة اللغة والأدب، إصدار معهد اللغة العربية، وآدابها جامعة الجزائر، العدد13، ديسمبر1998، ص237.

عميقة للأدعياء العلم، من شيوخ ودراويش، يعيشون متطفّلين على جهل الشّعب البسيط"[1].

بعد "ريح الجنوب" نشر ابن هدوقة رواية "نهاية الأمس" وتجري أحداث هذه الرّواية في قرية نائيّة غداة انتهاء حرب التّحرير الوطني (1954-1962)، وبطلها هو معلّم من المدينة يأتي إلى قرية خرّبتها الحرب، من أجل مساعدة الفلاّحين في بناء حياة جديدة، ويستقّر في هذه القرية خلافًا لأسلافه الّذين نزحوا نحو المدن خوفًا من المصاعب، ورغم أنّ هذه الرّواية كتبت بشكل جيّد وتطرح، مثل "ريح الجنوب"، مشاكل اجتماعيّة حادّة، إلاّ أنّها لم تلق نفس النّجاح الّذي عرفته الرّواية الأولى لابن هدوقة، ولعل ذلك يعود إلى صدور مؤلّفات غير قليلة مخصّصة لمشاكل القرية صادفت نشر هذه الرّواية، ومع ذلك فإنّ "نهاية الأمس" صدرت في طبعتين وترجمت إلى الفرنسيّة والهولنديّة. [2]

بعد صدور رواية "نهاية الأمس" اشتهر ابن هدّوقة ككاتب "قروي" غير أنّ روايته "بان الصّبح" المنشورة سنة 1980، أدهشت -حسب أحد النقّاد الجزائريّين- القرّاء بتناولها لألف مشكلة ومشكلة لعاصمة البلاد، تجري أحداث هذه القصّة في العاصمة، في ربيع1976 أثناء النّقاشات السّاخنة حول مشروع الميثاق الوطني، الوثيقة الهامّة للثّورة الجزائريّة الّتي حدّدت طريق التطّور للرّأسماليّة للبلاد، وأرست أساس دستور الجمهوريّة الجزائريّة.

[1]- مجلة اللغة والأدب، ص240.

[2]- المرجع نفسه، ص241.

ربّ هذه الأسرة "الشّيخ علاّوة" موظّف سام في إحدى الوزارات، متعصّب ديني وظلامي، يرفض الميثاق الوطني، لأنّه يتماشى مع تعاليم القرآن والحديث الّتي يعتبرها صالحة لكلّ زمان ومكان. [1]

ويعيش مع "الشّيخ علاّوة" أولاده الرّاشدين "عمر وهو أكبرهم" متزوّج، ومدير مؤسّسة كبرى تابعة للدّولة، حديث النّعمة ومستهتر، جمع أموالاً طائلة عن طريق المُضاربة، ويدوس بوقاحة حقوق العمّال، وهو محبوب "الشّيخ علاّوة" ويشاطره آراءه، والابن "مراد" وهو طيب جرّاح درس في فرنسا، يقف بآرائه موقفا وسطا بين أبيه وأخيه الأكبر "عمر" من جهة، وبين بقيّة الأسرة من جهةٍ أخرى، أمّا الابن الأصغر "رضا" فهو طالب متحمّس لأفكار الثّورة الاجتماعيّة، وأفكاره متعارضة تمامًا مع أفكار أبيه ، وتشاطره قناعته "دليلة" الطّالبة في الحقوق، وتعيش في نفس البيت ابنة أخيه "نعيمة". ومن بين الشّخصيّات الأخرى في الرّواية نذكر صديقة "دليلة"، "نصيرة" وهي نموذج جديد للفتاة الجزائريّة المتحرّرة، وإلى جانب الأبطال الرّئيسيّين نجد في الرّواية شخصيات ثانويّة كثيرة تمثّل مختلف شرائح المجتمع الجزائري، ابتداء بأرسطوقراطيّة العاصمة وانتهاء بالعمّال البسطاء. لقد كتبت هذه الرّواية بأسلوب وصفي تقليدي، وتجري أحداثها حسب التّسلسل الكرونولوجي، وتنمو الشّحنة الدّراميّة فيها تدريجيًّا، ويتابع القارئ باهتمام كبير

[1]- ينظر: مجلة اللغة والأدب، ص242.

كيف تصبّ التّناقضات بين أفراد العائلة، والّتي كانت مخفية إلى حين، في تمرد معلن للأبناء الصّغار على الأب المستبدّ الغبي الّذي يدعّمه ابنه الأكبر "عمر".

وحين يصوّر المؤلّف حياة أسرة "علّاوة" يلجّ بالقارئ إلى صميم حياة المجتمع الجزائري المعاصر، الّذي يمرّ بمرحلة تطورّ انتقاليّة ومضطربة حسب آراء الجزائريّين أنفسهم، ويبرز الكفاح الاجتماعي الحاد، الّذي قسّم هذا المجتمع إلى قسميْن متعارضيْن، أنصار القديم المتمسكيّن بالتّعاليم الباليّة وأتباع الجديد المكافحين من أجل جزائر علمانيّة ديمقراطيّة حقّة.

الرواية لا تخلوا من نقائص، فهي تعاني في بعض أجزائها من إفراطٍ في الوصف، ونصادف فيها بعض الإطالة،كما غلبت على بعض المشاهد نزعة طبيعيّة مطنبة. ومع ذلك فإن "بان الصبح" تترك انطباعًا طيّبًا، وقد نجح "ابن هدوقة" في خلق عمل أدبي وطني عميق في واقعيّته، يعكس الحياة الحديثة لعاصمة الجزائر.

ولقيت الرّواية رواجًا كبيرًا في أوساط القرّاء، كما لاحظ النقّاد فيها بحث المؤلّف عن أسلوب جديد، رغم أنّه على العموم ظلّ وفيًّا للطّريقة التّقليديّة في الكتابة [1].

[1]- ينظر: مجلة اللغة والأدب، ص244.

وتختلف هذه الرّواية الجديدة تمامًا عن كلّ ما وضعه "عبد الحميد ابن هدوقة" من قبل، سواء من حيث الشّكل، أو من حيث المضمون بدرجة أكبر. وتجري أحداث الرّواية في قرية نائيّة، ضائعة في الجبال والأزمنة.

والبطلة الرّئيسة للرّواية هي الفتاة الخارقة للعادة "الجازيّة" بنت المجاهد بطل جرب التّحرير الّذي "قتل من ألف بندقيّة ودفن في مناقير الطّيور".

ويبدو أنّ اسم "الجازية" مستوحى من الأساطير الملحميّة عن جازيّة قبيلة بني هلال، وهي حسناء فاتنة، دفن شعرها الرّائع كما تقول الخرافة في أماكن خفيّة في الجبال، وترتبط كطموحات وآمال كلّ أبطال الرّواية تقريبًا، بطريقة أو بأخرى، بالجازيّة الحسناء، فكلّهم يخطبون ودها وعطفها، ومن بين من كان يسعى للفوز بالجازيّة شابّ متعلّم ابن فلّاح محلّي اسمه "الطيّب" و"العيد" العائد من الغربة إلى قريته الأصليّة، وشيخ القرية ذو الماضي الغامض الّذي كان يحلم بتزويج "نجله" الّذي يدرس في أمريكا بالجازيّة، والطالب الأحمر الفاتن الشّجاع الحالم، الّذي قدم إلى القرية متطوّعا لمساعدة الفلاّحين، ورعاة القرية البسطاء، لكن كلّهم يخفقون، فالطّالب الأحمر يضيع في الجبال بطريقة غامضة ومحيّرة، يقع شيخ القرية في الهاويّة، ويدخل "الطيّب" السّجن بتهمة ملفّقة، وبعد هذه الهزّات تعود الحياة في القرية إلى مجراها الطّبيعي، وتجري كما جرت منذ قرون تحيط بها هالة من قداسة التّقاليد والعادات القديمة ،لكنّنا نشعر فيها بوضوح بحتميّة تحوّلات قادمة.

ومحيّرة، يقع شيخ القرية في الهاويّة، ويدخل "الطيّب" السّجن بتهمة ملفّقة، وبعد هذه الهزّات تعود الحياة في القرية إلى مجراها الطّبيعي، وتجري كما جرت منذ قرون تحيط بها هالة من قداسة التّقاليد والعادات القديمة ،لكنّنا نشعر فيها بوضوح بحتميّة تحوّلات قادمة.

ويعتبر النقّاد أنّ الجازيّة ترمز في الرّواية إلى الوطن، إلى الجزائر، ويطرحون السّؤال على أنفسهم: ألا يمثّل هذا العمل الفنّي باستعارته ومغزاه الفكري عن كون الجزائريّين يحبّون بلادهم بطرق مختلفة بصرف النظّر عن أهداف كلّ واحد منهم؟ وهناك فكرة مهمّة في الرّواية وهي أنّه لا ينبغي استئصال الشّعب عن جذوره وقيمّه المتوارثة عبر الأجيال، كما لا يجب أن نفرض عليه خيارًا ما بطريقة اصطناعيّة، ومن لا يأخذ هذا بعين الاعتبار يفشل مهما كان نبل الأهداف التّي يتوخّاها. [1]

إن الجازيّة والدّراويش عمل فنّي شبه حقيقي بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وهو يتضمّن مشاهد ساطعة ورائعة تنقل روح القرية الجزائريّة نفسها بتقاليدها وطقوسها، ما أروع الزّردة ورقصات الدّراويش ولحسمهم المناجل المتوهجة، وتحتوي الرّواية أيضا الكثير من الأمثال والحكم المأثورة والنّكت المعبّرة الهادفة التّي يعقبها أحيانًا هجاء قادح، وتبرز الطّبيعة الجبلّية الموحشة، كخلفيّة للأحداث العاصفة، وكأنّ شخصيّة قائمة بذاتها في العمل الفنّي. [2]

[1]- ينظر: مجلة اللغة والأدب، ص245.

[2]- المرجع نفسه، ص245.

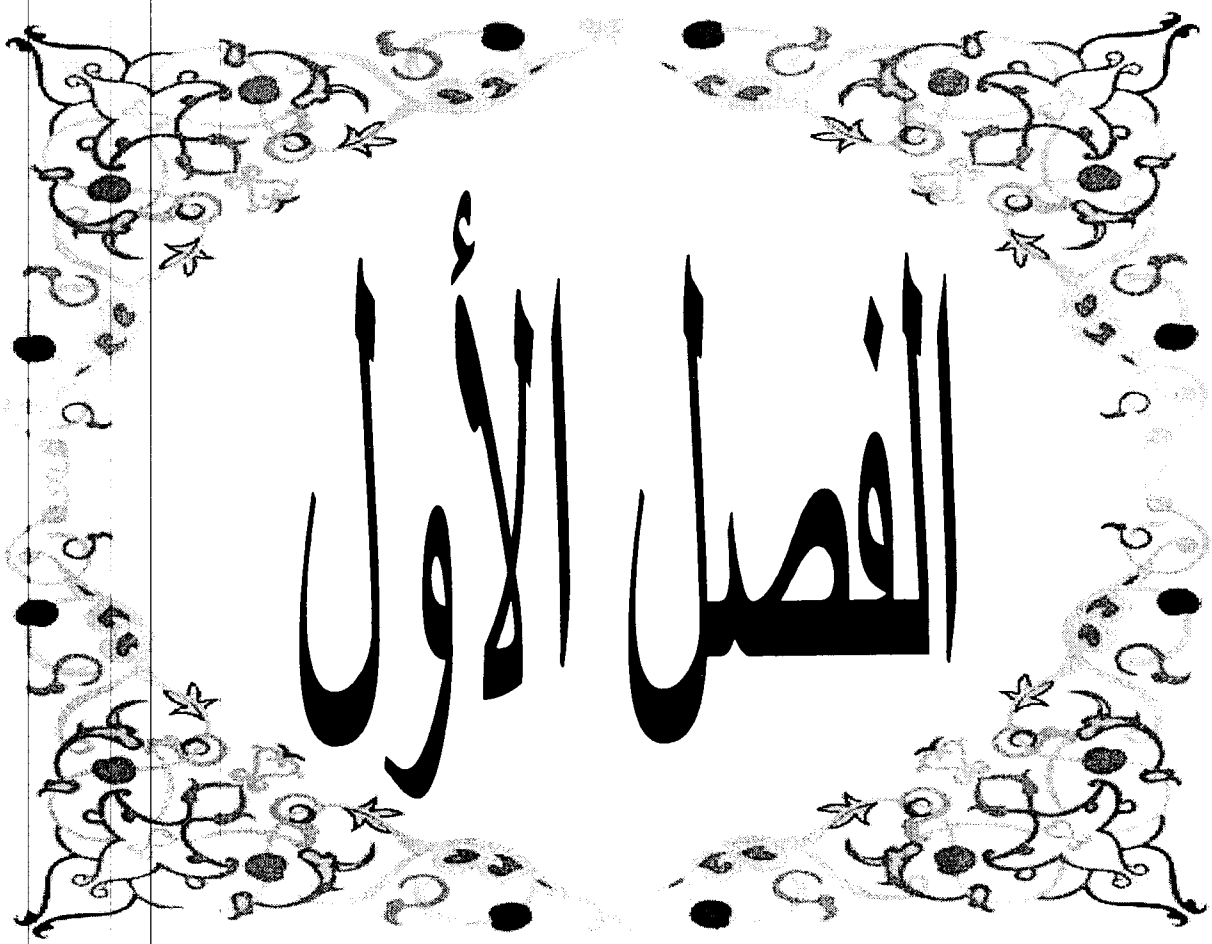
الفصل الأول

الفصل الأوّل:عبد الحميد بن هدّوقة وروايتيه " ريح الجنوب" و "بان الصّبح"

المبحث الأوّل:ترجمة لسيرة عبد الحميد بن هدّوقة

المبحث الثّاني:رواية "ريح الجنوب"

1- تقديم عام للرّواية

أ ـ التّعريف بالرّواية

ب ـ الشّخصيّات

2 ـ ملخّص الرّواية

المبحث الثّالث:رواية "بان الصّبح"

1- تقديم عام للرّواية

أ ـ التّعريف بالرّواية

ب ـ الشّخصيّات

2- ملخّص الرّواية

المبحث الأوّل: ترجمة سيرة عبد الحميد بن هدّوقة:

مرّت أربعة عشر سنة على وفاة الكاتب الجزائري"عبد الحميد بن هدّوقة،هذا الكاتب الإشكالي الذي أثار تساؤلات مختلفة حول: الهويّة الجزائريّة، المرأة والأرض، المثقّف الجزائري، السّلطة، الطّبقة المسحوقة (طبقة الأُجراء). فقد عكس هموم الآخرين، وهو المحظوظ الّذي استطاع أن يكتب بلغة الأمّ – اللّغة العربيّة الفُصحى – فقد كان ذلك الإنسان المتحرّر من جميع القيود، المُلتزم بما يُمليه عليه ضميره، فبالرّغم من ثقافته والمناصب الّتي تبوّأها بقِيَ مواطِنًا بسيطًا.

وُلدَ "عبد الحميد بن هّدوقة" في قرية المنصورة بولاية سطيف، في الشّرق الجزائري سنة 1925، وتعلّم اللّغة العربيّة على يدِ والده، أمّا الفرنسيّة فقد أخذ منها حظًا في التّعليم الابتدائي في قريته[1].

بمعنى أنّه أخذ مبادئ اللّغة العربيّة وأُسُسِها في قريته الجبليّة، وبعدها "واصل دراسته بالمعهد الكتّاني بقسنطينة"[2]. وفي عام 1949م سافر إلى مرسيليا لإكمال دراسته العليا[3]. وبذلك حصل على شهادة الإخراج الإذاعي بالفرنسيّة، وشهادة تقنيّة في "تحويل المواد البلاستيكيّة"[4].

رجع إلى المدرسة الكتّانيّة ودرّس بها لمدّة سنة، ثمّ شدّ الرّحال بعد ذلك إلى تونس، لضغط سلطة الاحتلال الفرنسي عليه وذلك بسبب نشاطه المُناوِئ حيث مكث فيها أربع سنوات، ونال خلالها الشّهادة العالميّة في الأدب من جامعة الزّيتونة، وشهادة التّمثيل العربي من

---

[1] يُنظر جريدة الشعب، العدد 115، 5 مارس 2008، ص3، واعتمدت في نشر فصول من هذه الرّواية، النسخة الصّادرة عن المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر بطبعتها الخامسة، 1989، في إطار برنامج كتابي في جريدة صادرة عن منظّمة اليونسكو.

[2] محمّد مصايف،الرّواية الجزائريّة الحديثة بين الواقعيّة والالتزام، الدّار العربيّة للكتاب، الشّركة الوطنيّة للنّشر و التّوزيع، د، ط، الجزائر 1983، ص179.

[3] ينظر جريدة الشعب، ص 3

[4] سمير روحي الفيصل،معجم الرّوائيّين العرب،جرّوس برس،طرابلس،لبنان،ط1،1995م،1415ه،ص250.

معهد فنون الدّراما في تونس[1]، حيث أنّه كان أوّل من عُني بإحداث برامج للأطفال والكتابة لهم"[2].

بدأ الكتابة الأدبيّة مبكّرا أي في: الخمسينيّات وصُدِر له أوّل عمل سنة 1952م، وهو نصّ شعري بعنوان: "حامل الأزهار"[3].

ثمّ دخل المعترك السّياسي و أصبح عضوا في حزب حركة انتصار الحرّيات الدّيمقراطيّة، ثمّ أمينًا عامًّا بها، ورئيس جمعيّة الطّلبة الجزائريّين في تونس،قُبض عليه هناك في 18 ديسمبر 1952م بعد قِيّامه بمهمّة صحفيّة وذلك بتغطيّة لتّظاهرات نسائيّة في إحدى أسوار تونس، وسُجن في"زغوان"- منطقة بتونس ـــ وبعد ذلك فرّ من السّجن مع مجموعة من رفاقه[4].

وفي سنة 1954 (اندلاع الثّورة التّحريريّة الجزائريّة)، عاد إلى الجزائر، ولّما حدث الانقسام بين حركة انتصار الحرّيات الدّيمقراطية وجبهة التّحرير الوطني، استقال من جميع مناصبه، وكرّس جهده لتدريس الأدب في المدرسة الكتّانيّة، ونتيجة ملاحقاته المستمرّة من طرف الشّرطة،اتّخذ بطاقة تعريف جديدة باسم "عبد الحفيظ مصطفى"، وجواز سفر، و غادر ثانيّة إلى فرنسا عام 1955م، حيث أمضى أكثر من عامين،وجرّب مختلف ضروب الحرمان وغيّرعمله أكثر من مرّة،ونتيجة للجهد والتّعب الكثير الّذي عاناه ، مرِض مرضًا أقعده الفراش في عيّادة،فنصحه الأطبّاء بتغيير عمله، وربّما كان هذا هو السّبب الّذي يهتمّ بالكتابة والإبداع أكثر من أيّ شيءٍ آخر:كالتّمثيل في السّينما أو المسرح[5].

كان"عبد الحميد بن هدّوقة "على اتّصال دائم بالثّورة الجزائريّة و قادتها الميدانيّين وكتب عنهم في الصّحف و المجلاّت الّتي كانت تصدر آنذاك في تونس، كما عمل فيما بعد

---

[1] ينظر جريدة الشّعب، ص3.

[2] محمد صالح الجابري، الأديب الجزائري المعاصر، الجائزة المغاربيّة للثّقافة، دار الجيل، ط1، 2005م، 1426هـ، ص18.

[3] يُنظر جريدة الشّعب، ص3.

[4] ينظر، http://www.Alnor almoben.com/ihp/index PHP ?...pid

[5] ينظر http://www.Alnor almoben.com/ihp/index PHP ?...pid

بالإذاعة التّونسيّة، وعمل كذلك في فرنسا كمخرج متربّص في الإذاعة الفرنسيّة، وكانت له هناك برامج مختلفة[1].

وبعد الاستقلال "عمل مديرا للبرامج في هيئة الإذاعة و التّلفزيون الجزائريّة، ثمّ مستشارًا ثقافيّا فيها، ومديرًا مسؤولًا عن المؤسّسة الوطنيّة للكتاب,ورئيسا للمجلس الوطني الجزائري،و أمينًا عامًّا مساعدا لإتّحاد الكتّاب"[2]، ثم "مدير للإذاعتين العربيَّة والقبائليّة"[3].

يجمع أغلب النقّاد على أنّ "عبد الحميد بن هدّوقة" كان من بين المؤسّسين للرّواية العربيّة في الجزائر، وبهذا احتلّ مكانة مهمّة بينهم، وقد أُلتُمِسَ من كتاباته الصّدق الّذي عُدَّ بالنّسبة إليه هدفه الأسمى،فالنّاقد الفرنسي "جان بول إيفري" يقول عنه:"إنّه جزائري حتّى النّخاع، لأنّه عكس هموم الطّبقات و الشّرائح الاجتماعيّة طموحاتها عبْر أعماله الأدبيّة شِعْرًا وروايةً، ووضع المرأة في المقام الأوّل، ذلك أنّها أهمّ مدرسة"[4].

"توفي عبد الحميد بن هدّوقة سنة 1996"[5].

إنّ الإرث الإبداعي لابن هدّوقة ضخم ومتنوّع للغاية حيث أنّه كان مليء بالآمال والخيبات، وهي تعكس مسيرته لأنّه عايش الحلم و التّغيير، ورأى كلّ شيء يتلاشى روّيداً روّيدا ، وعبّر عن ذلك في أعماله المتنوّعة حتّى قال عنها ــ الأعمال الأدبية ــ "إنّها اجتماعيّة وواقعيّة صافية، وفيها شيء من الرّومنسية و الوجوديّة، وإنّها لا تخلو من الشّاعرية و الرّمزية"[6].

صدرت له أعمالا أدبيّة كثيرة ، ومنها تلك الأعمال الّتي وردت في معجم الرّوائيين العرب للدكتور" سمير روحي الفيصل"[7]، نبرزها في الجدول التالي:

---

[1] ينظر جريدة الشّعب، ص3

[2] سمير روحي الفيصل، معجم الروائيّين العرب، ص 250.

[3] جريدة الشعب، ص 3.

[4] http:// WWW . alnor almoben. Com/ibp/ index . PHP ?... pid

[5] جريدة الشعب، ص 3.

[6] http:// WWW . alnor almoben. Com/ibp/ index . PHP ?... pid

[7] ينظر: معجم الروائيّين العرب، د:سمير روحي الفيصل، ص ص 250، 251.

* دراسة مترجمة عن عمل قام به المحامي فيرجيس، وسلمت هذه الدّراسة إلى منظّمة التّحرير.

العمل الأدبي	نوعه	السنة	دار النشر	
1-الجزائر بين الأمس واليوم	دراسة	1959م	/	
2- ظلال جزائريّة	مجموعة قصص	1960م	دار الحياة، بيروت	
3- الأشعّة السّبعة	مجموعة قصص	1962م	الشّركة القوميّة للنّشر والتّوزيع.	
4- الأرواح الشّاغرة	ديوان شعري	1968م	الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.	
5- ريح الجنوب	رواية	1971م	الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.	
6-الكاتب و قصص أخرى	مجموعة قصص	1972م	الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.	
7- نهاية الأمس	رواية	1975م	الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.	
8-دفاع عن الفدائيين	دراسة مترجمة*	1975م	بيروت	
9- بان الصّبح	رواية	1980م	الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.	
10- قصص من الأدب العالمي	مجموعة قصص مترجمة	1983م	الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.	
11-الجازية والدراويش	مجموعة قصص مترجمة	1983م	الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.	
12-قصة إيركوستك	مسرحية سوفياتيّة مترجمة	1985م	الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.	
13-النّسر و العقاب	قصة أطفال بالألوان	1985م	الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.	
14-غدا يوم جديد	رواية	1992م	الجزائر	
15- السّراب	/	1992م	الجمعيّة الجزائريّة دار النّشر للطّفولة، الجزائر.	
16 أمثال جزائريّة	/	1993م	الجمعيّة الجزائريّة دار النّشر للطّفولة، الجزائر*.	

* يخاطب فيها الجيل الجديد الّذي يبحث عن تاريخه و هويّته الثقافيّة الشّعبية الحيّة و الفنّية في تراثه، فهذا عبارة عن تحاور ثقافي بين مختلف الجهات الجزائريّة، وبين الأدب الشّعبي و الأدب الجزائري.

بالإضّافة إلى ما ذكر آنفًا ، كانت "لعبد الحميد بن هدّوقة" مشاركات متعدّدة تمحورت في النّدوات الثّقافية و الفكريّة، هدفه منها: التّعريف بالأدب الجزائري بكلّ أشكاله بدليل أنّه: "كتب جميع أعماله بالعربيّة دون أن يعني ذلك موقفا إزاء الكتابة باللّغات الأخرى"[1].

وقد ترجمت أعماله إلى لغات عدّة منها: الفرنسيّة، الألمانيّة، الهولنديّة، الإسبانيّة، البولونيّة، السلوفاكيّة، الرّوسيّة، الصّينيّة، الصّربيّة، التشيكيّة...الخ.

وترك الكاتب عدّة تمثيليّات و مسرحيّات، إضافة إلى مجموعة من الدراسات الثقافية، ومجموعة من القصص و القصائد الحرّة الجديدة الّتي لم تنشر بعد.

هكذا كتب "عبد الحميد بن هدّوقة" في: الشّعر والقصّة والرّواية والدّراسات الأدبيّة، وترجم أعمالا مختلفة إلى اللّغة العربيّة، وكلّ هذا الجهد مساهمات ذات دلالات كبرى تعبّر عن اهتمامات الكاتب المتنوّعة، ويجمع النّقاد على أنّ الرّواية "ريح الجنوب" كانت بمثابة الميلاد الحقيقي لفنّ الرّواية في الأدب الجزائري المكتوب باللّغة العربيّة.

وبهذا يظلّ "ابن هدّوقة" وَجْهًا من وُجوه الرّواية الجزائريّة المتميّزة و الّذي دفع إلى الوجود كفنّ له مقوّماته و فنونه، وعالج من خلاله مأساة و آمال شعبه.

[1] جريدة الشّعب، ص3.

المبحث الثّاني:رواية ريح الجنوب

1 ــ تقديم عام للرّواية:

أ- التّعريف برواية "ريح الجنوب":

تعدّ رواية "ريح الجنوب" أوّل رواية جزائريّة ناضجة و متكاملة، كتبت باللّغة العربيّة الفُصحى بعد الاستقلال، حيث أنّها استوفت عناصر الرّواية الفنّية، وذلك في "05 نوفمبر 1970م"[1] ثمّ نشرت في 1971.

"جرت أحداثها في الرّيف بمنطقة تقترب من الهضاب العليا بين جنوب الوطن وشماله"[2]، فاستطاعت هذه الرّواية ذات الحُبكة المُتقنة أن تطرح بكلّ واقعيّة وموضوعيّة، قضايا حسّاسة عايشها المجتمع الجزائري غُداة الاستقلال "فهي تصوّر مرحلة المَخاض التي سبقت إصدار قانون الثّورة الزّراعيّة"[3]، محاولة في ذلك تجسيد أوضاع الفلاّحين البؤساء وصِغار المُلاّك في ظِلّ الهيمنة الإقطاعيّة، بالإضافة إلى قضيّة المرأة المُضطهدَة الّتي يُناقش مصيرها في غيابها.

كلّ ذلك كان بسبب هيمنة العادات و التّقاليد الباليّة الرّاسخة في المجتمع الأبيسي آنذاك.

فهذه الرّواية تُعدّ بحقّ إرهاصًا للرّواية الواقعيّة الاشتراكيّة في الجزائر.

وفي هذه الصّدد يقول: "عبد الحميد مزيان": "أنّها حدثٌ ثقافي يستجيب لمتطلّبات واحتياجات الأجيال الصّاعدة لأدب واقعي و ملتزم"[4].

---

[1] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا و أنواعا و قضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعيّة، السّاحة المركزيّة، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1995،05م، ص198.

[2] المرجع نفسه، ص198.

[3] الظّاهر روابنية، اتّجاهات الرّواية العربيّة في بلدان المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب) 1945، 1975، معهد اللّغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، د.ط، 1985، 1986 مخطوط ص398.

[4] واسيني الأعرج، اتّجاهات الرّواية العربيّة في الجزائر، بحث في الأصول التّاريخيّة و الجماليّة للرّواية الجزائريّة، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، د.ط، 1986، ص384.

ف"عبد الحميد هدّوقة" أخرج الرّواية العربيّة من قالب التّابوت اللّغوي الّذي ظلّت حبيسة له مدّة طويلة، إلى قالب جديد يتميّز بالواقعيّة المتّزنة الهادئة حيث أنّها من أصدق الأعمال الإبداعيّة التي تعكس الصّراع الطّبقي في الرّيف الجزائري غُداة إجراء الإصلاح الزّراعي"لأنّ الرّيف هو الأقرب إلى الطّبيعة والفطرة، ومن ثَمّ تكون الطّبائع الإنسانيّة فيه بعيدة عن زيْف المدينة والمدنيّة"[1]، فبالرّغم من أنّ المؤلِف يعيش في المدينة إلاّ أنّه يبقى يحنّ إلى القرية، ويظهر ذلك من خلال تعاطفه مع أهلها في أفراحهم و أتراحهم، فهو مشدود إلى صفاء النّاس في القرية و إلى بساطتهم، وإن كان يرفض بعض التّصورات والعادات المُسيطِرة على هذه القرية، فهو إذًا ليس ساخطا على القرية وعلى الرّيف، ولكنّه يطمح إلى التّغيير فيهما.

ومن هنا كانت هذه الرّواية "تعنى عناية خاصّة بدراسة العلائق الإنسانيّة، سلبيّة كانت أم إيجابيّة، تأخذ مستويات مختلفة من حيث القوّة والضّعف"[2].

حيث أنّ الصّراع فيها كان نتيجة تعارض ثلاث اتجاهات متكافئة: عابدا ابن القاضي، مالك ونفيسة.

كما أنّ هذه الرّواية كبيرة في الحجم، فلا تقلّ عن 266 صفحة، موضوعها يدور حول الرّيف الجزائري "بما يطبعه من قساوة الطّبيعة و يتطلّبه من صبر ووفاء و تضحيّة، ويشكّله من نفسيّة ساذجة متخلّفة في أغلب الأحيان"[3]، إذاً الغاية الأولى و الأخيرة للرّواية هي وصف لذلك المجتمع الرّيفي بكلّ ما يحيط به من مشاكل، وما يعطّل في مسيرته من نزعات إقطاعيّة و برجوازيّة.

فهذا العمل الأدبي امتاز بأسلوب سردي مباشر، جاءت أحداثه متسلسلة غلب عليها عنصر التّشويق، حيث استخدم فيه الرّمز الّذي يضفي على الرّواية نوعا من العمق[4]. بمعنى أنّ

---

[1] محمد حسن عبد الله : الرّيف في الرّواية العربيّة ، سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة، يصدر عن المجلس الوطني للثّقافة و الفنون و الآداب، صدرت السّلسلة في شعبان 1998، العدد 143، نوفمبر 1989، ص93.

[2] واسيني الأعرج: النّزوع الواقعي الإنتقادي في الرّواية الجزائريّة، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب، د.ط، 1985، ص59..

[3] محمد مصايف: الرّواية العربيّة الجزائريّة بين الواقعيّة و الالتزام، الدّار العربيّة للكتاب، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، د.ط 1983، ص

[4] يُنظر: الرّواية العربيّة بين الواقعيّة و الإلتزام، د.محمد مصايف،ص206.

الرّواية تضمّ شخصيّات مختلفة، وهذه الشّخصيات لها دلالات معيّنة مثل:"نفيسة" ترمز لجزائر ما بعد الاستقلال وقبل الثّورة الزّراعيّة، و"العجوز رحمة" الّتي ترمز للأصـــالة والتّـــراث وإلى الجزائر القديمة، وكذلك "الأمّ البكماء" التي ترمز للجزائر التي ليس لها صـــوت... الخ. أمّـــا الحُبْكَة فكانت مُتقنة ذات إنجاز فنّي ناضج.

أمّا لغة الرّواية التي اعتمدها"ابن هدّوقة" فهي بسيطة، سهلة، دقيقة المعـــاني، فـــصيحة، بعيدة عن العامّية، تخلو من الغرابة و الصّعوبة، كما أنّه استعمل "ألفاظًا خشِنة دالّة على قسوة الطّبيعة وعنفها"[1].

وقد تُرجمت"ريح الجنوب" إلى لغات مختلفة "كالفرنسيّة، الألمانيّة، الهولنديّة، الإســـبانيّة، البولونيّة، السلوفاكيّة، الرّوسية، الصّينية، الصّربية، والتشيكيّة"[2].

وأخيرا جعل"ابن هدّوقة" لرواية "ريح الجنوب" نهاية مأساويّة ومفتوحة. واسم هذه الرّواية مؤلّف من جزءين هما:

الرّيح: تمثّل الغبار الذي يسّد العينين حيث يمنع الرؤية.

والجنوب: هو مكان يقابله الشّمال أي تلك الرّيح الّتي تأتي من الجنوب إلى الشّمال لأنّ الرّياح الآتيّة من الجنوب تمثّل العتمة والظُّلمَة.

أمّا رمزيّة هذا الاِسم يُقصد به: ريح العادات والتّقاليد الموغِلة في القِدم والخُرافات الّتي تأتي من الرّيف.

ب ــ الشّخصيّـــات:

تُعتبر الشّخصيّة من العناصر الأساسيّة في بناء الرّواية، ولا يمكن للكاتب الاِستغناء عنها لأنه ليس بإمكانه أن يصوِّر حياة من دون أشخاص، وذلك بسبب الدّلالة الفنيّة الّتي يوفّرهـــا هذا العنصر الهام في الرّواية لِما له من علاقة وطيدة بالمؤثّرات الاِجتماعيّة خاصّة.

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: كتابه الملتقى الرابع، بحوث و أعمال، وزارة الاتصال و الثقافة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، دار هومة، ط1، 2001، ص157.

[2] http://www.alnor almoben.com/ibp/index.php?...pid

ولقد نوقشت الشّخصية في الرّواية كثيرا،وقيل الكثير عن أبنيّتها وأشكالها وظهرت طرائق عدّة لتحليلها "فرولان بارث": "يركّز على وظيفة الشّخصية والأدوار التي تقوم بها، مستبعدا النّظر إليها كجوهر سيكولوجي"[1].

واهتمت السّميولوجيا بالشّخصيّة وبنائها وانطلقت في دراستها من تصوّر لساني بحتْ، إذ ترى أن للشّخصيّة وجهين :

الأول هو الدّال (signifiant) والآخر هو المدلول (signifie): "وتكون الشّخصيّة بمثابة دال من حيث أنّها تتّخذ عدّة أسماء أو صفات تلخّص هويّتها، أمّا الشّخصيّة كمدلول فهي مجموع ما يُقال عنها بواسطة جُمل متفرّقة في النّص، أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها"[2].

فمهما كانت قيمة الشّخصيّة، فلا يمكنها أن تعيش معزولة عن باقي الشّخصيّات الرّوائيّة، فهي تتفاعل معها محدثة في ذلك دفعا للحدث الرّوائي .

وردت في رواية "ريح الجنوب" شخصيّات رئيسة وأخرى ثانويّة.

أ_الشخصيات الرئيسة: وتتمثّل في:

"**نفيسة**": تعتبر من أهمّ الشّخصيّات النّسوية المركزيّة في هذه الرّواية، وتبلغ من العمر ثمانيّ عشرة سنة،وُلدت وشبّت في عهد الاستقلال، "انحدرت من أبٍ إقطاعي فكرًا وسلوكاً ومن أمٍّ مغلوبة على أمرِها"[3] وتُعدُّ ثمرةً للعلاقات الإقطاعية وفي الوقت نفسه ضحيّة لبطشه. نشأت في ظلّ أحضان أسرة ميسورة الحال،فأتيحت لها فرصة التّعليم الجامعي، وتفتّحت على عالم واسع يختلف عن عالم قريتِها الغارق في سكونه المتخلّف بعاداته وتقاليده،كتهميش المرأة وتحويلها إلى شيءٍ مادّي يستعمله الرّجل كيفما شاء.

---

[1] يُنظر :شعريّة السّرد ،تحليل الخطاب السّردي في مقالات التريري، عمر عبد الواحد ،دار المدى للنّشر ،ط2 2003 ،ص122.

[2] ينظر: شعريّة السّرد ،تحليل الخطاب السّردي في مقالات التريري، عمر عبد الواحد ،ص123.

[3] بشير بويجرة محمد،الشّخصية في الرّواية الجزائريّة 1983/1970،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائرية، 05_1986، ص115.

لقد سعى الكاتب من خلال هذه الشّخصيّة إلى تقديم قضيّة هامّة وكبيرة من قضايا العصر في الجزائر ألاَ وهي قضيّة المرأة وحرّيتها وتطوّرها، وبذلك هي تمثّل جيل الشّباب المتبرّج الجديد ــ وفي نفسها ثورة على التّقاليد الجائرة ــ الّذي تُبنَى عليه آمال كبيرة[1].

وقد برزت هذه الشّخصيّة طائشة، محتجّة، ثائرة، ولو بشكل حماسي متمرّدة على الأوضاع المفروضة عليها من قبل محيطها الاِجتماعي مما جعلها تنهزم أمام أوّل هزّة عنيفة في حياتها.

وترمز شخصيّة نفيسة في الرّواية إلى الجزائر بعد الاستقلال والّتي هي في طور النّماء، وما قبل الثّورة الزّراعيّة.

وترمز أيضا للجزائر الّتي تريد أن تتثقّف وتخطُو خطوّات للمستقبل،ولكن وجود بعض العراقيل جعلتها تتأخّر.

"عابد ابن القاضي": لقد جسّد "عابد ابن القاضي" ما يسمّى بالبرجوازيّة الاقطاعيّة الّتي تميّزت "بالجشع ،الأنانيّة والوصوليّة بالرّغم مما بذل من إقدامه على أعمال خيّرة ودهائه في تلاقي نائبات الدّهر"[2].

إنّه ذلك الرّجل الّذي يحاول التّضحيّة بكلّ شيءٍ في سبيل الحفاظ على مركزه الاِجتماعي سواء بالطّرق الشّريفة أو غير الشّريفة، كما وُجدت له خلفيّة تاريخيّة سيّئة أو لنَقُل نقطة سوداء في حياته، وذلك بإخبار السّلطات الفرنسيّة عن موقع المجاهدين اِنتقامًا من "مالك"الّذي وضع اللّغم خطأ في القطار المدني عوض القطار العسكري،وكانت من ضحاياه "زليخة" وبهذا العمل الشّنيع اُعْتُبِرَ حَرْكِيًّا، أمّا في الوقت الحالي - بعد الاستقلال- فهو المصلحي الانتهازي الّذي لا يُفكّر سوى في المحافظة على أملاكه - التي تتمثّل في نصف أراضي القرية وبساتينها — بشتّى الطّرق، حتى وإن كان فِداء ذلك ابنته الثّانية "نفيسة" هذا من جهة، ومن جهة ثانيّة كان "عابد ابن القاضي" الرّجل الرّيفي التّقليدي الّذي مثّل المجتمع

---

[1] ينظر:كتابه الملتقى الرّابع، عبد الحميد بن هدّوقة، ص95.

[2] سيدي محمد بن مالك:الواقع والممكن في روايات عبد الحميد بن هدّوقة،دراسة نصّية كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2007-2008م،مخطوط،ص26.

الأبيسى، بل إنّه المتسلّط في أسرته حيث يهمّش المرأة ويمنعها في حقّها من التّعبير وإبداء الرّأي، سواءً كانت زوجته "خيرة" أو ابنته، يعني أنّه الرّجل المتغطرس في قراراته، وبذلك مثّل العادات والتّقاليد، وبقي الرّجل المتخلّف، المحافظ، المناقض للجيل الجديد (أي نفيسة) .

ويمكن هَهُنَا أن نستنتج أنّه كان رمزًا لطائفة من النّاس رهنت حياتها ومكانتها للاستفادة من بركات المحتلّ و تمجيده لها و نصرته والسّكوت على مظالمه.

"مالك": هو ذلك المثقّف، الممثّل للوعي الثّوري الأصيل "المجاهد الوطني المخلص لبلاده سابقًا المُتفاني في حبّها والإخلاص لها والتّفكير في مصيرها باستمرار حاليًّا"[1].

فقد سمحت له همّته بتبوُّءِ مكانة سياسيّة هامّة في القرية المركزيّة، فأصبح هو "شيخ المجلس الشّعبي البلدي، يُشرف على البناء والتّشييد"[2]، في القرى والمداشر المجاورة لاستكمال رسالته النّضالية، لاجتثاث الطّبقة الاقطاعيّة الّتي تُعدُّ ربيبة النّظام الاستعماري.

ندَّد هذا الشّاب المستقيم بالثّورة على التخلّف والإقطاع، وعلى مخلّفات الاستعمار، وهدفه الأسمى القضاء على الظّلم والاستغلال وتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعيّة.

مَّثل "مالك" في هذه الرّواية وعْي الكاتب المُباشر بالحياة و بالواقع و بما يجري في الجزائر – لمرحلة ما بعد الاستقلال – وهو الضمير الحي .

فهو يرمُز لذلك المناضل الجاد،الحائر،الّذي يرى التخلّف و يعاني مشاكله ويطمح للتّغيير، فهو لم يتحوّل إلى ناقم كما تحوّل البعض، كما لم يتحوّل إلى الانتهازي الوصولي ليتاجر بالثّورة ويتّخذها مَعْبَرًا لمصالحه و لم يجعل لهذه الأسبقيّة على القضايا الوطنيّة والمبادئ السياسيّة له ولوطنه.

---

[1] مصطفى فاسي: دراساته في الرواية الجزائرية ،كلية الآداب ،دار القصبة للنشر ،حيدرة ، الجزائر ،د.ت ،ص08

[2] ينظر: مدخل إلى عالم الرواية الجزائريّة،شايف عكاشة قراءة مفتاحيّة ،منهج تطبيقي ،ديوان المطبوعات الجامعيّة ،السّاحة المركزيّة بن عكنون ،الجزائر، 04/ 1990م،ص14.

ب- الشّخصيات الثّانوية:

"العجوز رحمة": من الشّخصيّات الفعّالة الّتي أوجدها الكاتب في هذه الرّواية شخصيّة "رحمة"هذا الِاسم يدلّ على الرّحمة والعطف والحنان و الطّيبَة.

مثّلت نموذجا لعجائز الرّيف اللّائي يحسنّ الصّناعة اليدويّة: كالفخّار وهي امرأة حنون وأمّ رؤُوم، تصنع الأواني على قبْر زوجِها لتشْرب الطّير من الماء المتجمّع بها، فتصله بركات الأرض، وضمّدت جِراح "مالك" أثناء الحرب، وترقّ أناملها لصقل الأواني، ولكنّها مع ذلك كلّه لم تلتفت يومًا لحالها و لم ترأف لحظة بعجزها، فهي تشقّ على نفسها "منذ كانت فتاة عروبا تحمل عمرها في صدرها الممتلئ وفي شفتيها الباسمتين وفي عينيها الممتلئتين أحلامًا وآمالًا، وفي صوتها الصّافي العذب[1].

تُعتبر جوهر المرأة المُنتجة، المرأة التّاريخ، "وذاكرة الثّورة الوطنيّة بِوَعيها البسيط بكلّ أحلامها وتناقضاتها"[2] من جهة، وروح الشّعب الّتي تجسّد آلامه وأحاسيسه من خلال ما ترسمه على الأواني من جهة أخرى .

فهي حلقة من حلقات التّاريخ الّتي تُوصِل بين مختلف الأجيال، فيجمع بينها قاسم مشترك هو الجوع والفقر، فقد عاشت الثّورة حتى النّخاع، وحاولت من خلال فخّارها ورسومها الفولكلوريّة أن توصِلَها إلى جيل ما بعد الثّورة الوطنيّة، ليظلّ هذا الموروث النّضالي حيًّا، ينبِض دائما عبر كافّة العصور، بمعنى أنّها مثّلت جيل المرأة المُخضرم الّذي عاش الاحتلال، الثّورة، وأخيرًا الاستقلال.

كما أنّ كلامها غنيّ بالأمثال والحكم الّتي اكتسبتها من خبرتها في الحياة، ممّا جعلها تنشر هذه الحِكم بين سكّان القرية، وهي تعكس صورة لعجوز قرويّة بائسة، بسيطة، ضعيفة، من الطّبقة المسحوقة سَحقاً الّتي تأكل القوت وتنتظر الموت، إنّه القوت الّذي تفضّل بعض النّفوس استبداله بالموت، وذلك لأنّ هذه النّفوس تشقى في الحياة وتعاني من الحرمان.

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة ، ريح الجنوب، النسخة الصادرة عن المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط5، 1989، ص ص 138,139.

[2] ينظر: ، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكيّة في الأدب الرّوائي الجزائري، واسيني الأعرج ، مؤسّسة دار الكتاب الحديث ، ط1، بيروت ، لبنان، 1406ه/1986م ص108.

ف"رحمة" صانعة الفخّار كانت لها دلالة رمزيّة:تقود في جوهرها إلى الرّوح الجزائريّة الأصيلة فكانت تساعد كلّ طرف حسب قدراتها وحسب فهمها، حتّى استطاعت أن تكتسب شموليّة في معاملتها ومواقفها[1].

وبذلك يمكن أن نعتبر هذه المرأة الصّامدة كمركز للجزائر القديمة، أي الوطن الأم، ورمز للتّراث الثّقافي والحضاري بدليل أنّها كانت تحترف صناعة الفخّار الّذي يُصنع بالتّراب، وهذا الأخير هو رمز للوطن الأم.

"خيرة": يرتبط اسم "خيرة" بالخير والفضل اللّذين يعمّان المكان والانسان معا، هاته المرأة تعيش تحت ضغط زوجها "ابن القاضي" وقمعه، لأنّه يعتبرها ليست أكثر من آلة منزليّة، وجزء من أملاكه تقوم بأعمالها اليوميّة وتسهر على نظافة البيت وترتيبه، إذْ لا يمكنها أن ترى أكثر من الأبعاد الّتي حددّها لها زوجها، فهي تتّصف بالطّيبة والأخلاق العاليّة، ضِف إلى ذلك: السّذاجة، الكرم، وقلّة حيلتها.

وتُعدّ هذه الشّخصيّة من طبقة الأمّيين بحيث كانت تُعاني من العادات والتّقاليد الجائرة.

وتكمن رمزيّتها في أنّها امرأة نمطيّة مطيعة لزوجها، لا تُستشار في أيِّ أمرٍ ولا تملك إلاّ الدُّموع.

"رابح": تمثّل شخصيّة "رابح" نموذجا للشّاب البسيط، السّاذج، المحبّب إلى النّفوس. اشتغل راعيًا لغنم "ابن القاضي" راضيًّا بحياته، قانعا بقِسمته، لا يعرف الملل والحزن بالرّغم من يُتْمِه ووحدته، بعيدًا عن صَخَب القرية ومشاكلها فهو يُعدُّ: "جزء من الطّبقة الأكثر انسحاقا الّتي لاتملك إلاّ أن تحتجَّ وأن تثور"[2].

ـ وقد عاش حياة القساوة، والعبوديّة تحت نير الاستعمار ورحمة الإقطاع فهذه الشّخصيّة ترمز للثّورة المُرتقبة للمستخدمين الأمّيين.

---

[1] ينظر :الشّخصية في الرّواية الجزائريّة ، بشير بويجرة محمد ، دون المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986،ص104.

[2] واسّيني الأعرج،النّزوع الواقعي الإنتقادي في الرّواية الجزائريّة، دراسة منشورات اتّحاد كتاب العرب،د.ط،1985،ص58.

"**الطّاهر**": يدلّ اسم "الطّاهر" على نقاء الفكر وسلامة المنطق والوفاء للوطن، وهو معلّم في تكميليّة القرية المركزيّة أو متوسّطتها، وهو صديق "مالك"ينتمي إلى الطّبقة الفقيرة، وبالرّغم من ذلك تثقّف ثقافة عربيّة جعلته من "دعاة التّعريب ومن دعاة تعميم التّعليم، ومن أنصار القوميّة بمعناها العصبي"[1].

فقد جعله الكاتب في هذه الرّواية يرمز إلى: الانسحاق لأمثاله في عالم الماديّات"[2] يندّد بالتّغيير أي يطمح لواقع أفضل.

بالإضافة إلى هذه الشّخصيات الثّانوية نجد :

"**زليخة**": أخت نفيسة، وخطيبة مالك سابقا، كانت طالبة جامعيّة، توفيّت في القطار الّذي فجّره "مالك" عن طريق الخطأ.

"**الأم البكماء**": هي أمّ "رابح"، المرأة البكماء، لم تُولد كذلك، وإنّما سبب بكمها ريح التّركة (التّيفُوس)، فقدت صوتها إبّان الاِستعمار الّذي عمّ القرية، وهي ترمز للجزائر الّتي ليس لها صوت و كيان.

"**القهواجي قويدر**": هو شيخ كبير، صاحب مقهى القرية، يعرف كلّ ما يحدث فيها من أخبار، فهذا بحكم تردُّد النّاس على مقهاه، وهو شخصيّة رزينة،تتمتّع بالحكمة و الهدوء والصّبر والصّرامة في انجاز العمل، فأيّامه لاتقصر ولا تطول مهما اختلفت الفصول، تبتدئ من السّاعة الرّابعة صباحًا وتنتهي عند العاشرة ليلاً.

"**عبد القادر**": هو الأخ الأصغر لنفيسة.

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة . ريح الجنوب. ص224.

[2] عمر بن قينة . دراساته فيالقصّة الجزائريّة (القصيرة والطويلة). المؤسّسة الوطنيّة للكتاب . 3شارع زيروتة يوسف. الجزائر. 1986.ص186.

2 ــ ملخص الرّواية:

تنطلق أحداث هذه الرّواية في صباح يوم الجمعة-وهو يوم سوق- أين تتوقّف فيه كل الأعمال. فنرى "عابد بن القاضي " وابنه الصّغير "عبد القادر"، قرب الدّار مع "رابح" ــــ راعي الغنم- الّذي كان يتهيّأ لأخذ قطيع الغنم إلى البساتين، وعلى صدر ابن القاضي همّ حين يُصرُّ الأب على قراره، تفشل في صدّه و بالتّالي تلجأُ إلى خالتها المقيمة بالجزائر مستنجدةً إيّاها فتكتب لها رسالة وتطلب من الرّاعي "رابح" أن يُوصلها إلى القرية المركزيّة ويضعها في البريد، فيُعْجَب بها "رابح" لأنّها عاملته بلطفٍ وظنّها معجبةً به؛ و بالفعل قرّر زيّارتها ليلا، بعدما خطّط لذلك فتسلّل إلى غرفتها، وعندما تجده أمام سريرها فجأةً تدفعه وتشتمه واصفة إيّاه بأسوءِ الصّفات والنّعوت،فخرج مُطأطِئًا رأسه حزينا لخيبة أمله، وبقيت تلك الكلمة المؤلمة تدوّي في سمعه "أيّها الرّاعي القَذِر" فمن يومها يقرّر ترك مهنة الرّعي و يشتغل حطّابًا.

وبمرور الزّمن تتدهور الحالة الصّحية للعجوز "رحمة" نتيجة تدحْرُجها بِقفّتها المليئة بالتّراب إلى مُنتهى المنحدر تدحرُجاً مُؤلماً، فمنذ ذلك الوقت وهي تعاني من ارتفاع درجة حرارتها وهذيانها إلى أن أتى أجلها.

تمرّ الأيّام ولا يزال الأب مصرًّا على تزويج ابنته من "مالك"، فبمجرّد سماعها لقرار الأب المُتَغطرسِ تُصاب بِصدمةٍ نفسيّةٍ تؤدّي بها إلى الإغماء مما يجعلها تُفكّر طويلا في حلٍّ لمشكلتها فتفكّر بإدّعائها للجنون ثمّ الانتحار، وأخيرًا يقعُ اختيّارها على حلٍّ نهائي وهو الفرار.

فتضع خطّة مُحكمة للهروب إلى العاصمة،وبشأنِ ذلك تستدرج أخاها الصّغير "عبد القادر" بالاستفسار عن جغرافيّة مكان المحطّة و زمن إقلاع القطار، و تُقرِّر تنفيذ خطّتها يوم الجمعة لأنّ الرّجال يتوجّهون إلى السّوق، بينما النسّاء يذهبن إلى المقبرة،فتخرج متنكّرةً بارتدائها برنوس والدها لكي لا يعرِفَها أحد، فتتّجه إلى المحطّة عبر طريق ذا طابع غابي، ولكن لسوء حظّها تضلّ الطّريق و يلدغُها ثعبان، فيغْمى عليها، و يُصادف أن يجِدها "رابح" - الّذي أصبح حطّابًا- فيتعرّف عليها و يقوم بإسعافها، و ذلك بإحداث جُرحٍ في ساقها وامتصاص الدّم المسموم، و يعود بها إلى بيته أين يعيش مع أمّه البكماء، ليُبقِيَ الأمر في سريّة تامّة، لأنّها

تخشى معرفة مكان إقامتها من طرف والدها، فتمكث تسعة أيّام كاملة، و لا تكاد تفكّر في إعادة المحاولة مجدَّدًا للهروب إلى العاصمة في قطار الثّانية ليلًا، حتّى يشيع الخبر في القرية و يعلم والدها بوجودها في بيت "رابح"، فيَعْزِمُ على ذبحه.و بمجرد وصوله يهجم عليه بقوّة شاهرا مُوسه البوسعادي، فتنهار قِوى

"رابح"فتُسرِع أمَّه البكماء إلى اِقتناء فأس تضرب به "عابد ابن القاضي"على رأسه، فتنفجر الدِّماء من رأسه و من عنق "رابح". فتنصرف الأمّ مُسْعِفَةً اِبْنَهَا والبنت مسعفةً أباها، ثمَّ قامت الأمّ و دفعت "نفيسة" إلى خارج البيت و بدأت تصرُخ فأقبل النَّاس فزعين، و اِتَّجهت "نفيسة"إلى بيت أمِّها بعد أن فَشِلت محاولتها في الهروب و هكذا اِنتهت هذه الرّواية بنهاية حزينة، مأساوية و مفتوحة.

المبحث الثالث: رواية "بان الصبح".

1- تقديم عام للرواية.

أ/ التعريف برواية "بان الصبح"

هي رواية جزائرية كتبها الكاتب القروي "عبد الحميد بن هدوقة" سنة 1980 ،وتعدّ النّص الرّوائي الوحيد الّذي عالج فيه هموم المدنية وقضاياها، وعلى الرّغم من ذلك، كان هذا النّص عبارة عن إدانة كاملة للمدينة الّتي فقدت الإحساس بالمُثل العُليا، وخضعت للنّزوات والغرائز المدمّرة، والّتي فتحت متاهات الخوف والقلق من المستقبل على مصراعيه، ذلك الخوف والقلق بارزين من بداية الرّواية إلى نهايتها.

بمعنى أن هذا الجنس الأدبي حاول أن يُصوّر المجتمع الجزائري، في ظلّ الصّراع الّذي ميّز مرحلة ما بعد الاستقلال، وبخاصّة في ضوء النّهضة الثّقافية والاقتصاديّة الّتي ميّزت سبعينيّات القرن العشرين، صراع الأجيال، التفتّح على الحياة الجديدة، التّعليم، حريّة المرأة، وما إلى ذلك من القضايا السّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة الّتي شكّلت مسيرة الشّعب الجزائري في تلك المرحلة التّاريخية الحاسمة. [1]

"فعبد الحميد بن هدوقة" عالج في هذه الرّواية كيف تَحوّل الصِّراع الخَفِي إلى مواجهة حقيقيّة ومخيفة بين الشّخصيّات الّتي ترمز إلى فئات مختلفة ومتباينة، إنّها رواية ترسم بمهارة

[1]- ينظر بحوث سيمائية- يصدرها مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر جامعة أبوبكر بلقايد -تلمسان- ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية -الجزائر- العددان الخامس والسادس، ماي2009 ،ص278.

بانوراميّة ذات روافد عديدة لحياة الجزائر الاشتراكيّة، عارضةً شخصيّات مرسومة بدقّة بعيدة عن التّجريد الذّهني، ومحتفظة بثقلها الواقعي، وبماضيها الممتد في حاضرها تحاول تجميع المواقف المُتناقِضة في فترة زمنيّة محدّدة.

كما أنّ هذه الرّواية كبيرة في الحجم، فعدد صفحاتها330 صفحة،وقد أضافها "ابن هدوقة" إلى قائمة النّتاج الرّوائي الجزائري وإلى الواقعيّة العربيّة، ليطرح بصدق مشاكل الجزائر المستقلّة وأحوالها النّفسيّة وأوضاعها الاجتماعيّة وأبعادها الفكريّة، وقد تؤلف في مجموعها وتفاصيلها في حركتها وسلوكها، وكلامها تاريخ الجزائر الحديث، تاريخها الوجداني والفكري، والثّقافي على السّواء[1] .

و أخيرًا جعل الكاتب لرواية "بان الصبح" نهاية مفتوحة، وللقارئ الحريّة المطلقة في تصور ما سيحدث للبطلة "دليلة" المتمرّدة الّتي تركت منزل العائلة نهائيًّا قاصدةً منزل صديقتها "نعيمة".

ـــ فيبدوا أنّ "ابن هدوقة" جعل عنوان "بان الصبح" يرمز إلى ظهور الحقيقة الخفيّة وكشف المستور داخل الشّخصيّات خاصّة، والمجتمع عامّة.

[1]- ينظر: كتابه الملتقى الرابع، عبد الحميد بن هدوقة، ص183.

بـــ/الشّخصيّات: تعّد الشّخصيّات الرّوائيّة صورة حيّة وواقعيّة، أو تجـــسيدا لأنمـــاط ووعي اجتماعي وثقافي، والبعد الاجتماعي والنّفسي والفكري والأخلاقي هو الأساس المركّز عليه في رواية "بان الصبح" حيث تقوم على الائتلاف والاختلاف والتّعايش والصّراع[1] .

*أنواعها: لقد تجلّت رؤية الكاتب بوضوح تجاه الوضع الاجتماعي من خلال الشّخوص الروائيّة بناءا على الوظيفة الّتي تؤديّها كلّ شخصيّة ، إذ تنقسم هذه الشّخوص إلى:

* **الشخصيات الرّئيسة:** وتتمثّل حسب الرّواية كما يلي:

– **دليلة** :وهي بطلة الرّواية، تمثّل المرأة الجزائريّة، أو بالأحرى فئة من النّساء الجزائريّات اللّواتي تمكنّ من التّعليم الجامعي، والمؤمنات بالحريّة إلى أبعد الحدود، وهي لـــذلك تـــذهب ضحيّة هذه الحريّة بالذّات [2] فهي طالبة في كليّة الحقوق، جميلة لا أفعالها ولا أخلاقها مقبولة في المجتمع العربي الإسلامي [3] ،فهي مدمنة على التّدخين وتشرب الخمر، وتسيطر عليها روح الخُمول ،فهذه الشّخصية تحمل في خبراتها وتجاربها ماضٍ مليء بالحسرات والآلام، وقد أقامت علاقة مع شاب منحرف من إحدى الأسر الغنيّة بقصد الزّواج، وحملت منه، ولكنّه رفـــض الزّواج منها، فأرسل لها رسالة يطلب منها إجهاض الجنين.

---

[1]- قرطبي خليفة، المدنية في الرّواية الجزائريّة العربية، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر 1995، ص17.

[2]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000،ص140

[3]- بشير بويجرة محمد، الشّخصيّة في الرّواية الجزائريّة، ص144.

– **الشيخ علاوة**: ربّ الأسرة يمثّل السلطة الماديّة، وهو رجل محافظ في أفكاره عندما يناقش، محافظ في تصرّفاته وحركاته كما يحاول تقليد كلّ من هم أعلى منه مقامًا، وهو يعيش في ظلّ التّقاليد، فهذه الشّخصية البرجوازيّة تشمل على الجمع بين المتناقضات، بمعنى أنّه كان معتدلا في مواقفه من القضايا الوطنية، "فقد جعل الكاتب اهتمامات هذه الشّخصية منصبّة على "الميثاق والدّستور" وعلى عائلة الشّيخ بن عبد الجليل ذات الغِنى الفاحش، كما كانت اهتماماته منصبّة أكثر، على المحافظة على العادات والتّقاليد" [1]، فلا ننسى أن ابنته "دليلة" تلقّبه "بالجنرال" .

– **نعيمة**: ابنة أخ الشيخ علاّوة: يتيمة الأمّ ـــفقدت أمّها في حوالي الثّالثة من العمر وكفلتها عمّتها الّتي توفّيت بدورها عندما كان عُمرها تسع سنوات، وهي طيّبة ومجدّة وذات شكل حسن، متّهمة بالوقوع في الخطأ وبالانحلال الخلقي، فهذه الشّخصيّة تصف دار عمّها بالبركان، ومن صفاتها أيضًا أنّها فتاة ساذجة ريفيّة وبسيطة، انتقلت من القرية إلى المدينة العاصمة لتدرس بكليّة الآداب، ولهذا فهي لا تعرف عن المدينة الكثير بدليل أنّها انبهرت في كثير من الأمور الّتي واجهتها، وتعتبر أيضا اجتماعيّة ومحبوبة، لأنّها تساعد الجميع، فهذه الفتاة كانت تحبّ أباها وتثق به على عكس "دليلة"،وهي مُنظمَّة في التطوّع الطلاّبي.

[1]- المرجع نفسه، ص35.

– **نصيرة**: الملقّبة بنصيرة صونا كوم، فتاة ذات شخصيّة متّزنة، مثقّفة واعيّة، وتعمل بمصلحة الدّراسات النّقابيّة، تقف على أرض صلبة، تمثّل الشّخصيّة الحقيقيّة، وهي من عائلة متوسطّة.

* **الشخصيات المساعدة**: فنوردها على التّرتيب التّالي ابتداءًا بـــ:

–أفراد عائلة الشّيخ علاّوة: وهم :

عمر: الابن الأكبر، مدير بنك مختلس، بيروقراطي، "يتسبّب في ثورة النقابة وموظّفيها، أدّى إلى طرده من وظيفته" [1]، يتوارى تحت مسار حماية التّقاليد واحترامها، ليخفي حقيقته الّتي لا تتّفق إطلاقًا مع ما يعلنه ([2]).

متزوّج وزير نساء و لم يتردّد في محاولة اعتدائه على ابنة عمّه "نعيمة" فهذه الشّخصيّة انتهازيّة بدليل أنّها تريد الوصول إلى مراتب اجتماعيّة عُليا بالاحتيّال والخداع.

مراد: الطّبيب الجرّاح ولا يهمّه سوى طبّه، يقبل ببساطة الزّواج من فتاة غنيّة اقترحها عليه "الشّيخ علاّوة"و"العجوز كلتوم"، فقد درس بالخارج، وهو مختلفٌ تماما عن كافّة أفراد عائلته.

[1] – مصطفى فاسي، دراساته في الرواية الجزائرية، ص70.

[2] – ينظر،الايديولوجيّةوبنية الخطابه الرّوائي،عمر وعيلان،منشوراته جامعة منتوري ،قسنطينة،2001،ص294

زبيدة: البنت الكبرى، والّتي راحت ضحيّة طمع والدها الّذي رفض الكثير من خطّابها، أدّى بها إلى التّعنيس لأنّها قاربت الأربعين من عمرها، و لم تتزوّج، وبهذا أصبحت حاقدة على أبيها الّذي كان السّبب. ونجد أنّ العنوسة الّتي هي فيها دفعتها بالشّعور بالحقد على كلّ المتزوّجين.

رضا: يختلف عن أخويه، ويتّصف بصفتَي التّسامح والاعتدال، لا يستلطفه والده، وهو أصغر أخويه يقود مظاهرات في الجامعة الّتي يدرس فيها، ويعّد "رضا" أكثر الشّخصيّات الاشتراكيّة واقعيّة وعقلانيّة.

هالة: البنت الصّغرى، طالبة بالثّانويّة تفرض شخصيّتها على والدها، وهي معظم الأحيان لا تتّفق مع أختها "زبيدة".

منى: زوجة "عمر" تتّصف بشدّة الغيرة على زوجها لأنّها تشتّم منه رائحة الخيّانة، فهي تعيش بين سيطرة وضغوطات زوجها هذا من ناحيّة، ومن ناحية ثانيّة من أفراد عائلته.

العجوز كلثوم: وهي زوجة "الشّيخ علاّوة" فأفكارها تتّفق مع أفكار زوجها.

بعد هذه العائلة نعرض أفراد عائلة "بن عبد الجليل":

الأب: ابن عبد الجليل، الرّجل البرجوازي، مالك شركة البلاستيك، انتهازي يتقرّب من الشّخصيّات البارزة في المجتمع لتحقيق أغراضه الشّخصيّة.

كريمو: طالب جامعي، مستهتر، يوقع بالفتيات لإشباع رغباته، ولا يتحمّل مسؤوليّته تجاه هفواته.

دنيا: العروس الّتي حضرت عائلة "الشيخ علاوة" زفافها.

وهيبة: البنت الصّغرى والّتي سوف تخطب للطّبيب" مراد" لاحقًا وهناك شخصيات أخرى حرّكت أحداث الرّواية من بعيد، نذكر منها:

صالح: وهو الأب الرّيفي –أب نعيمة- مجاهد وجندي سابق في جيش التحرير،متمسّك بعادات القرية وأعرافها،ممّا جعله متشدّد في معاملته مع ابنته "نعيمة"،(يعدّ من الشّخصيّات النّمودجيّة القرويّة).

باية: صاحبة الحمّام، امرأة بدينة، بشوشة، ظريفة، خفيفة الظلّ.

مريم: عاملة بالحمّام.

ذهبيّة: أم عريس "دنيا" زوجة "أبو بكر القهوجي".

حسن: عريس "دنيا" نائب وكيل الجمهوريّة.

عبد العزيز: الرّجل الّذي أوصل "دليلة" إلى الجامعة، وعرض عليها المساعدة، وهو عامل بإحدى شركات "بن عبد الجليل".

محور رواية "بان الصّبح":

ويتمثّل في المدينة والمرأة، ولكنّه يعتبر ثانويًّا بالنّسبة لمحور آخر وهو النّفسيّة المحافظة الّتي تحملها نفيسّة الطّبقة البرجوازيّة، وكل صراع حدث في هذه الرّواية مهما كان نوعه وأثره إنّما كان يبّين هذه النّفسية المتمثّلة في المرأة والسّلطة والثّقافة، والمحور الرّئيسي لرواية "بان الصبح" هو الحوار النّفسي والاجتماعي والفكري والأخلاقي إلي يحيط بالعائلة البرجوازية القاطنة بالمدينة[1]،وحتّى بالعائلة القرويّة البسيطة.

ملخص رواية بان الصبح:

تدور أحداث رواية "بان الصبح" في مدينة الجزائر العاصمة، حيث تعيش أسرة مُحافِظة، نزحت من الرّيف محمّلة بتقاليد وعادات باليّة، بطلتها فتاة جامعيّة تدعى "دليلة"، حيث تبدأ أحداث الرّواية بإتمام "دليلة" لتمارينها الرّياضيّة وتقدّمها نحو المرآة، محدثة إيّاها عن الجمال الرّائع الّذي تملكه، وإذا بالباب يطرق يصحبه صوت أبيها فتطفئ سيجارة، ــ كانت قد أشعلتها، وجذبت نفسًا طويلاً- وتخرج إليه، ثم بعد ذلك نزلت "دليلة" إلى الصّالون لتهاتف "كريمو" ــ شاب من عائلة ثرية - وهو أيضًا طالب جامعي، وتواعده في السّاعة الثّانيّة والنّصف ليعتذر لها بحجّة زفاف أخته، لكنّها تلحّ على الموعد، غيّرت "دليلة" ملابسها لتهرع إلى الشّارع، تنتظر الحافلة لكنّها تصادف رجلا يقلّها بسيارته إلى "شارع محمد الخامس" بدلًا من الجامعة أين كانت على موعد مع "كريمو" في شقّته، في الوقت ذاته كان والد "دليلة" –

[1]- ينظر:الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية والالتزام، محمد مصايف،ص179.

الشّيخ علاّوة- بساحة الشّهداء واقفا ينتظر الحافلة للعودة إلى البيت بعد أن حضر اجتماعًا حول الميثاق الّذي أظلم الدّنيا في عينيه، يركب "الشّيخ علاوة" الحافلة ويعود إلى البيت، ثمّ يفتح صندوق البريد ويخرج منه ما وجد من رسائل فيتوجّه نحو غرفته لتصادفه "منى" زوجة ابنه الأكبر "عمر" وتسأله إن كان جائعا فيجيب بالنّفي، يدخل الغرفة ويفتح الرّسائل الواحدة تلوى الأخرى، فهذه الرّسالة إلى ابنه "عمر" من البنك، وهذه إلى ابنه "مراد" الطّبيب من فتاة فرنسيّة، وأخرى إلى "نعيمة" ابنة أخيه، فيتردد في فتحها، ثمّ يقرّر فتحها بحجّة أنّها ما دامت تعيش معه هي تعدّ من أبنائه، لكنّه يفاجئ بما ورد فيها إذ هي حامل. يرنّ جرس الهاتف يجيب "الشّيخ علاّوة "وإذا به يسمع صوت "سي بن عبد الجليل" يدعوه إلى حضور زفاف إحدى بناته، وفي هذه الأثناء كانت الأمّ "كلثوم" و"زبيدة" الابنة الكبرى و"نعيمة" في الحمّام أين التَقَيْنَ بعائلة "بن عبد الجليل" رفقة العروس "دنيا"، أما "دليلة" كانت قد قصدت شقّة "كريمو" لتجد حلاًّ لمصيبتها، إذ هي الحامِل وليست "نعيمة".

فيردّ عليها "كريمو" بأنّ كلّ شيء مُوَضَّح في الرّسالة الّتي بعثها إليها باسم ابنة عمّها ،الحل يكمن في الإجهاض فهي المسؤولة عن مأساتها على حدّ تعبيره، فالكثير من الفتيات دخلْنَ هذه الشقّة لكنهنّ لم يحملن، جنّ جنون "دليلة" وخرجت من الشقّة وإذا بها تلتقي "نصيرة صون كوم" فركبت معها سيّارتها بعد أن عرفت أنّها كانت ببيت "كريمو"، وأثناء تجوّلِها بالمدينة تُفَاجئ "دليلة" بأخيها "عمر" يقبّل امرأة، فسكتت متسمّرة ممّا جعل "نصيرة" تندهش ممّا أصابها فتسألها إن كانت تعرف الرّجل، فأنكرت "دليلة" ذلك بالطّبع.

عرضت نصيرة على "دليلة" أن تستضيفها في بيتها، فرحّبت هذه الأخيرة بالفكرة بشرط أن تمرّ ببيتها لتحضر بعض الأغراض، وتخبر أمّها بذلك، في هذه اللّحظات كان أفراد عائلتها يتجادلون حول موضوع الذّهاب إلى حفل زفاف "دنيا" ابنة "بن عبد الجليل" فرأت العجوز "كلثوم" ضرورة حضور هذا الحفل لتحقيق مشاريع خاصّة، كانت قد خطّطت لها أثناء وُجودِها بالحمّام، وهي متعلّقة بخطبة "وهيبة" –البنت الصّغرى "ل بن عبد الجليل" – لابنها "الطّبيب" والبحث عن خطيب لابنتِها "زبيدة" وكان على "مراد" إيصالهما، وبالفعل حضرتا الزفاف وكان لها ما أرادت تحقيقه، فعادت إلى البيت لتجِدَه مُظلِمًا، فتساءلت عن السّبب وعن سبب نوم أهله باكرًا، فهذه ليست من عادتهم، فهي تعُود فرحة، محمّلة بأخبار سارَّة، وانجازات هائلة لكن هيهات فالبيت في غمٍّ بسبب "منى" الّتي فاجأت زوجها و"نعيمة" في بيت الغسيل، فألصقت التّهمة "بنعيمة" بالرّغم من أنّها تعرف أنّ زوجها هو المسؤول فأمطرها بوابل من الشّتائم حتّى وصول صوتها "الشّيخ علّاوة" فخرج مسرعًا من غرفته، وللأسباب السّابقة من موضوع الرّسالة صرخ بصوت عالٍ في وجه ابنة أخيه "نعيمة" وقال أنّه سيبعث لوالدها ليأتي ويُعيدها إلى الرّيف، وفي هذه اللّحظة تجمّع من في البيت واستغربوا أنّ الأب يثُور على المسكينة بالرّغم من حبّه لها واعتبارها من إحدى بناته. توجّهت العجوز نحو غرفتها لتسأل زوجها عن سبب هذا الظّلام المخيّم على البيت، فيجيبها أنّ اللّعينة حامل وتريد إيجاد أبٍ لابنِها الموجود في أحشائها، وأنّه علِمَ بذلك من رسالة قد وصلت إلى المترل وهو قام بقراءتها، تثور ثورة العجوز ضدّ "نعيمة" وتُصِرّ على ضرورة حضور والدها ليدفِن عارها، وبالفعل يأتي الأب "صالح" ويحاول الاستفسار عمّا قامت به ابنته فكان له ذلك، فيأخذها متوجّهًا بها إلى الرّيف لأسْرِها في غرفة دون أن يتكلّم حتّى مع زوجته الّتي حاولت مرارًا معرفة سبب إحضار "نعيمة"، وفي اليوم التّالي يأخذها إلى الطّبيب ليتأكّد ممّا قيل له، فيكْتَشِف أنّ ما حيك ضِدّ المسكينة كذِب وبُهتان، فيشفق عليها ويقبّلها والدّموع في عينيه، يجعل "صالح" عدّة نسخ للشّهادة الطبيّة الّتي قدّمها إليه الطّبيب، ويتوجّه بها قاصدًا العاصمة

وبالضّبط إلى بيت أخيه ليوزّع على كل –أفراد العائلة- نسخة وبالخصوص الطّبيب "مـــراد" صارخًا في وجهه، أبلِغهُم بأن الشّهادة أصليّة ممّا جعل أخاه "عـــلاّوة" وزوجتـــه "كلثـــوم" يخجلان. أمّا "دليلة" فبالرّغم من سعادتها ببراءة "نعيمة" إلّا أنّها لم تُعجِبْها طريقة دخول عمّها عليهم، فبعد ذلك تعزم على الرّحيل،فقصدت القصبة لتسقط في فخّ نـــصّابين كـــانوا قـــد استأجروا لها غرفة بهذه المنطقة، لتهيم في شوارع العاصمة بعد ذلك، وإذا بها تلتقي الرّجـــل الّذي كان قد أقلّها إلى الجامعة، حكت له ما وقع لها بخصوص الغرفة، أمّا مصيبتها الرّئيسة لم تكشف له عنها بالرّغم من إلحاحه عليها، فوعدها بتأمين السّكن والعمل لها، لتكتـــشف في نهاية المطاف أنّه عامل لدى "ابن عبد الجليل" فتفقد كلّ الأمل ولا تجد أمامها غـــير "نـــصيرة صونا كوم" لتستضيفها في بيتها أيّامًا حتّى تجد حلًّا لمشكلتها، وتغادر البيت نهائيًّا.

الفصل الثاني

الفصـــل الثـــاني: تجليـــات بيئـــية القـــرية في روايـــتي "ريح الجنـــوب و بان الصبح".

المبحث الأول: تجليات بيئة القرية في رواية "ريح الجنوب"

تمـــهيـــد

1 ـ التجليات الفكرية و الأخلاقيّة .

أـ النظرة الدونية للمرأة

ب ـ التعصب

ج ـ الجود و الكرم

د ـ اللامبالاة

هـ ـ التخلف

2ـ التجليات النفسية.

أـ النفسية المحطمة.

ب ـ الحزن.

ج- المعانات

د- اليأس.

هـ العزلة و الإنطواء.

و- الضجر.

ز- الصدمة النفسية.

ح- التفائل.

3- التجليات الاجتماعية

أ- تسلّط الرّجل على المرأة

ب-الجهـل

ج- الفقـر

د- الكسل و الخمول

هـ العادات و التقاليد و المعتقدات

و- التراث الشعبي

المبحث الثاني: تجليات بيئة القرية في رواية "بان الصبح"

1- التجليات الفكرية و الأخلاقية .

أ- التخلف.

2 - التجليات النفسية.

أ- الحزن.

ب - التفائل .

ج- العنف.

3- التجليات الإجتماعية.

أ- تسلط الرجل على المرأة.

تمهيــــد:

أوّلًا_ الدّلالة العامة للقرية:

أ _ الدّلالة اللّغويّة لكلمة القرية:

* **ريف**:"هو الأرض التّي فيها زرع وخضر،جمع أرياف" [1]

* **راف** :ن ___ ريفا:؟ أتى الريف ____ الماشية:رعت الريف

(أريف): فلان:راف ___ والأرض أخصيت"[2]

الريف: أرض فيها زرع خصب،ويطلق على ماعدى المدن والقرى والكفور والسعة في المأكل والمشرب،جمع أرياف وريوف.

الريفة:من الأرض المخصبة[3]

– **الريف**:الخصب والسعة في المأكل والمشرب وجمعها أرياف

– **والريف** ما قرب الماء من أرض العرب وغيرها،جمع أرياف والريوف،

والريف أرض فيها زرع،و رافت الماشية أي رعت الريف،وفي الحديث تقع الأريـــاف فيخرج إليها الناس وكل أرض فيها زرع ونخل وقيل وقيل هو ما قارب الماء من أرض العـــرب وغيرها ومنه حديث العرنيين (بضم العين):

كنا أهل ضرع و لم نكن أهل ريف أي من أهل البادية لا من أهل المدن ،وفي حـــديث فروة بن مسيك،وهي أرض ريفنا وميراثنا

---

[1] - علي بن هدية وآخرون،القاموس المدرسي(مرتب ترتيب الفه بائي)المؤسسة الوطنية للكتاب،ص254

[2] ابراهيم مصطفى وآخرون معجم وسيط،دار الدعوة الجزء الأول(د.ط)،ص 386

[3] ابن منظور:لسان العرب،لسان العرب،(جزء الفاء)،دار صادر بيروت،ط4،ص ص128–129.

وتريف القوم وأريفوا وتريفنا وأريفنا إلى الريف ،صرنا إلى الريف وحضروا القرى ومعين الماء ومن العرب من يقول :راف البدوي يريف إذا أتى الريف، ومنه قول الرّاجز جواب بيداء بها عزوف.لا يأكل البقل ولا يريف ولا يرى في بيته القليف، قال القطامي:

وراف سلاف شعشع البحر مزجها لتحمى وما فينا عن الشراب صادق

قالوا :راف اسم للخمر تحمي أو تسكر،وأرافت الأرض إرافة وريفا.كما قالوا أخصبت اخصابا سواءا في الوزن او المعنى.

فقال ابن سيده: وعندي الإرافة المصدر والريف الاسم وكذلك القول في الاخصاب والخصب،وقد تقدم وهي ريفية(بتشديد الياء)[1] .

ومن المسميات التي يتداخل استعمالها مع لفظة ريف هم(القرية،البادية،المدينة...)فإذا ما عدنا إلى المعاجم اتّضح معنى الآتي:

المدر: سكان البيوت المبنية ،خلال البدو سكان الخيام

الوبر،المدر:البدو والقرى

المدرة:القرية المبنية بالطين واللبن.

البادية:فضاء واسع فيه المرعى والماء.

القرية:المصر الجامع وكل مكان اتّصلت به الأبنية واتّخذ قرارا،و تقع على المدن وغيرها[2].

وأما في المعاجم الأجنبيّة فإنّ كلمة ريف تعني المكان الطبيعي الواسع حيث التجمّع السكّاني خارج المدن والذّي يعتمد أهله على الزّراعة،أين تنشر الحقول والغابات والمزارع.

[1] ابن منظور ،لسان العرب،ص129

[2] المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية،ص386

الريف (rural) وتعني القرية،ففي اللّغة اليونانيّة نجد (rus) وتعني الريف ،فهذا الموصوف إذا أضيف للمضاف إليه أصبح (ruris) الذّي يحمل صفتين متشابهتين هما (rustitus)أو (ruratis)،وهاتان الصّفتان هما السّمة الرّيفيّة[1]

الريف إذن يعني القرية،أي المكان المقابل للمدينة ،وهو البلد الرّيفي الذّي يسكنه فئات من الناس يعملون بالزّراعة غالبًا،ويكون أصغر من المدينة.

ولقد ورد ذكر القرية في القرآن الكريم واحدًا وخمسين مرّة،حيث ذُكِرت مفردة سبعًا وثلاثين مرّة،وذُكرت تثنيّة مرّة واحدة،وذُكرت جمعًا ثلاث عشرة مرّة،وهي لاتقابل المدينة،فقد خوطبت بعض المواقع تارة باسم قرية،وتارة باسم مدينة،كما في قوله تعالى عن الخضر وموسى(عليهما السّلام):((فانطلقا حتّى أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبَوْا أن يُضَيِّفوهُما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقَضَّ فأقامهُ قال لو شِئت لما اتخذت عليه أجرًا))[2]

وقد وردت الإشارة لهذه القرية باسم مدينة في الثّورة نفسها في قوله تعالى على لسان الخضر: ((وأمّا الجدارُ فكان لغلامين يتيمَيْنِ بِالمَدِينَة))[3] .نفهم أنّ لفظة القرية في القرآن هي تجمّع سكّاني مستقر.

الرّيف في ضوء علم الاجتماع:

اهتمّ"ابن خلدون في مقدّمته بقضيّة المفاهيم ،والتّركيزِ على شرح بنيات وخصائص وسمات المجتمع الرّيفي ،حيث انطلق من العوامل الاقتصادية لفهم المستوى الرّيفي،وذلك أنّ

[1] معجم العلوم الاجتماعية،تأليف نخبة من الأساتذة،الهيأة المصرية للكتاب،القاهرة1275

[2] سورة الكهف، الآية74

[3] سورة الكهف،الآية82

النّشاط الاقتصادي بإمكانه تحديد العلاقات الاجتماعيّة،وتصوّر حياة الجماعة في المكـــان ومـــا ينجرّ على ذلك من القرابة والسّلطة والدّفاع[1]

فأهل الرّيف عنده هم أولئك الذين يتّخذون من الفلاحة مهنة لهم،ويفرّق "ابن خلدون" في مقدّمته بين البداوة والرّيف ،حيث يقرّر بأنّ أهل الرّيف تتّصف حياتهم بالاستقرار الـــدّئم، نشاطهم الدّئم قائم على زراعة الأراضي وتربيّة النّحل والماشيّة،هذه الحالـــة وسمـــت حيـــاتهم بالاستقرار :" وحالة الاستقرار هاته أثّرت على علاقتهم وسلوكاتهم،حيث جعلت من طابعهم الرّضاء والقناعة والتّعاون، إلّا أنّهم كسالى بسبب اعتمادهم فقط ما تعـــود بـــه الأرض مـــن خيرات،ممّا جعلهم لا يبادرون ،ولا يتطلّعون إلى الأفضل والمشاركة في الحياة السيّاسيّة[2].

لقد وضّح "ابن خلدون" متانة العلاقة الاجتماعيّة التّي تربط بين أهل الرّيف،وهي قائمة أساسًا على القرابة والنّسب،كما أنّ حياتهم تميّزها البساطة والبعد عن الكماليّات؛وبالتّالي فـــإنّ ثقافتهم هي الأخرى تتّسم بالتّواضع،ولكنّها معبّرة أصدق تعبير عن حياتهم ممّا أكسبهم صـــفة الإقدام والمروءة وبذلك فهم يشتقّون رؤيتهم للحياة،وفهمهم لها من علاقتهم بالأرض[3].

وفي هذا الشأن يقول:"اعلم أنّ اختلاف الأجيال وأحوالهم إنّما هو باختلاف نحلتهم من المعاش"[4]. فمفهومه لموضوع الرّيف ،مفهوم أساسه المعايشة،وليس التصوّر الفكري المحض ،حيث عاش هذا الواقع في بلدان المغرب العربي وجاء الوصف مطابقالواقع المجتمع وخـــصائص كـــل منطقة،وإن لم يذكر كلمة الريف صراحة ،لأنّ اهتمامه كان منصبّا على المقابلة بـــين ســـكان الباديّة وأهل الحضر.

---

[1] الرّيـــف فـــي الروايـــة الجزائريـــة:دراســـة تحليليـــة مقارنة،كليـــة الآداب والعلـــوم الاجتماعية،جامعـــة العـــاقل لخضر،باتنة،2010/2009، ص 18

[2] عبد الحميد بوقصاص،النماذج الرّيفيّة الحضريّة لمجتمعات العالم الثّالث في ضوء المتّصل الرّيفي الحضري، ديوان المطبوعات الجزائرية،د.ت،ص5

[3] ينظر،النماذج الرّيفية الحضريّة لمجتمعات العالم الثّالث في ضوء المتّصل الرّيفي الحضري،ص 57.

[4] عبد الرحمان بن خلدون،المقدّمة،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت،1993، ص 90.

وقد صنّف البداوة إلى صنفين،صنف يشتغل بالزّراعة،فيكون مقيمًا ويسكن القرى والمداشر والجبال،وصنف يعتمد في معاشه على تربيّة الماشيّة وهم الرحّل من أهل العمران البدوي."وما دام التمدّن غاية للبدوي يجري إليها ،فإنّ الباديّة أصل العمران والأمصار مدد لها[1]

فمفهوم "ابن خلدون"للرّف ينطبق من واقعٍ عايشه في بلاد المغرب العربي أو المشرق العربي،وقد قسّم التجمّع السكّاني تبعًا للظّروف الاقتصادية والاجتماعية بحسب كلّ منطقة، و من تمّ رتّب دراسته ووصفه لخصائص الجماعة في ضوء بنياتها الاجتماعيّة والثّقافيّة وبناء السّلطة السيّاسيّة،وأنواع النّمط الاجتماعي التّي من شأنها إلزام الأفراد إتباع و مراعاة مقتضيات الحياة العامّة للجماعة،والتّضامن الاجتماعي من أجل حماية أنفسهم.

لقد سعى علماء الاجتماع في أوربا إلى القيّام ببعض المحاولات من أجل إعطاء مفهوم للرّيف من خلال التّصنيفات الثّنائيّة،ومن هذه المحاولات:

- ثنائيّة دوركايم:(Emil Dorkheim):وهي التّي تقابل بين مجتمع يسوده التّضامن الآلي وهو الرّيف ،حيث يصفه بأنّه بسيط ،محدود النّطاق،غير معقّد التّركيب،غير خاضع لمبدأ تقسيم العمل،،وبين مجتمع يسوده التّضامن العضوي،ويقصد به المدينة،فهي واسعة النّطاق،معقّدة التّركيب،تخضع لمبدإ تقسيم العمل.

- ثنائيّة فرديناندتونيز(Ferdinand Toenniese):وهو يقابل بين ما يسمّيه المجتمع المحلّي ،ويعني الرّيفالذّي تسوده روابط القرابة العلاقات الأوّليّة التّي تتميّز بالتّضامن وقوّة الرّوابط والتّي يطلق عليها الإرادة الفطريّة، ثمّ بين المجتمع العام ويقصد به مجتمع المدينة التّي

4- ينظر،ابن خلدون والفكر العربي المعاصر،الحبيب الجنحاني،الدار العربيّة للكتاب،1980،ص473.

تسوده علاقات المصلحة والتّعاقد،لذا فالرّوابط الاجتماعيّة في هذا المحيط العام مائعة،والمشاركات الوجدانيّة غير متكاملة ،والعلاقات الفرديّة قائمة على الحذر والمنفعة الخاصّة[1].

- ثنائيّة تشارلز كولي (Charles Collet):"تقابل هذه الثّنائيّة بين مجتمع تسوده العلاقات الأوّليّة التّي تتّسم بالقوّة والتّماسك والتّعاون داخل المجتمعات الصّغيرة ومنها الأرياف،وبين مجتمعات تسودها العلاقات الثّانويّة والّتي تتميّز بضعف العلاقات الشّخصيّة المباشرة،وسيّادة العلاقات الرّسميّة التّعاقديّة"[2]

من خلال ما تقدّم يبدو أنّ ما جاء به الباحثون الغربيّون لم يخرج كثيرًا عمّا جاء به"ابن خلدون"،وما أضافوه أو تفردوا به إنّما مردّه إلى المنهج والأدوات المستخدمة واستفادتهم من الدّراسات حول هذا الموضوع،نظريّة الثّنائيّات عند هؤلاء تضع الرّيف مقابل المدينة ،أي أنّهم لم يبنوا نماذجهم بصورة تصادميّة من خلال حصر مجموعة من الخصائص لكلّ مجتمع وسماته الثّقافيّة وطبيعة الإنتاج الاقتصادي ومدى سيطرة الأعراف والقيّم داخل البناء الاجتماعي الكلّي.

والواقع أنّ هذه التّصنيفات الثّنائيّة ما هي إلّا مجرّد تصوّرات ذهنيّة وبناءات عقليّة أكثر منها واقع اجتماعي متحقّق بالفعل. وإذا ثبت تحقّقها فهو يختلف من مجتمع إلى آخر،فكثير من الخصائص والمميّزات تنطبق على الحياة القرويّة خاصّة في الفترة الاستعماريّة مثل التّضامن والتّعاون الجمعي في المجالين الاجتماعي والاقتصادي ،والّتي مثّلت في تلك الفترة قاعدة الصّمود في وجه السيّاسة الاستعماريّة ،بالرّغم من محاولة الاستعمار الصاق صفة الآليّة الّتي قام بها "دوركايم"بالمجتمع الجزائري كدليل على التخلّف وليس تأكيدا للصّفات السّابقة بمفهومها الايجابي.

1- مصطفى الخشاب،علم الاجتماع ومدارسه،وزارة الثّقافة المصريّة،دار الكتاب العربي للطباعة والنّشر1987،ص 145.

2- محمد توفيق المالوطي،المنهج الاسلامي في دراسة المجتمع ،دار المشرق،جدة،1985،ص 229.

لقد ركّز صاحب المقدمة على قضايا محدّدة هي البداوة،الرّعي والمدن،فلم يعطي للزراعة حقّها من الدّراسة بالبداوة والحضر،وهو ما جعل البعض يأخذ عليه مسألة الخلط بين البدو والريّفيّين من خلال دمجه للزّراعة والرّعي معا على اعتبار أنّهما متداخلان حيث وضعهما تحت عنوان البداوة.

2- الدّلالة النفسية والفكرية والأخلاقية لكلمة القرية

فمن الصفات التي تمثل بعضا من جوانب تركيب الشخصية القروية .

الانطواء:ويقصد به تركيز العمليات النفسية في حيّز الفرد و الجماعة في حدود شعورهم وتفكيرهم فالفرد الريفي أكثر التفاف حول ذاته ومنطو على نفسه وفي عزلة عقلية عن غيره

اللامبالاة: وهي نتيجة الظّروف السياسية والاجتماعية التي تميز بها المجتمعات القروية والتي كانت خاضعة لنظام العبودية والإقطاع وهيمنة الاستغلاليين على تفكير وتصرفات الفلاحين والذين كانوا يحاولون إبقاء الفلاحين على هذه الكيفية من عدم اكتراث بتحسين ظروفهم المعيشية والاجتماعية ليزيدوا من حدة استغلالهم.

الاهتمام بالحاضر والماضي وإهمال المستقبل :يتميز الإنسان الجاهل بنظرته الضّيقة والمحدودة للأمور وعيشه في حاضره،وادن رجع للماضيّ فإنما يرجع من أجل الافتخاريّة وليس لغرض الاستفادة منه في تحليل الحاضر والتّنبؤ للمستقبل.

ولمّا كان غالبيّة سكّان القرية يتميّزون لمستوى علميّ منخفض مقارنة سكان المدن نجدهم يعيشون ليومهم دون الاكتراث بالمستقبل،فالنّظرة المستقبليّة المتجسّدة بالتّخطيط والتّنبّؤ عن أحداث المستقبل لا تأتي إلا من خلال الوعي المتكامل والمبنيّ على أسس موضوعيّة تعتمد المنهج العلميّ في التّفكير،وكلّما ازداد وعي الإنسان ونمت معرفته،كلّما بدا يهتمّ بالمستقبل وضرورة التّخطيط له.

الاعتقاد بالقضاء والقدر:وهدا ناتج عن المستوى المتخلّف في العلم ،الذي يوفّر تفسير للظّواهر المتعدّدة التّي يتعرّض لها الفلاّح فنرى الفلاّح بدوره يعتقد بوجود ظواهر غيبيّة وقوى خارجة عن إرادته تتحكّم في حياته.

نستنتج من خلال ما ذكرنا أن الشّخصيّة القروية محدودة النّظر وضيّقة التّفكير،فهي لا تهتمّ إلا بما هو موجود عندها ،ولا تتطلع إلى الجديد وما تأتي به تطوّر علميّ وتكنولوجيّ، وهذه النّظرة ناتجة عن التّخلّف والأمية ، وعدم حبّ الاطلاع على كلّ ماهو جديد كافّة المستويات،وكلّ هدا ناتج عن عدم انتقال الرّيف إلى المدينة للتّطلّع.

2 ــ الدلالة الاجتماعية لكلمة القرية

إنّ الصّفات العامّة للمجتمع القروي تتمثّل فيما يلي:

1 ــ التأثّر بالبيئة : تخضع الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في القرية إلى ظروف البيئة فكثيرًا ما تصاب المزروعات بالإتلاف غير المتوقّع أو قد يتعرّض المحصول إلى فيضانات أو الشحّ والجفاف ممّا يؤدّي إلى قلّة النّاتج أو انعدامه،كما أنّ بيت الفلاّح هو الآخر قد يكون معرّض لتلك الظّروف البيئيّة المتغيّرة تجعل التّخطيط الزّراعي مهمّة صعبة على المستوى العام والعائلي في آن واحد. إنّ تأثير البيئة على المجتمع القروي لا يعني أنّ الإنسان يقف مكتوف الأيدي اتّجاه هذه العوامل ،وقد أنجزت عدّة مشاريع لتصدّي هذه الظّروف البيئيّة والطّبيعيّة كمشاريع الرّي.

2 ــ قلّة الكثافة السكّانيّة:إنّ الكثافة السكّانيّة في القرية تكون عادةً ممّا هي عليه في المدن وذلك راجع لعدّة أسباب منها:هجرة أهل الريف إلى المدن وانخفاض المستوى المعاشي (وذلك راجع لسوء التّغذيّة والصحّة) ممّا يؤدّي إلى نسبة الوفيات،إضافة إلى وجود أراضي ومساحات شاسعة في القرية ممّا يجعل الكثافة السكّانية قليلة .

إنّ الكثافة السكّانية من حيث ارتفاعها ذات تأثير مباشر على إمكانية توفير الخدمات والمؤسّسات الاجتماعيّة في المنطقة،فكلّما كانت الكثافة السكّانيّة قليلة مع وجود تبعثر السكّان في المناطق الشّاسعة يصبح من الصّعب تغطيّة المنطقة بتلك الخدمات.

3 ــ العزلة النّسبيّة : إنّ شساعة المنطقة الجغرافيّة للمجتمع القروي ورداءة طرق المواصلات يجعل القروي ينعزل عن المجتمعات الأخرى،كما أنّ انتشار الأميّة بين الفلاحين وعدم رغبتهم في التنقّل والاتصال بالعالم الخارجي يجعلهم بعيدين كلّ البعد عن منابع الحضارة في المدن. إنّ هذا العامل يجعل العمل الارشادي أو التّنموي بصورة عامّة عملا شاقّاً لدى المجتمع القروي ،وذلك لأنّ عزلة أهلها وتبعثر سكّانها تجعل الاتّصال الشّخصي لمرشديهم أمر غير ميسور،هذا إذا أضفنا عامل تفشّي الأميّة بين سكّان الريف والذّي يحدّد الاعتماد على بعض وسائل الاتّصال الجماهيريّة كالجرائد والنّشرات تتّضح مدى صعوبة القيّام بمهمّة الإرشاد والتّنميّة الريفيّة على وجه الخصوص.

4 ــ صيانة العمل الزّراعي:أهل الريف يعتمدون في معيشتهم على الزّراعة وهذا لا يعني أنّ الأعمال والخدمات الغير زراعيّة والغير موجودة في المجتمع القروي،فهناك المعلّم والرّجل الدّيني وغيره.

5 ــ قلّة الحركة الاجتماعيّة:إنّ تنقّل القروي في الريف يكون قليلًا وذلك لأنّه يقضي معظم وقته بالعمل داخل حقله،وإذا عاد في المساء عاد متعبا ومنهمكا ممّا يلجأ للنّوم مبكّرًا لكي يستيقظ مبكّرًا في الصّباح التّالي؛إضافةً إلى قلّة المؤسّسات التّرفيهيّة لذا نراه يلجأ إلى بيته أو إلى مقهى القرية أو إلى محلّ اجتماع

كبير يعقد في تلك المنطقة بغية الترفيه عن النفس أو التّسامر مع الأصدقاء،بمعنى أنّ تنقّل الرّجل القروي في بيئته محدود جدًّا.

6 ــ العلاقة الاجتماعيّة مباشرة: والمقصود بها هي تلك العلاقات التي تتمّ وجها لوجه، وهذه الصفة يمتاز بها المجتمع القروي حيث أنّ الفلاح يواجه زميله أو جاره في الحقل أو المقهى أو حتى في المسجد.

7 ــ بساطة المجتمع والمؤسّسات الاجتماعيّة: إنّ المؤسّسات الاجتماعيّة في القرية بسيطة التّركيب،وفي كثير من الأحيان،فمثلا المدرسة والمستوصف ومركز الشّرطة كلّها إن وجدت في الرّيف عادة يكون هيكلها التّنظيمي يتميّز بقلّة المراكز الوظيفيّة وبالتّالي قلّة العاملين بها .كما أنّ المهام التّي تؤدّيه هذه المؤسّسات أوّليّة وبسيطة مقارنة ممّا تقدّمها نظائرها في المجتمع الحضري.

8 ــ قوّة التّماسك والشّعور الجمعي: إنّ أبناء مجتمع القرية متمسكين مع بعضهم وعادة ما يكون الرابط أو العلاقات الاجتماعيّة متينة ،فنرى بعضهم يساعد البعض الآخر ويتعصّب له وإذا احتاج إلى شيئ لايتهاون في طلب مساعدة جيرانه أو أقربائه ،ونلاحظ هذه الظّواهر في عمليّات الحصاد وإقامة السّدود وكذلك في إقامة ولائم الزفاف وحتّى الجنائز وغير ذلك

9 ــ ضعف القيّم أو التّقاليد العلميّة والميكانيكيّة:إنّ الرّيف متمسّك بالقيّم التّقليديّة كالكرم والتّعاون والاحترام الكبير،وهذه القيّم توارثها الرّيفي أبًا عن جد تعلّمها منه وأخذ يعمل بموجبها،بمعنى أنّه اعتبرها جزءًا من سلوكه،أمّا القيّم العلميّة كأهميّة العلم والتّخطيط كأسلوب في تنظيم الحياة فلا تكون مركز ثقل السّائدة في المجتمع الرّيفي.

ميزة المجتمع القروي:

المجتمع القروي	الميزة
زراعي	العمل السّائد
عال	تأثير البيئة وتجانس السكّان
صغيرة عادة	حجم المجامع الاجتماعية
قليلة	كثافة السكّان والحركة الاجتماعية
مباشرة ضمن المجموعة	التّعامل الاجتماعي
بسيطة وصغيرة	النّظم الاجتماعية
التمسّك بالقيّم الباليّة	التّقاليد

فايجابيّات المجتمع القروي: أنّه مازال محافظ على القيّم والعادات والتّقاليد الاجتماعيّة بين أفراده فهو مجتمع متعاون فيما بينهما ،فكلّ الأفراد يتعاونون ويهتمّون ببعضهم البعض.

أمّا السّلبيّات:فهو مجتمع مازال يعيش التخلّف والجهل وعدم رغبته في التطلّع فيما هو جديد من تقدّم علمي وتكنولوجي.

ثانيا:المكان الريفي :

يكتسي المكان أهمّية بالغة في بناء العالم الرّوائي،إذ لا يمكن تصوّر أحداث تقع خارج المكان الّذي يعمل الكاتب على تصويره عن طريق اللّغة ،" فالحدث الرّوائي لا يُقدّم إلّا

مصحوبًا بجميع إحداثياته الزّمانية والمكانية وتفسير ذلك أنّ كلّ قصّة تقتضي نقطة انطلاق في الزّمن، ونقطة إدماج في المكان "[1]

المبحث الأول: تجليات بيئة القرية في رواية ريح الجنوب.

1- التجليات الفكرية و الأخلاقية:

فالحديث الرّوائي يتموقع دومًا داخل مساحة معيّنة"و كّل رواية تقدّم لنا طبوغرافيها المميّزة، وقد يختار الكاتب لحركة أحداثه و شخوصه مجالا واقعيًّا ... و قد يلجأ لاختيار أمكنة أخرى خياليّة أو أسطوريّة[2] ، فكلّ مبدع و طريقته في توظيف المكان،فمنهم من يختار الشقّة موقعا لإظهار أحداثها ، و آخر يتّخذ البحر أو الشّارع مكانًا لإبراز انفعالاته .

أمّا " عبد الحميد بن هدوقة " فقد وقع اختياره على القرية و نلمس ذلك في معظم أعماله لهذا لُقّب - بالكاتب القروي ـــ و انطلاقا من هذه المعطيات النّظريّة، سنحاول دراسة بعض التجلّيات الاجتماعيّة والنّفسيّة والفكريّة والأخلاقيّة الموجودة في روايتي" ريح الجنوب " و" بان الصبح ".

أ-النظرة الدونية للمرأة :

إنّ النّظرة الدّونيّة للمرأة أخذت مكانًا مُهمًّا في أعيُنِ الرِّجال،خاصّةً القرويِّين منهُم ،إذ إنّ الرَّجل يُنقِص من قيمة المرأة و يحتقِرها مهما حصلت على مناصِب في المجتمع أو تفوّقت عليه، فيرى أنّها ستبقى ضعيفة لا سلطة لها، وهو ما وظّفه المُؤلّف في صفحات روايته،إذ يُبيِّن ذلك في القول التّالي:" عليها أن تذعن لِما يُقدَّر لها من حياة،غيبيَّات وظروف خارِجيّة تتحكّم في مصيرها، تقاليد بدائيّة تقيّد سلوكها ... ماذا عساها أن تفعل لمواجهة كلّ ذلك؟هل تثور؟ و لكن أيّ ثورة،و في أيّ اتّجاه؟ إنّها لا تعرف أحدًا في القرية. وهب أنّها عرفت ماذا يجدي ذلك؟ فلا فرع هناك للمنظّمة النّسائيّة و لا شبيبة الحزب و لا لغيرهما "[3].

---

[1] حسن بحراوي ، بنية الشّكل الرّوائي (الفضاء ، الزّمن ، الشّخصية) المركز الثّقافي العربي ، الدار البيضاء (المغرب) ، ط1 ، 1990 ،ص29.

[2] ينظر، الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، إدريس بوديبة ، منشورات جامعة منتوري قسنطينة ، ط1 ، 2000 ، ص63 .

[3] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، ص 88

في هذا القول يصوّر"ابن هدوقة " نظرة الرّجل القروي إلى المرأة على أنّها مخلوقًا ضعيف مهما تثقّفت، و يجب عيها الخضوع لسيطرة الرّجل و طاعته شاءت أم أبَـت،و لا ينبغـي أن تُبدي رأيها الشّخصي ، و أضاف أيضًا أنّ للمرأة غيبيّات و ظروف تتحكّم في مصيرها ، كما أبرز المؤلّف أنّ حتّى التّقاليد البدائيّة المتشدّدة هي أيضًا تقيّد سلوك المرأة و تقف في وجهها.

فمن كثرة تهميش المرأة في القرية لم تؤسّس لها تنظيمات اجتماعيّة و سياسيّة خاصّةً بها كما هو موجود في المدينة ، فالمرأة في نظرة البيئة الرّيفيّة ليست لها حقوق ، فلم تبحـث عـن حقوق ليست من واجبها البحث عنها ...؟

أمّا هذا القول يبرز مدى تحكّم " ابن القاضي " على ابنته شأنها شأن المرأة القرويّـة : " كأنّ المرأة مخلوق شاذّ يجب ألّا يعامل معاملة الأسويّاء ... الخروج عيب ... الضّحك عيب ... الحديث أمام الرّجال عيب... التجمّل عيب،عدم القيّام باكرة ، عدم الصلاة عدم إتقان أعمال بدائيّة مترليّة عيب ، عيب ... كلّ شيء هنا عيب . قيمة المرأة ليس فيها تحـسن أو تعمـل ، ألسنة النّاس فيها حسب ما اتّفق هي ميزاتها ... " [1]

رأى"نفيسة"معاملة أبيها لها شأن معاملة سكّان القرية لبناتهم على أنّ المرأة مخلوق ضعيف مهمّش اجتماعيًّا،فلا يحقّ له الخروج ،أوالضّحك أو الحديث أمام الرّجال أو التجمّل... لأنّهـم يعتبرون هذه التصرّفات عيب ، فنظرة الرّجل نحو المرأة تبقى دائمًا نظرة دونيّة ناقصة لها مهمـا حسنت من أعمال أو اكتسابها لرصيد ثقافي ما.

تقول في موضع آخر على سوء مقامها : " الحريّة الممنوحة تشبه خبز الصّدقة "[2] .الدّافع الأساسي الّذي جعلها تذكر هذا القول هو معاناتها من هيمنة الرّجل و كذا رؤيته لها بمنظـار أسود ملؤه الاحتقار و قلّة الشّأن لها ، و لهذا شبّهت " نفيسة " الحريّة الممنوحة لهـا كخبـز الصّدقة ،لأنّ خبز الصّدقة كميّتها محدودة و قليلة جدًّا،و قد أورد " ابن هدوقة " انطلاقا مـن

[1] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، ص 36 .

[2] المصدر نفسه ، ص 88

هذا المثال أنّ المرأة تخرج ثلاث مرّات في حياتها : أوّلا من بطن أمّها أي في فترة الولادة ، ثانيًا إلى بيت زوجها، وثالثا إلى قبرها ، و هذا حقّها لا أكثر.

ليس " ابن القاضي " وحده من قيّد " نفيسة " ، و أنقص من شأنها بل " خيرة " أيضًا ، فمن كثرة تأثّرها بدونيّتها أرادت تطبيقها على ابنتها ، إذ جاء القول : " لم يخطر ببال الأمّ أبدًا أنّ هذه البنت يمكن أن تكون لها نظرة في الحياة تضادّ مطلق التّضاد ما تعارف النّاس عليه هناك، لأنّها تراها بنتًا و البنت لا يمكن أن يكون لها رأي أمام والديها " [1].

إن ما عاشته المرأة من ضغوطات من قبل الرّجل جعلها تبدّل نظرتها في الحياة و ترى أنّ البنت لا يمكن لها أن تعبّر أو تبدي رأيها أمام والديها، بل يجب أن تنفّذ و تطيع تلك الأوامر سواءًا أكانت راضيّة بهذا الوضع أو رافضة له، ثمّ يلجأ "ابن هدوقة" إلى توضيح معاملة "ابن القاضي" لزوجته على أنّها امرأة لا غير فيقول :"... هل تستطيع أن تفهم امرأة لا تعرف من الحياة إلاّ الحياة المترلية ما تعجز عن فهمه أشدّ العقول دهاءًا "[2] .

يرى " عابد ابن القاضي " أن المرأة في حدّ ذاتها مجرّد آلة مترلية و جزء من أملاكه ، تقوم بأعمالها المترليّة الرّوتينيّة، و لا يمكنها أن ترى أكثر من الأبعاد الّتي حدّدها لها زوجها ، فقد أصبحت تحت كثرة الضّغط و القمع إنسانة غير مؤهّلة لفهم القضايا الكبرى، إلى أن يقول المؤلّف في هذا المقام :" و البنت بعد ذلك مهما كانت فهي امرأة " [3]، أي أنّ المرأة مهما وصلت إلى درجة و زادت خبرتها في الحياة ستبقى في نظر الرّجل مجرّد امرأة ليس لها كيان في المجتمع .

و " رابح " أيضا نظر إلى المرأة نظرة غيره على الرّغم من طبقته الاجتماعيّة المتدنيّة إلاّ أنّ سُوء نيّته طغت عليه فقال في داخله : " هي تودّ شيئًا آخر و تتظاهر بإرسال الرّسالة ، ظنّتني غبيًّا لا أفهم ما تريد ، المرأة هي المرأة سواء عاشت بالجزائر أم البادية "[4].

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة ريح الجنوب ، ص 90 .

[2] المصدر نفسه ، ص 91 .

[3] المصدر نفسه ، ص 91 .

[4] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، ص 96 .

إنّ أيّ رجل قروي لا تتغيّر نظرته للمرأة مهما كانت درجته ، فمثلا الرّاعي " رابح " يؤيّد هذا الصّنف من الرّجال، و له تلك النّظرة الدّونية للمرأة بحيث لمّا لجأت "نفيسة" إليه من أجل مساعدتها ، إلاّ أنّ سُوء نيّته دفعت به إلى أن ينظر إليها على أساس امرأة لا غير سواءًا عاشت بالجزائر العاصمة أم بالباديّة ، و تبقى هذه نظرة الرّجل تجاه المرأة ، و قد أضاف "رابح" عن "نفيسة " : " إنّ نفيسة أكثر من أيّ فتاة أخرى كانت في تقدير رابح ، فتاة ساذجة ... هو في التّقدير يشارك معظم القرويين في هذه النّاحية "[1] .

و يأتي ابن " هدوقة " في خواتيم صفحاته فيذكر عن وضعيّة المرأة بهذا المقطع : " ثمّ إنّ هذه المرأة الّتي لم تعطها القوانين السّماويّة و الوضعيّة حقّها كاملاً هي في الحياة العامّة بين الرّجال العامّة مضرب الأمثال السّاخرة القاسيّة الّتي تجعل منها مخلوقًا حقيرًا يُوصف بالجبن والغدر و الخيّانة ، فالرّجل إذا تحدّث عن زوجته لرجل آخر قال : " زوجتي حاشاك " ، أو إذا غضب فشتم من أغضبه قائلا : " يا وجه المرأة " ، أو آخذك كالمرأة ..." أو إذا مازح شخصًا آخر أوصاه ضاربا له المثل الشّائع : اضرب امرأتك دائمًا فإن لم تكن أنت تعرف لما فهي تعرف ..."[2] .

فنجد هنا نموذجًا آخر لنظرة الرّجل إلى المرأة ، و كيفيّة معاملته لها ، و احتقارها حيث يحطّ دائمًا من قيمتها و شأنها ، و يهزأ من رأيها سواء كانت على صواب أو على خطأ ، فالرّجل يصل إلى درجة أنه عندما يتحدّث عن زوجته يقول : " زوجتي حاشاك " ، و هذا دليل على سوء نظرته لها ، و دونيّته على أنّ المرأة تبقى ناقصة المستوى والشّأن مهما وصلت من درجات الحياة .

فمن خلال ما سبق نجد أن الرّجل المتكبّر و المستبد – كابن القاضي – يحطّ من شأن المرأة ، و كأنّها شيء مادّي يمكنه التّحكم فيه كيفما شاء ، فنظرته لها ستبقى دائما دونيّة ، و سينقص من شأنها ، و هذا ما رفضته " نفيسة " في الرّواية ، إذ تَعْتَبِرُ هذا السّلوك آت من بداوة

[1] المصدر نفسه ، ص 100 .

[2] المصدر نفسه ، ص 203 .

الفكر و جمود العقل ، فتدفع النّساء إلى الشّعور بالحزن و الأسى و الإحباط و النّقص الدّائم من طرف الرّجل ومعاملته السّيئة لها خاصّة في لبيئة القروية .

ب - التّعـــــصّب :

ينبني التعصّب في أغلب الأحيان على بعض الأفكار المتعلقة بمعتقدات خاطئة ، فالمتعصّب يميل إلى المحافظة و التشبّث برأيه حتّى و إن كان بعيدا عن الصّواب، و بهذا يتّصف بجمود الفكر و يكون اهتمامه الرّئيسي بالمكانة الاجتماعية و القوة ، و يتأثر بسهولة بأصحاب مراكز السّلطة ، و يميل إلى العدوان و القلق ، و هذا ما أدّى إلى اعتبار التعصّب بأنّه : " اتّجاه نفسي مشحون انفعاليًّا ، أو عقيدة أو حكم مسبق ضدّ جماعة أو شيء أو موضوع "[1] .

و نلمح مثل هذا التعصّب في طريقة تفكير المعلّم " الطّاهر " ، على الرّغم من وصـــوله إلى درجة معيّنة من الثّقافة ، و بالرّغم من طهارة فكره إلاّ أنّه لم يعرف لغة أخرى غير اللّغـــة العربيّة ولا مكان آخر غير القرية الرّيفية الّتي نشأ فيها ، و لذلك فهو يحكم على العربيّة بأنّهـــا :" هي أغنى اللّغات و أنّ العربي هو أشجع البشر و أكرمهم و أذكاهم و أطهرهم و أشـــرفهم ..." [2]، فمن هنا نجد الدّافع الّذي جعل " الطّاهر " معلّم القرية ، يعتبر العربيّة أمّ اللّغات ، و أنّ العربي هو أشجعهم و أكرمهم لسبب وجيه و هو أنّه يتقن إلاّ اللّغة العربيّة ، " و لو قدّر له تعلّم لغات أخرى و السّفر إلى بلاد أجنبيّة ، لأضاف إلى فكره أفكارًا جديدة ، و لتخلى عـــن تعصّبه لثقافته المحدودة الّتي أخذها من القرية ، و هو كنوع من الجمود الفكري الّذي استنبطه من هناك ، و كذا أنّ البيئة القرويّة تعيش في نوع من الانغلاق أو ما نشير إليـــه بالعـــصبيات القبلية.

[1] حامد عبد السلام زهران ، علم النفس الاجتماعي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط5 ، 1984 ، ص 174.

[2] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب،ص72.

و قام الكاتب بإبراز تعصّب " الطّاهر " في موقف آخر يتجلّى في هذا القول :" لم يكن من دعاة الإصلاح الزّراعي ، و لا أنصاره ، كان من دعاة التّعريب ، و من دعاة تعميم التّعليم. و من أنصار القوميّة بمعناها العصبي ... و أنّ الأمم لا تحصل على الأمجاد بشعوبها ، و لكن بفضل عبقريّات أفذاذها و قادتها " [1].

و من هنا نلتمس تعصّب " الطّاهر " المعلّم ، الّذي يتمثّل في اهتمامه اهتمامًا بالغًا بدعاة التّعريب و ليس من دعاة الاصلاح الزّراعي ،إذ إنّه لا يهتمّ بشؤون الاقتصاد و لا غيره ، بل اهتمامه كان منصبًّا حول التّعليم و التّعريب و اللّغة العربية .

و شخصيّة " الطّاهر " قد مثّلت التّعصّب في القرية أفضل تمثيل عن نماذج أخرى ، بالإضافة إلى تعصُّب آخر يتجلّى في عدوان " مالك " شيخ البلدية و " عابد بن القاضي " التّي لم تترك لهما مجالًا للتّفاهم بينهما بل للتّنافر، فقد كان "مالك" شديد الحساسيّة تجاه تصرّفات" ابن القاضي" و شديد الذّكاء في التّعامل و التّفاعل مع محاولاته بغية كسب ودّه ، فرأى أنّ الاصلاح الزّراعي هو أفضل وسيلة للتّخلّص من سلطة وجبروت " ابن القاضي " ، و هذا يمثّل تعصّب من نوع آخر طغى على بعض سكّان القرية البرجوازيّين أمثاله .

و أخير ا نستخلص أنّ التعصّب سلوك فكري و أخلاقي ، و كذلك هو اجتماعي مكتسب ، تحدّده البنية الاجتماعيّة ، و يتعلّمه الفرد بدون تمعّن أو رويّة [2].

و تتحدّد درجة التّعصّب حسب نمط عيش الإنسان ، فمثلا إذا كان برجوازيّا إقطاعيّا " كابن القاضي " ، فإنّه يتعصّب الإقطاعيّة و إن كان من طبقة كادحة لا يملك مثلا أراضي فإنّه يتعصّب للاشتراكية ، و إن كان مثقّفا و متعلّما فإنّه يتعصّب للّغة الّتي تمكّن منها كنموذج " الطّاهر " .

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، ص 224 .

[2] ينظر: الواقع و الممكن في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، سيدي محمد بن مالك، ص 38.

و انطلاقا ممّا سبق نجد أنّ البيئة القرويّة ـــ ريح الجنوب نموذجا ـــ تثير هـــذا الجانـــب الفكري والأخلاقي و كذا النّفسي الّذي يطغى على فئة من البشر، و يحوّل عصبيّتهم إلى نـــوع من الجمود العقلي ـــ الفكري ـــ و النّفسي و التّخلّف أكثر فأكثر ، فيبقى الانسان هناك دائما في حيرة من هذه الحياة " كمالك "، أو اعتزاز بالنّفس " كابن القاضي " العنصر المتـــسلّط في القرية ، سواء من حيث الأفكار أو إلى نظرته الدّونيّة عمّن هو تحته كسكّان القرية .

ج- الجود و الكرم :

إنّ أهمّ ظاهرة نلمسها في البيئة الاجتماعيّة الرّيفيّة هي ظـــاهرة الكـــرم و الاحتفـــاء بالضّيف، المستندة من التّاريخ العربي الأصيل الحافل بمواقف خالدة في خلق الكرم ، و قد ظـــلّ المجتمع الرّيفي خاصّة ، محافظًا على هذه العادة النّبيلة جاعلًا منها واجبًا مفروضًـــا ، و يـــضعنا الكاتب ضمن عدّة مشاهد رائعة تعكس مدى عمق هذه الظّاهرة في القرية الجزائريّة .

فالعجوز "رحمة " عندما أتت لزيّارة منزل "ابن القاضي"، أحضرت معها بعض الهـــدايا الرّمزيّة و بمجرّد وصولها :"أخرجت من قفّتها ثلاث أكواب جديدة ،و مترددًا مـــن الفخّـــار،و قالت : هذا الكوب لك يا نفيسة وهذا الصّغير لعبد القادر، أمّا هذا الّذي رسمت فيه عرجونًـــا لسّي عابد... و هذا المترد لخيرة [1].

فعلى الرّغم من فقر العجوز " رحمة " إلاّ أنّها تتّصف بالجود و الكرم و الّذي يعتبر من شيّم سكّان القرية ، فالعجوز لم تأت بهديّة واحدة للعائلة ، بل أعطت لكلّ فرد هديّته الخاصّة به ، و هذا ما جعلها محبوبة من طرف أهل القرية .

و في موقف آخر أبرز " ابن هدوقة " حسن ضيّافة العجوز " رحمة " لـــ"رابـــح " راعي الغنم ، الذي أنقذ حياتها و أوصلها إلى منزلها ، و بمجرّد جلوسه :"... أدرك أنّها تريـــد

[1] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، ص 17 .

إعداد طعام له ، فرجاها بإلحاح ألاّ تفعل ، و لكنّها أكّدت مصمّمة أن لابدّ من ذلك ، وأنّها لا تشكو أيّ شيء يعيقها على العمل... " [1]

فالعجوز " رحمة " على الرّغم من فقرها من ناحيّة و مرضها من ناحيّة أخرى ، لم يمنعها ذلك من إكرام ضيفها " رابح " الذي طهت له الزّميتة ، و هي أكلة شعبيّة معروفة لدى المجتمع القروي ، " فخيرة " لا تختلف عن العجوز " رحمة " في جودها و كرمها ، إذ أنّها بمجرّد سماعها بمرض العجوز : "... قامت تعدّ ما حضر من دقيق و سمـــن و فلفـــل و قدّيـــد لتأخذها معها إلى المريضة " [2].

بما أن الحالة الماديّة ميسورة لعائلة " عابد بن القاضي " تتكرّم " خيرة " بإعداد أطبـــاق مناسبة لتأخذها إلى العجوز " رحمة " بسبب حالتها الصحيّة المتدهورة .

و نلحظ شيئا آخر و هو أن الرّجال الرّيفيّين أيضًا مضيافون إذ إنّ " عابد بن القاضي " يقول : "... و ليس الضّيوف وحدهم الّذين سيتناولون الطّعام فيها ، بل كلّ السكّان الحاضرين سواء دُعوا للغذاء أم لا "[3].

فمن الصّفات الّتي يتميّز بها سكّان القرى عن المدن أنّهم أهل جود و كرم ، إذ أنّهم لمّا يقومون باحتفال ، فإنّهم يشركون عامّة السّكان سواء كانوا معزومين أو لا . و يقول " عابد بن القاضي " في موقف آخر : " و أيّ مناسبة أغلى من مناسبة الاحتفال بالشّهداء ؟ إنّ الثّمن يهون أمام من ضحّوا بالنّفس ، إنّها فرصة العمر يا أخي ، لتذبح اليوم كلّ غنمي ، أليس للذّبح خلقت ؟ "[4] .

فمن شيّم أهل القُرى اتّصافهم بالجود و الكرم ، و " عابد بن القاضي " كما ذكرنا هو خير مثال على ذلك ، إذ إنّه أقام لسكّانه وليمة ، و أعدّ لذلك خِرافًا مشويّة .

---

[1] المصدر نفسه ، ص 124 .

[2] المصدر نفسه ، ص 138 .

[3] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، ص 47 .

[4] المصدر نفسه ، ص 55 .

و كما نذكر موقف آخر " لابن القاضي " إذ إنّه لمّا ماتت العجوز " رحمة " تكـــرّم بكلّ ما يحتاجون إليه في الفدية ، و يتّضح ذلك بقوله : " أنا سآتي بالأواني و الفراش و كلّ ما يحتاج إليه، ونقيم الفدوة هنا،لكنّ الذّبيحة لا يمكن أن نشتريها والغنم موجودة أنا أختار كبشا أو اثنين إذا لزم "[1].

بعد وفاة العجوز " رحمة " أراد " ابن القاضي " أن يقوم بالفدوة على روح الفقيـــدة فأحضر كل ما يلزم من أواني و فراش من بيته ، و اختار كبشين من غنمه لـــذبحها في ذلـــك اليوم.

إنّ من كثرة تماسك أهل القرية ، و تضامنهم بعضهم مع بعض ، تأثّر " مالك " من هذا السّلوك و نلحظه في المقطع التّالي:"وكان مالك عندئذ جالسًا في مكان قرب الدّار ، فأدهـــشه ما يرى من جموع القادمين نحو بيت العجوز، و ما يحملون معهم ؟ و أحسّ بالدّموع تملأ عينيه تأثّرًا من روح الشّهامة الّتي أبداها السّكان رغم ما يحيون فيه من بؤس و خصاصة ... و هـــو يرى ذلك التّعبير الجماعي الرّائع من طرف السّكان نحو امرأة وهبت حياتها للعمل حتّى آخـــر لحظة "[2].

اندهش " مالك " من أهل القرية ، فسرعان ما سمعوا نبأ وفاة العجوز " رحمة " ، حتّى أقبلوا أفواجًا أفواجاً حاملين معهم مساعدات مختلفة لإقامة الفدوة عندها فكلّ واحـــد علـــى حساب إمكاناته، هناك من حمل إلى بيتها دقيقا ، و هناك من جاء بسمن أو لبن أو شاة : " و حتّى الحطب فكّر فيه الحطّابون في ذلك اليوم ، فلم يحتطبوا للبيع كعادتهم ، و لكن للمشاركة في إقامة حفلات الدّفن "[3].

و من بين الحطّابين الّذين قاموا بهذا العمل الخيري نجد "رابح"، الّذي اشـــتغل في مهنـــة الحطب، فعلى الرّغم من فقره و حالته الاجتماعيّة المعوزّة جلب الحطب من الغابة لدار الفقيدة

[1] المصدر نفسه ، ص 170.

[2] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، ص 171.

[3] المصدر نفسه ، ص 171.

من أجل الطّبخ ، و كأنّها أبسط مشاركة له، و هذا من سمات و أخلاق الرّجل القروي فهو ينفق أبسط ما لديه ، المهم مساهمته في هذا العمل الخيري .

و بالتالي نستنتج أنّ الجود و الكرم صفة حميدة وعريقة،يتّسم بها خاصّة أهل القرى والمداشر، إذ لّما يحلّ ضيف عليهم، يقومون بالطّبخ بإعداد الأكل والشّراب وقرع الطّبول في بعض المناسبات،و لِمَا لا الإتيان بفرق فولكلوريّة إن كان الضّيف ذا قيمة و مكانة عاليّة في المجتمع إذ إنّ هؤلاء القرويّين ينفقون على الضّيف بسخاء شديد و لو كان بهم خصاصة .

و تبقى البيئة القرويّة العنصر الفعّال في رواية " ابن هدوقة " ، إذ إنّ هذا المجتمع يبقى صاحب هذه الصّفة المتميّزة ألا وهي:صفة الجود والكرم،وذلك لأنّهم أناس مضيافون،ونلمس ذلك من بساطتهم و بساطة عيشهم الكريم .

د- اللاّمبالاة :

إنّ اللاّمبالاة تصرّف حيّادي يمتاز به بعض الأفراد ، و ذلك لعدم تكيّفهم مع ذلك الوسط المعاش ، إذ أنّ " جميل صليب " عرّفها بأنّها : " اللاّمبالاة شعور المرء بالحياد الانفعالي إزاء غيره ، أو عدم إحساسه بما يصيب غيره من خير أو شر... و أنّها وقوف المرء موقف محايد إزاء الآراء المتعارضة ، بحيث لا يرجّح أحدهما على الآخر بعقله ، و لا يميل إلى أحدهما دون الآخر بقلبه ، و إذا كان المرء يتوقّف في بعض الأحيان على الحكم في بعض المسائل بالإيجاب أو السّلب ، فمردّ ذلك إلى عدم مبالاته بها..."[1].

كما أن اللامبالاة هي نتيجة الظّروف السيّاسيّة والاجتماعيّة الّتي تمّر بها المجتمعات الرّيفية، والّتي كانت خاضعة لنظام العبوديّة و الاقطاع ، و هيمنة الاستقلاليّين على تفكير و تصرّفات الفلّاحين ، وعدم الاكتراث بتحسين ظروفهم المعيشيّة والاجتماعيّة ، ليزيدوا من حدّة استغلالهم هذا من جهة و من جهة أخرى نجد لامبالاة " نفيسة " عن الأمور الدّينية مثلا ،

1 جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الانجليزية و اللاتينية ، ج2 الشركة العالمية للكتاب ، ش.م.ل. دار الكتاب العالمي 1994 م.1414 هـ ، ص 268

أو " رابح" الّذي لا يبالي بما يجري في القرية ، و هذا المثال خير دليل على لامبالاة المسلم في القرية بالأمور

الدّينية كالصّلاة : " لست أدري لمن تبنى هذه المساجد ؟ النّاس لا يصلّون ، و لا يعملون ، فمنذ الاستقلال وهم لا يعرفون إلاّ القيل والقال "[1].

فعلى ضوء هذا القول نرى التخلّف الاجتماعي سائدًا بين أوساط المجتمع الرّيفي إذ أنّهم لا يهتمّون لا بالأمور الدّينيّة كالصّلاة،لقلّة الحملات التّوعويّة والتّثقيفيّة بينهم،هذا من جهة،و من جهة أخرى اهمالهم للأمور الدّنيويّة كالعمل الّذي يعتبر مصدرًا لاكتساب الرّزق، ممّا جعل الفقر ينتشر في وسطهم المعيشي بسبب التّواكل و التّكاسل ، فلا ينشطون إلاّ في اجتماعاتهم المستمرة في المقاهي و اهتمامهم بالقيل والقال، والتجسّس على بعضهم البعض،وهذا كله من أجل تمرير الوقت .

و تقول " خيرة " في موضع آخر مستاءة من لامبالاة ابنتها بها : " هاهي ذي ابنتي إلى جانبي لا تحرّك ساكنًا ، ولا تأبه لدموعي أو أحزاني... " [2].

نستنتج من هذا القول أنّه لا وجود لعلاقة بين الأمّ وابنتها ،إذ إنّ " نفيسة " لا تأبه لدموع أمّها ولا تشاركها في أحزانها، وهذا ما جعل الأم تتضايق من سلوك ابنتها غير اللّائق،وبهذا العمل الشّنيع جعل الأم تسترجع ذكريات الماضي في معاملتها لأمها إذ قالت : " أنا كانت دموعي امتدادا لدموعك يا أمّاه و كان سروري بسرورك... "[3] .

فلو جعلنا مقارنة بين تصرّفات" نفيسة "مع أمّها "خيرة"،و تصرّفات هاته الأخيرة مع أمّها ، لوجدنا فرقًا شاسعًا إذْ أصبح هناك نوع من التحجّر والقسوة ،ونشوء فجوة عميقة بين الأمّ و الابنة، إذ انعدم الحوار والنّقاش بينهما في أبسط المواضيع وهذا طبعا لظروف القرية من عادات وتقاليد، إذ لا يجوز للبنت أن تناقش أمرًا أو تصدّه أمام أهلها.

[1] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، ص 22 .
[2] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، ص 24.
[3] المصدر نفسه ، ص 24.

كما أضافت " خيرة " قائلة : " لم تفكّر يومًا في مساعدتي و هي تراني كلّ يوم أوّل من يقوم صباحًا و آخر من ينام مساءًا "[1].

إنّ من شدّة كسل و خمول "نفيسة" جعل الأم تشتكي من حالتها للعجوز "رحمة" إذ إنّها لا تُبالي بأمّها ولا تساعدها حتّى في أبسط الأمور ولا ترأف بحالتها على الرّغم من أنّها أوّل من تنهض و آخر من تنام ، وهي الوحيدة الّتي تهتمّ بشؤون المترل كلّه، فهذا التّهاون من"نفيسة "ماهو إلّا دليل على عدم مبالاة الفتاة بأمّها.

ونجد شخصيّة أخرى لامباليّة بشؤون الحياة أو القرية وهو"رابح" إذ إنّه من بين الأشخاص القلائل الّذين لايهمّهم كثيرًا ما يجري في القرية سواء في هذا اليوم أو في غيره من الأيّام ؟ " ... رابح لا يهمّه ما يجري في القرية "[2].

إن من شيّم رجال القرية التجمع في المقاهي من أجل الثّرثرة ،و تداول أحاديث النّاس فيما بينهم وأخبارهم من أجل ملءِ الفراغ ، أمّا "رابح" فهو شخصيّة استثنائيّة تناقض سكّان القرية ، فلا يهتّم بتلك التّجمعات بل يحبّذ العزلة و قضاء وقته مع الأغنام ، وقد جعل من النّاي أنيسه الوحيد الّذي يعبّر به عمّا يجول في خلجات نفسه من أحزان و آلام على شكل أنغام تنساب بانسجام و جمال.

و في موضع آخر وضح "ابن هدوقة " لامبالاة مسؤولي البلديّة بشؤون القرية و أحوالهم، وقد كان ذلك على لسان المعلّم "الطاهر"،إذ قال :"... والبلديّة لم تعمل شيئًا لا ضدّ هذا ولا ذاك ...الذّباب لم يخلق في السّماء وإنّما في الأرض، في أرض القرية، فيما يملأها من قاذورات ، والبلديّة هي المسؤولة عن النّظافة "[3].

---

[1] المصدر نفسه ، ص 28.

[2] المصدر نفسه ، ص 43 .

[3] المصدر نفسه ، ص 79.

نظرا لكثرة التّهاون من طرف مسؤولي البلديّة، وعدم اهتمامهم بشؤون القرية، أصبحت القاذورات والنّفايات متراكمة، وهاته الأخيرة تسبّب انتشار الحشرات الضارّة، الّتي تنتج عنها أمراض وأوبئة خطيرة تهدّد حياة سكّان القرية .

و تبقى اللاّمبالاة تصرّف غير لائق ولا حضاري، يصدر من جرّاء عدم قدرة المرء على حلّ المعضلات الّتي تواجهه، أو ضعفه أمام تحدّيات الحياة ، وبذلك يبدي عدم اكتراثه للأمور، وعدم اهتمامه بالنّتائج لسوء الإرادة مثلا، وبالتّالي التهرّب من المسؤولية ، وهنا نشير بخاصّة إلى الرّيف الجزائري ، ومن ضمنه القرية الّتي تعيش فيها " نفيسة "،إذ نجد هذا السّلوك طاغٍ في وسط القرية كما وصفه " ابن هدوقة " في صفحات روايته .

هـ-التخلف :

هو عدم القدرة على مواكبة العصر والحضارة ،أي هو العودة خطوات إلى الخلف في كلّ المجالات، والتمسّك به ،ومن بين الأقوال الّتي ذكرها "ابن هدوقة"على لسان "نفيسة"،والّتي عن طريقها يبيّن شدّة تخلّف سكّان القرية الّتي تعيش فيها:"... يا للمأساة إننا نعيش في القرون الوسطى،منذ ولدنا و نحن نسمع أنّ الموت لا مردَّ له فصار أملُنا الثّابت في الحياة هو الموت "[1].

فـ"نفيسة " هنا تشبّه حالة القرية بالموت والتحجّر، وتحكم على أهالي القرية بالتخلّف وذلك انطلاقًا لما لاحظته في الفترة الّتي ماتت فيها العجوز"رحمة"، والدّافع الّذي جعلها تقول هذا الكلام أنّها التمست فرق كبير بين العيش في المدينة و العيش في الرّيف،إذ أنّ هذا الأخير يتمسّك بقوانين متخلّفة موروثة منذ الأجيال .

و نجد "مالك"هنا أيضًا قد عبّر عن التخلّف الّذي يتخبّط فيه أهل القرية فقال :" إنّ الثّورة المسلّحة حرّرتنا من الاستعمار،و لم تحرّرنا من الأوهام ،يجب القيّام بثورة أخرى لكن من يقوم بها؟المدرسة وحدها لا تكفي..."[2].

[1] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، ص 22 .

[2] المصدر نفسه ، ص 178.

و هذا دليل على أنّ الشّعب الجزائري لا يزال يعيش في فترة السّبعينات و ذلك في نطاق التخلّف والتدهور،خاصّةً في القرية الرّيفيّة ،ومازالوا يتمسّكون بالمعتقدات الّتي لاوجود لها ، ضف إلى ذلك الأميّة السّائدة،وكثرة البطالة آنذاك الّتي تنمّ عن التّراجع الفكري، فكما يقول"مالك" حتّى المدرسة لا تستطيع أن تثقّف؛ إذا نشأ الجيل الجديد بمعتقدات آبائهم ، ووضعيّتهم الثّقافيّة،لأنّ المعتقدات في حدّ ذاتها هي وجه من وجوه التخلّف، وهذا الحوار الّذي جرى بين والدي"نفيسة"

يؤكّد ذلك،قالت الأمّ:"... من يدري؟ربّما أصابها صرع ،فالحالة الّتي كانت عليها تدلّ على ذلك"[1] إلى أن يقول"ابن القاضي ": " سأعود إلى القرية لأستقدم الطّالب ... "[2] .

بما أنّ والديّ "نفيسة" محدودا الثّقافة طغى على فكريْهما بصمة من التّخلّف، ويتجلّى ذلك في طريقة تفكيرهما ،فعندما أغمي على ابنتيهما فأوّل ما بدر في ذهنهما أنّ البنت أصابها صرع من

الجنّ، و لم يذهب تفكيرهما إلى أنّ سبب مرضها هو سبب عضوي أو نفسي، و ما زاد الطّين بلّة، هو ذهاب"عابد بن القاضي"مسرِعًا إلى القرية المركزيّة لإحضار الطّالب المدعو"الشّيخ حمّودة"،والّذي يعتبر هذا الأخير من بين المشعوذين المشهورين آنذاك في القرية الّذي يُنْصَح به في مثل حالات"نفيسة".

نستخلص أن التمسّك بالخرافات و الإيمان بالسّحر والشّعوذة،وبالمعتقدات الشّعبية وبالأساطير ماهم إلاّ وجهًا من وجوه التخلّف الاجتماعي،خاصّة في البيئات القرويّة حيث يسود الجهل،والنّاس هناك يؤمنون بمثل هذه الأشياء التي لا وجود لها.

[1] المصدر نفسه ، ص 209.

[2] المصدر نفسه ، ص 210.

2- التجليات النفسية في رواية "ريح الجنوب":

أ- النّـــفسيّة المحطّمة:

هي اضطراب لشخصيّة الإنسان وتحوّل لسلوكه،إذ إنّه يصبح لا مبـــالٍ ولا مكتـــرث بمشاعر الآخرين،وهذا ينتج من كثرة الضغوطات الّتي يعيشها الفرد من حولـــه،والّتي ولّـــدتها البيئة (القرويّة) الّتي يحيا فيها، فتصبح في داخله حرب نفسيّة لا هروب منها،إذ إنّ أيّ شـــيءٍ يصبح لا معنى له ولا ذوق فيه،وهذا اضطراب متمّم لظاهرتي: الاكتئاب واليأس منها ما مثّله الكاتب في صفحات روايته.

ومن بين الأقوال الّتي تُوحي بتحطّم نفسيّة شخصيّات الرّواية والّتي كان سببها حالـــة البيئة القرويّة المتّسمة بالسّكون والصّمت وطغيان للعادات والتّقاليد الجـــائرة، نجـــد قـــول "نفسية": "أكاد أختنِق من هذا السّكون وهذا الصّمت! أمّي فرحت برجوعي...مسكينة أمّي، لو عرِفت الجزائر لبكت لرجوعي"[1].

كانت الحالة النّفسيّة "لنفيسة"محطّمة من جرّاء السّكون والصّمت اللّذين كانا ســـائدين في القرية فما جعلها تقول ذلك هو التماسها لتلك التّناقضات الموجودة بين المدينة والقريـــة، حيث أنّها في البيئة الأولى تحسّ بالحريّة، فتكون مرتاحة البال والخاطر، أمّا في البيئة الثّانيـــة- القرية - فلا وجود للحريّة بسبب تلك القيود والأغلال المفروضة عليها ممّا يجعلـــها كئيبـــة، محبطة ، مشمئزّة من تلك المعاملة اللاّأخلاقيّة لها ولكلّ نساء القرية .

وهناك قول آخر لها يدعّم ما ذهبنا إليه في تحليلنا وهو:"...أمّي أيضاً تعتـــبرني صـــغيرة وتعاملني معاملة الطّفلة...أنا صغيرة ! إنّني أحسّ هذه الثّماني عشرة سنة الّتي عشتها كأنّهـــا ثمانيّة عشرة قرناً...كنت وأنا في سنّ الرّابعة عشرة أشعُر بعد بشخصيّتي كامرأة"[2].

هذا القول ما هو إلاّ مجرّد خواطر عابثة من "نفسية"الّتي كانت في حالة من الاضطراب، بسبب ما تحسّه من معاملة أهلها لها،واعتبارهم أنّها لا زالت طفلة صغيرة، في حين هي تـــرى

[1] عبد الحميد بن هدّوقة، ريح الجنوب، ص 08.
[2] المصدر نفسه، ص 10.

نفسها أنّها فتاة ناضجة، وهذا ما يجعلها تتقوقع على نفسها،ولا تلجأ إلى أمّها في الأوقات الحرجة، ولا تستشيرها في حياتها الخاصّة، ولا تلتمس منها يد العون والتّأييد في مواقفها، لأنّها تعرف مدى هيمنة أبيها على أمّها وتهميشه لها، فهذا القول ما هو إلاّ دليل على أنّ حياة "نفسية" وهي متواجدة في القرية- هي حياة تعيسة بائسة، لأنّها تحسّ في كلّ لحظة من الزّمن تمرّ عليها كأنّها قرناً من الزّمن،بسبب صرامة والدها الّذي يمنعها من الخروج،وعلى حسب ما هو متداول في القرية من عادات متوارثة، وقد أضافت في قولها أنّها كانت تشعر بنوع من الحريّة في صغرها،ربّما لعدم إدراكها في ذلك السّن لصرامة العادات والتّقاليد الخاصّة بقريتها،وتحسّ بأنّ لها شخصيّة كإمرة، أمّا حاليًّا فهي لا تحسّ بذلك الإحساس السّابق، إذ إنّهَا أصبحت تعدّ واحدة من نساء القرية (تطبّق عليها قوانين قريتها الصّارمة).

كما أنّ "نفيسة" أضافت في وقول آخر:" أكاد أتفجّر،أكاد أتفجّر في هذه الصّحراء! وفاضت عيناها بالدّموع وأردفت قائلةً كلّ الطّلبة يفرحون بعطلهم،أمّا أنا فعطلتي أقضيها في منفى..."[1]

هنا تجعل مقارنة بين الحياة في الرّيف والمدينة، حيث تحسّ بالضّجر في الرّيف والانعزال والسّكون على خلاف العاصمة، كانت في تمام الحريّة والانفتاح، وبالتّالي فعطلتها الصّيفيّة تقضيها في ضيق وكأنّها في منفى.

ويوضّح الكاتب في موضع آخر من الرّواية مدى حزن و تحطّم نفسية البطلة " نفيسة "، حيث قال: "ارتمت نفيسة على أمّها الّتي جلست إلى جانبها فوق السّرير وانهالت بالبكاء، و لم تجد الأمّ ما تروّح به عن ابنتها إلاّ الدّموع، وبقيتا تبكيّان متعانقتين برهةً من الوقت"[2].

تلجأ "نفسية" هنا إلى حضن أمّها بعد ما تصل إلى درجة اليأس من حياة القرية ، والّتي تحكمها العادات والتّقاليد البالية، فتنهال دموعها معبّرة عمّا تخفيه في خلجات نفسها، فلا تجد الأمّ إلاّ بمبادلتها بدموع أخرى فرضتها عليها قساوة الحياة، وهي سلاح للمرأة تدافع بها عن نفسيّتها أمام غطرسة الرّجال كنوع من التّعبير عن الظّلم الاجتماعي.

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 10

[2] المصدر نفسه، ص 11

وتقول في موضوع آخر:"ومدّت يدها إلى المائدة الصّغيرة قرب السّرير، فأخذت كتابًا كان هناك...نظرت في عنوانه لحظات وقالت:هنا لا وجود للإخوة كرامازوف...ولكن عندنا الإخوة المستجمرون"[1].

فما جعلها تذكر كلمة المستجمرون هي حالتها النّفسية الكئيبة المستجمرة من نار وحطب تمرّ بها حالياً،وقد استوحت لفظة المستجمرون من كلمة الجمر،وما تعانيه من تلك الضغوطات الّتي تحيط بها، لأنّ الأوضاع تفاقمت عليها، والأمور تعقّدت في حياتها، والأبواب انغلقت وانسدّت في وجهها، وكلّ هذا راجع إلى ضغوطات القرية الّتي تعيش فيها حالياً.

إلى أن تقول "نفسية":"حتّى النّوم لا أستطيع أن أنام ، ليتني لو نمت حتّى تنقضي هذه الشّهور...كلّ شيءٍ هنا يحرّم الخروج، حتّى الشّمس!...لكن أيّ فائدة من الخروج إلى الخراب؟ أظنّ أنّ القنابل الذريّة الّتي يتحدثّون عنها لا تستطيع أن تجعل مكاناً أشدّ خراباً من هذه القرية...الصّمت، الصّمت، الصّمت ! أكاد أجنّ من هذا الصّمت، قد تكون يقظة الموتى في أجداثهم تشبه يقظتي هذه ،جدران أربعة و سقف من خشب،وصمت ! أكاد أختنق من هذا السّكون و هذا الصّمت !"[2].

فهذا القول يدل على أنّ "نفيسة"ضاقت نفسيّتها بسبب ما تعانيه في وسطها الاجتماعي القروي إلى درجة إحساسها بالإختناق من جو القرية وكأنّما هي في سجن، وذلك بسبب تخلّف القرية الّتي تختلف اختلافًا جذريًّا عن العاصمة،وبالتّالي نشهد هنا تحطّم نفسيّتها.

أمّا "الطّاهر"معلّم القرية فقال في نفسه:"...أليس من الجنون أن أبحث عن الزّواج وأنا أحيا في هذه الغرقة؟غرفة ليتني أملكها، غرفة المدرسة!ما أشقاني بغباوتي، ليس لي حتّى السّكن، وأفكّر في الزّواج...يا لها من سعادة زوجيّة في غرفة ضيّقة،غرفة المدرسة، حتّى النّوم لا أستطيع أن أنام"[3].

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ، ص 13

[2] المصدر نفسه ، ص 08

[3] المصدر نفسه ، ص74.

فحتّى "الطّاهر" مرّ بفترة عصيبة من جرّاء الفقر اللّاذع الّذي عاشه ، وحرمه من امتلاك غرفة خاصّة به،لأنّه حاليًا يعيش في غرفة المدرسة، وهذه المعيشة المتردّية أدت به إلى ضغوطات نفسيّة جعلته يعيش في صراع داخلي مع نفسه،وكلّ ما ذكرناه هو تعبير عن نفسيّة محطمة لهذا الشّاب، ممّا جعله يصف نفسه بصفتي: الشّقاوة والغباء، ضِف إلى ذلك أنّه جعل نفسه ضمن شريحة المعذّبون في الأرض من خلال قراءته لعنوان كتاب:"المعذبون في الأرض" لـــ"لطـه حسين"،الّذي كان موجودًا فوق المنضدة،إذ أنّه يقول:"المعذّبون في الأرض أنا واحد منهم"[1].

نستنتج أنّ الدّافع الرّئيس الّذي جعل أفراد رواية"ريح الجنوب" تــتحطّم نفــسيّتهم في بعض المواقف، هو ذلك الواقع المرير الّذي يعيشه المجتمع من قيود محتّمة عليهم، والمــصائب الجمّة الّتي وقعت لهم.

ومن هنا يمكننا القول بأنّ البيئة القرويّة في الرّواية تثير الكثير من الجوانـــب النفـــسيّة السّلبيّة في ساكنيها مثل الضّجر والملل والمعاناة والضّيق النّاتج عن عدم تحقيق آمال هذه الفئة من السكّان، نظرا لافتقار هذه البيئة لشروط الحياة الملائمة لعيْش الإنسان عيشةً كريمة وتلبيّة احتياجاته الجسديّة والمعرفيّة أدّت بأفرادها إلى الوقوع في عدّة مشاكل نفــسيّة و إلى تحطّــم نفسيّتهم.

ب-الحـــــزن:

هو نتيجة حتميّة لواقع مفروض على فئة من الأفراد،وهو ظاهرة نفسيّة تطغــى علــى الانسان بعد انسداد الأبواب في وجهه، إذ تتملّكه سحابة غامضة لا نــور بعـــدها، وتتـــأثّر نفسيّته، فيصبح عقله جامدًا، لا ينظر إلاّ في جانب السّلب، ويتملّكه الضّيق واللاّإنفراج بعــد هذه المحنة الّتي عاناها.

إنّ البيئة القروية نظرًا لجمودها وعدم وجود فرصة لتحقيق مطالب سكّانها ورغبـــاتهم، فإنّها تدفع بهم إلى الشّعور بالحزن نتيجة الإحباط الذي يعانون منه، حتّ وهم في قمّة الفرح، ونرى هذا الحزن يتجلّى في نفسيّة "نفسية"، وذلك من خلال سماعها للصّوت الّذي أطربـــه

[1] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ، ص 75.

"رابح" بنايه، وكان تعبيرًا عن نفسيّتها إذ أنّها:" منذ أن فتحت النّافذة وهي تسمع أنغام ناي حزينة متقطّعة آتيّة من بعيد ، أفرغ فيها صاحبها كلّ ما يفيض به قلبه من حنـــان ووحـــدة وشوق،أنغامًا صافيّة عذبةً كأشعّة القمر!"[1].

فتلك الأنغام الّتي كانت تسمعها" نفسية"هي عبارة عن ألحان للرّاعي "رابـــح" بحيـــث لعبت دورًا مهمًّا في رسم نفسيّتها، فهذه الأنغام تمثّل "لنفيسة" المخرج الوحيد الّذي تهرب إليه من قيود القريـــة،ولو كان هذا الهروب مؤقّتا،أي كلّما وجدت نفسها في مأزق.

ويبرز الكاتب في موطنٍ آخر حزن "مالك" وغيظه على فراق رفيقة دربه "زليخة"- هاته الأخيرة كانت ضحيّة من ضحايا الاستعمار ،إذ جاء كما يلي:" لم أره ضاحكًا منذ أن قتلت "زليخة"، إنّ حزنه مازال لحدّ الآن يملأ نفسه وحياته"[2].

فهذا القول دليل على شدّة حزن "مالك" على خطيبته "زليخة"، الّـــتي استـــشهدت في الثّورة، وأسفه عليها، فمنذ ذلك الحين لم ترتسِم البسمة على وجهه، وسيطر اليـــأس علـــى حياته.

نستشفّ ممّا سبق أنّ السّبب الرّئيس في حزن "مالك" هو تلك البيئة الّتي كان يحيا فيها، وهي بيئة مليئة بالصّراعات، وكل هذا أدّى إلى استشهاد زوجته.

ونجد تعبير آخر للحزن من طرف "رابح" في عدم عزفه، فقال عنه الكاتب عندما فقـــد مهنة الرّعي السّابقة، من جرّاء ما حصل له مع "نفيسة" فـــ: "شعر وهو طالع العقبة أنّ حياته ثقيلة خانقة جافّة، كالشّاة الميّتة، أو كهذه الحرارة الّتي يحسّها تنفذ إلى أعماق نفسه إلى داخل عظامه..."[3].

بعد أن أهانته "نفيسة" بنعته بأسوء النّعوت "الرّاعي القذر"، فربط القذارة بالرّعي، ممّا جعله ينقطع عن مهنته، ويحسّ بمأساة حقيقيّة وأنّ حياته ثقيلة وخانقة ، وشبّه نفسه بالـــشّاة

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب ، ص 13.
[2] المصدر نفسه ، ص 29.
[3] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ، ص 120.

الميّتة، وكلّ هذه النّعوت الّتي أطلقها على نفسه، كان سببه ذلك الحزن المسيطر عليه ، من جرّاء المعيشة القرويّة الّتي أدّت إلى ظهور الطّبقيّة، والتّقليل من شأن الفقراء.

ومن هنا يمكن القول إنّ المحيط الرّيفي الّذي تكلّم عنه الكاتب في روايته، أدّى إلى الإحساس بالحزن، وقد ارتسم على معظم شخصيّات الرّواية لكثرة ما عانوه من صدمات وكدمات نفسيّة، كانت وليدة للبيئة القرويّة المتخلّفة "كنفسية" الّتي أحسّت بهذا الإحساس بمجرّد رجوعها إلى قريتها، وبقائها محجوزة في حُجرتِها، لأنّها أحسّت بذلك الفارق الموجود بين المدينة والرّيف، و"مالك" الّذي كان سبب حزنه هو موت خطيبته "زليخة" بسبب الاستعمار الّذي كان موجودًا في القرية، وأيضًا نجد "رابح" فقد طغى عليه الحزن لإحساسه بتلك الفوارق الاجتماعيّة السّائدة في المجتمع الرّيفي.

ج- المعاناة :

إنّ المعاناة حالة شعوريّة سلبيّة يعيشها الإنسان إذ إنّ ألمه يكون داخلي أكثر من أن يكون جسدياً، وفي مجمله أن يقاسي الفرد في معالجة أمرٍ ما، بكدحه في شتّ مجالات الحياة، وبالتّالي فهي تتّصل بالألم وعدم السّعادة.

بما أنّ البيئة القروية هي بيئة متخلّفة وفقيرة فقد جعلت جلّ أفرادها يعانون، ومن النّماذج الّتي أوردها المؤلّف في روايته: معاناة كلّ من البطلة "نفيسة" و العجوز "رحمة" الّتي تعدّان من نماذج العنصر النّسوي، و"رابح" الّذي يعتبر ضمن قائمة الرّجال، إذْ إنّ "نفيسة":"رأت من بعيد العجوز رحمة صانعة الفخّار مقبلة في تعثّرٍ، تحمل فوق ظهرها قفّة من حلفاء يشدّها إلى صدرها حبل"[1].

يتجلّى لنا ممّا سبق معاناة العجوز "رحمة" في حياتها، على الرّغم من كبر سنّها، فهي تقوم بأعمال شاقّة كحمل القفف الثّقيلة على ظهرها وجلب الطّين من أدغال الغابة، هذا ما أدّى بها إلى ضعف صحّتها إلى درجة أنّها أصبحت تمشي بخطوات متعثّرة؛وكلّ هذا كان من أجل كسب قوت يومها وهي لا تختلف اختلافا كبيرا عن نساء القرية، وهذا القول يؤكّد ما

[1] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب، ص 15 .

ذهبنا إليه في تحليلنا:" كانت العجوز رحمة تمشي ألهوينا في كللٍ بيّنٍ ، رجلاها تتحرّكان في بطء وتعثّر كأنّهما تنتقلان فوق الشّوك"[1].

ونجد قول آخر أورده" بن هدّوقة" على لسان "العجوز رحمة"، وهي تحكي لزوجها الميّت في المقبرة:"ولكنّك تعرف ما أنا فيه، حتّى جسمي وهن وصرت لا أحمل قفّة التّراب من المِحفر إلى البيت إلاّ بعناءٍ ومشقّةٍ يوم الاثنين الماضي سقطت والقفّة على ظهري مشدودة، صارت أقلّ حركة مختلّة تهوي بي إلى الأرض..."[2].

نستشفّ ممّا سبق معاناة العجوز "رحمة" وشقاؤها في حياتها بسبب ما تعانيه في القرية الّتي تعيش فيها، لهذا أصبحت تحكي لزوجها الميّت عمّا يحصل لها في حياتها اليوميّة، وممّا تحسّ به، إذ أنّها من كثرة عملها في جمع التّراب وحمله على ظهرها، وهن جسمها، و لم تعد قادرة على حمل قفّة التّراب لإتمام عملها في صنع الأواني الفخّاريّة.

لقد وصف "بن هدّوقة" مشهد يؤكّد مدى شقاء ومعاناة العجوز في قريتها، فقال: "...لكنّها ما إن تحرّكت لتحلّ أوّل عقدة حتىّ تدحرجت بقفّتها إلى منتهى الحدر تدحرجًا مؤلمًا"[3].

هذا القول يبيّن فيه المؤلف كيفيّة تدحرج العجوز بقفّتها من أعلى المنحدر إلى أسفله، وذلك من شدّة ثقل قفّة التّراب، ومن إحدى معاناتها اليوميّة ما قاله عنها الكاتب:" أحسّت أنّ جسمها ازداد ثقله أضعافا،وصار كأنّه شيئًا خارجا عنها. وإنّما شدّ فقط إلى ظهرها بحبل وثيق كقفّة التّراب!جلست تستريح بيد أنّ الجلوس لم يرحها، وقد أحسّت أيضًا أنّ جسمها يزِن قفّة التّراب، وتمتمت في نفسها: هذا هو المرض! لا أقوى على وقوف ولا على قعود، فلم يبقى إذن إلاّ الفراش"[4].

---

[1] المصدر نفسه ، ص 15.

[2] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ، ص ص 22 .

[3] المصدر نفسه ، ص 118-119

[4] المصدر نفسه ، ص 139.

وقد وصفها الكاتب وهي في أسوء حالة، تحمل عبء الحياة لوحدها، ففي البداية أحسّت أنّ جسمها وهن، وازداد ثقلًا، فلم تستطع حتّى المشي،وبعد ذلك جلست لتستريح، فوجدت أنّ الجلوس لم يرحها،لأنّها كانت تحسّ أنّ رأسها يزن ما تزنه قفّة التّراب، ولهذا لجأت في الأخير إلى الفراش لتستريح من التّعب الّذي ألمّ بها.

فكلّ هذه المعاناة التّي تعيشها العجوز "رحمة" هي ناتجة عن الواقع والأوضاع المتردّية في القرية، جعلتها تبحث عن قوتها بعرق جبينها.

وقام أيضا المؤلّف بإبراز معاناة "نفيسة" بعد رجوعها من الجزائر إلى القرية لقضاء عطلتها الصّيفيّة،نجد ذلك واضحًا في قولها:" لم أدر أبدا أنّ لي ماضيًّا طويلا بهذا القدر، كان يجب أن أحيا هذه الحياة البائسة التّافهة لكي أدرك أنّ سنّ الثّامنة عشرة لا تخلو حياة صاحبتها من الذّكريات مهما كانت صغيرة وقصيرة...في الجزائر كان المستقبل وحده الّذي يهمّني، أمّا هنا فأين هو المستقبل؟".[1]

انطلاقا من هذا القول،نلاحظ أنّ "نفيسة" تعاني من الحياة المفروضة عليها في القرية الّتي تعيش فيها،إذ يجب عليها أن تحترمها ولا تخرج عن قرارها، لهذا فهي تحسّ بأنّ الحياة بائسة تافهة، فحتّى وهي في هذا السّن- سنّ الشّباب والمراهقة – تحرم كفتاة للتّعبير عن رأيها وحريّتها في

اتخاذ قراراتها بنفسها،ولذا فهي لا ترى أيّ مستقبل لها،إذ أنّ حياة الماضي ستتكرّر في مستقبلها وهذا ما لا ترضاه وتشمئزّ منه،كما أنّها قد تعوّدت على حياة الحرّية في "الجزائر العاصمة"، فكيف ستنطلق من الانفتاح لتعود إلى الانغلاق وحياة الملل و الرّوتين في الرّيف، فكان الحلّ في نظرها هو الفرار.

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص 216.

ولّما قرّرت الفرار في يوم الجمعة، لدغها ثعبان وهي في أدغال الغابة" فأحسّت بالألم يصعد من جسمها في عنف عنيف،كأنّه قطع من زجاج أو إبر،يشقّ شرايينها وعروقها شقًّا أليما،وأخذ الإغماء يطوف بخلايا رأسها،والغثيان يعصر قلبها عصرًا"[1].

فبعد لسع الثّعبان "لنفيسة"،أحسّت بألم عنيف يتصاعد معها من رجلها، بألم أشدّ من الشّوك والأعشاب الضارّة الّتي مرّت عليها في طريقها،فعانت منه إلى أن أحسّت بإغماء يطوف عليها،وكلّ هذا يعتبر من العوائق الّتي صدّتها من أجل تحقيق هدفها،ألا وهو الفرار من حياة عبوديّة الآباء والأزواج،الطّاغيّة في بيئتها الرّيفيّة المتخلّفة.

وهناك مثال آخر يبيّن معاناة شخصيّة أخرى ألا وهي شخصيّة"رابح" – الرّاعي- الّذي عاش حياة القساوة والعبوديّة تحت نير الاستعمار، ومظالم الإقطاع بعده،فأصبح بائسًا لا يهمّه شيئا في قريته، وحتّى لو أهمّه، فلا معنى له وذلك انطلاقا من هذا القول:" كانت الأخطار المحدّقة بمسعاهُ لا تعدُّ ، ولكن "رابح" لم يكن يفكّرُ فيها"[2].

وهذا لأنّ وعيُه محدود على حسَب مكانته الاجتماعيّة الّتي ينتمي إليها في القرية، وكلّ شيء في نظره مهما صعب فلن يهون، وذلك لاعتيّاده على هذه الحياة البائسة، الّتي حتّى ولو حارب من أجلها فإنّها لا تنصفه في أيّ حالٍ من الأحوال.

وهكذا تبقى المعاناة تحمل للشّدائد مهما صعبت،كالعجوز "رحمة" الّتي قاست من ظروف الحياة على الرّغم من كبر سنها، وغيرها من الشّخصيّات المذكورة في الرّواية. وهذا لطبيعة الفترة الّتي عاشها الشّعب الجزائري آنذاك من حرمان لحقوقهم، وكدحهم للمستعمر العصيب، ودونيّة انتمائهم لوطنهم.

ومن هنا يتجلّى لنا أنّ البيئة القرويّة في الرّواية،كان لها دور كبير في معاناة ساكنيها، وذلك بخضوعهم للقيود الّتي فرضتها عليهم العادات والتّقاليد الباليّة، ممّا ولّدت نوع من الاستسلام والرّضوخ لقوانين (القرية)، وكذلك لعدم توفّرها على وسائل الرّاحة لأهلها ممّا جعلهم يتخبّطون في مشاكل جمّة كالفقر اللاّذع،الّذي يعاني منه الأغلبيّة.

---

[1] المصدر نفسه ، ص 242.

[2] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص 105.

د- اليـــــأس:

يعتبر اليأس من الحالات المرضيّة النّفسية، التّي يمرّ بها المرء بعد أن ينقطع أمله في الحياة.إذ أنّ التوقّعات السّلبيّة تُجاه الحاضر والمستقبل تطغى على حياته،وهـــذه الحالـــة تكثـــر عنـــد الشّخصيّات الضّعيفة،خاصّة في البيئة القرويّـــة،فتعجز عـــن تحقيـــق الأهـــداف في مـــشوار الحياة،ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿ **وإِنْ مَسَّه الشّرُّ فيؤوس قنوطٌ**﴾[1]، والمجتمع الرّيفي نموذج لهذه الحالة، إذ إن اليأس يتملّك الأفراد نتيجة الحياة القاسيّة المعاشـــة وظروفهـــا المـــسيطرة: كالعادات والتّقاليد، احتقار المرأة في ذلك الوسط فتحرم من حقوقها وحريّة تعبيرها، وهـــذا بسبب هيمنة الرّجل عليها.

ومن بين هذه الأقوال الّتي تبرز هذه الحالة النّفسية ما ذكرته العجوز"رحمة" عن زوجها المتوفّى وهي في حالة يأس فقالت:" أنا جفّت عيناي من الدّمع، ثمّ لما البكاء؟ ما الفرق بـــين حياتي وموته؟ (زوجها)"[2]. فمن كثرة ما عانته العجوز"رحمة" في حياتها ومن كثرة ما ذرفتـــه من دموع في تلك القرية، وصلت إلى درجة أنّ عينيها جفّتا من الدّموع،وأصبحت تنظـــر إلى الحياة بمنظار أسود،وبالتّالي فلا وجود للفرق بين حياتها وموتها، إذ أنّ حياتها البائسة في ذلك المكان الاجتماعي وظروفه جعلها في حالة قنوط.

كما نلمس قولاً آخر يبرز يأس "نفيسة" من حياة القرية:" وشعرت أنّها داخل دهليـــز أسود لا يصل حتّى الحدس إلى نهايته، وأيد من حديد تدفعها بعنف إلى الأمام...قد تكـــون تلك الصّورة تمثّل المصير الّذي كانت تتصوّره إن هي انقطعت عن التعلّم، واضطرت للحيـــاة بهذه القرية المنعزلة ، صورة قديمة أخرجها من محيط اللّاشعور تصريح أمّها المفاجئ!...الـــتعلّم أمر ثانوي..."[3].

من خلال هذا القول نرى أنّ "بن هدّوقة" يحلّل نفسيّة البطلة "نفيسة"وهـــي في أشـــدّ لحظات اليأس القاتل، فقد شعرت في تلك اللّحظة بأنّها مخلوق أمره بيد غيره- أي أنّ أمرهـــا بيد أبيها- أو كأنها آلة يسيّرها والدها كيفما شاء، وكذا عيشها في تلك القرية المنعزلة النّائية

---

[1] سورة فصلت ، الآية 49.

[2] عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، ص 25.

[3] المصدر نفسه،ص 86.

الّتي تبعد بآلاف الكيلومترات عن القرية المركزيّة سواء بأفكارها أو تقاليدها، وغير ذلك من الأمور الّتي عالجها الكاتب في روايته، وانطلاقا من هذا نذكر القول المساند لذلك:"و لم تخطئ نفيسة عندما شبّهت حالتها النّفسية بالقطار الّذي يسير في خطٍّ واحد لا ينحرف عنه يمينه ولا يساره"[1]. وهو يأس من الحياة المفروضة عليها والمقيّدة لحرّيتها.

هناك مثال آخر يبيّن الطّريقة الّتي عبّرت بها "نفيسة" عن يأسها من هذه البيئة المتخلّفة إذ إنّ "...ضحك نفيسة من هذا المستقبل الّذي يفكّر في بنائه بالانقطاع عن التعلّم كان بشعاً إلى حدّ بعيد"[2]. فالسّبب الرّئيس الّذي جعل "نفيسة" تضحك هو يأسها من هذه الحياة لأنّها أجبرت بالانقطاع عن التعلّم ، بسبب عادات القرية ، وأنّ البنت لّما تصل إلى سنّ البلوغ يجب أن تتزوّج، فلا مجال للتّفكير لا في الدّراسة ولا في أيّ شيءٍ آخر غير ذلك.

و"ابن هدّوقة" ذكر في هذا الصّدد بأنّ:" ليس السّرور وحده الّذي يضحك ، فاليأس أيضًا يضحك"[3]. فانطلاقا من القولين السّابقين نرى معاناة الفتاة بسبب جمود هذه القرية وجمود الفكر البشري وتخلّفه، إذ لا يسمح للفتاة بإنهاء تعليمها وانحيازها عمّا ورثته القرية والرّيف الجزائري من عراقة في نظرهم، ولو كان متسلّطا في حقّها، وبالتّالي يجب على الفتاة أن تبقى دائما معبودة والدها أو زوجها، وغير ذلك مرفوض بتاتا، فكيف لا تيأس هذه الفتاة من حياتها ولا تكتئب؟

ونلمس قولًا آخر يبيّن يأس "مالك" من حياة القرية، ومن ذلك موت العجوز"رحمة" صانعة الفخّار الّتي اعتبرها سندًا له في أيّام مرضه وضعفه والأمّ النّصوح له في مجالات حياته هو وغيره،إذ إنّه إثر ذلك: "أصبح يتحدّث مع نفسه في قوله: لست أدري من منّا المسكين الحزين أأنا الحيُّ ، أم العجوز الميّتة؟"[4]. فالحزن الكثير الّذي سيطر على عقل وفكر "مالك " أكتسبه يأسا من الحياة وما فيها، إذ أن ما قاله دلالة على انقطاع أمله من الحياة في تلك اللّحظة المريرة، وهو تشاؤم لم يسيطر على"مالك" فقط، وإنّما على أهل القرية ككل .

---

[1] محمد مصايف، الرّواية الجزائريّة الحديثة بين الواقعيّة والالتزام ، ص194.

[2] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ،ص 86.

[3] المصدر نفسه، ص 175

[4] المصدر نفسه، ص 175

ويرجع " ابن هدّوقة" في صفحة أخرى ليبرز ضيق" نفيسة" إذ يقول: "أمّا نفيسة فبعد خروج الشّيخ حمّودة أحسّت بضيق ووحشة شديدين، وخيّل إليها أن الحياة في حقيقتها ليست إلّا عذابًا متقلّبا تقلُّب اللّيالي والأيّام،وإنَّ أشدَّ الأيّام سرورًا يصير أعظمها أسىً وأسفا بعد مروره، فالذّكريات الجميلة العزيزة هي الّتي يؤلمنا ضياع متعلّقاتها"[1].

إنّ المعاناة القاسيّة الّتي تعيشها هذه الفتاة في القرية جعلها تيأس من الحياة ومشاكلها، إذ إنّها لا تحسّ بطعم السّعادة، فكلّ أيّامها تتشابه، ومِن أتعس أيّام حياتها هو اليوم الّذي جلب لها "الشّيخ حمّودة " لمعالجتها، وهذا أقلقها وزاد من حدّة يأسها،لأنّه استعمل تقنيّات متخلّفة تتمثّل في السّحر والشّعوذة، وبما أنّها مثقّفة ولا تؤمن بهذه الخرافات، أحسّت بضيق ووحشة أكثر ممّا كانت عليه، وأصبحت تنظر إلى الحياة بمنظار أسود، لأنّ هذه الحياة في نظرها ليست إلاّ عذابا لا أكثر. فأصيبت بالإحباط الّذي أثّر على نفسيّتها بشدّة وفي مختلف النّواحي.

و يمكن أن نستنتج أنّ اليأس كان نتيجة للظّروف الاجتماعيّة الّتي خلّفتها المعتقدات السّلبية والعادات والتّقاليد المفروضة في قرية "ابن هدُّوقة"، ضف إلى ذلك الفشل أو عدم الصّمود، وبالتّالي يجب تحدّي العوائق والمشكلات بطريقة إيجابية ومعقولة، لأنّ اليأس يؤثّر على هؤلاء السّكان ، وينتج منه حالات أخرى: كالانطواء والعزلة، زد عمّا سبق تحطّم النّفسية الّتي تؤدّي إلى قرارات سلبيّة كالانتحار الّذي فكّرت فيه" نفسية"، أو الهروب الّذي كان كآخر حل لها من هذه القرية المشؤومة الفكر، وهو هروب لا مباشر من الواقع الضّاغط على أهل القرية ككل، وتمرّد على الأوضاع المؤلمة الّتي تقطع الأمل في مواصلة مشوار الحياة.

هـ ـ العزلة والانطواء:

هو أن ينعزل الإنسان عن محيطه الاجتماعي سواء أكان جسديّا أم فكريًّا، ومن بين الأسباب الدّاعية إلى ذلك، قساوة الظّروف الّتي يعيش فيها الفرد، وعدم شّعوره بالارتياح عند مخالطته للنّاس، وهذه الظّاهرة يمكن أن تنتج عن عوامل نفسيّة كـ: الضّجر وضيق النّفس، فعند قراءتنا للرّواية، شعرنا أنّ قرية"نفيسة" منعزلة تماما عن باقي المناطق الأخرى، والدّليل

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب، ص 26.

على ذلك هذا القول الّذي ورد على لسان "نفيسة":"...حتّى الطّبيب لا وجود له في هذه القرية الخاليّة"[1].

فهذا القول يبيّن أنّ القرية الّتي تكلّم عنها "ابن هدّوقة"، هي قرية خاليّة من متطلّبات الحياة: كالماء، العمل، وخاصّة الطّبيب الّذي يعدّ الأمر الأساس لمعالجة المرضى، فهذه هي طبيعة الرّيف الجزائري، مع أنّ بعض النّاس نبّهوا في هذه الأمور. لكن بحكم الفترة الاستعماريّة المظلمة الّتي عاشها الشّعب الجزائري آنذاك. ضف إلى ذلك: أنّ فترة السّبعينات كانت فترة نهوض جزئي أو بدائي،فلا تستطيع الدّولة أن توفّر كلّ المرافق الضّروريّة في المدن الكبرى، ما أدراك القرى النّائيّة المنعزلة.

وقد وجدت في الرّواية بعض الشّخصيّات المنعزلة عن بقيّة سكّان القرية ومن بينها:"رابح" راعي غنم "ابن القاضي" الّذي يُعرف بأنّه:" هو الشّخص الوحيد الّذي لا يهمّه كثيرًا ما يجري في القرية"[2] وذلك لانعزاله عن القرية بقضاء جلّ وقته في الغابة ، وقد صرّح عن ذلك بنفسه حيث قال :" أنا مغلق، لا أعرف شيئًا، أجهل حياتي، وحياة النّاس، عشت مع الغنم فصرت واحدًا منها، ما الفرق بيني وبين أيّ كبش"[3].

وهذا القول إثبات عن عزلته في هذا العالم القروي الصّغير، واهتمامه بغنمه فقط، فطبيعة هذا العمل الّذي يمارسه "رابح"، دفعه للنّهوض باكرًا و خروجه من منزله مع بزوغ الشّمس، ويبقى هناك إلى غاية غروبها وذلك لبقائه في الغابة مع غنمه.

وكذا طبيعة مهنته تفرض عليه ذلك، فجعلته إنسانًا منعزلًا حيّاديًّا عن أهل القرية، وأصبح يجهل حتّى حياته وحياة النّاس، فشبّه نفسه بالكبش، لأنّه يجهل كلّ ما يدور حوله من أحداث، بسبب عدم مخالطته لهم (أهل القرية).

"فرابح" يمثّل نوعًا من الانعزال في القرية، وذلك حتميًّا بسبب طبيعة عمله فانتماؤه للطّبقة الكادحة فرض عليه حياة العبوديّة الّتي لا مفرّ منها.

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ، ص143.

[2] المصدر نفسه ، ص43.

[3] المصدر نفسه،ص131

وحتّى "مالك" شيخ البلديّة كان يشعر بالعزلة ويحبّذ الإنفراد لوحده، والدّليل على ذلك قوله:"أحببت أن أنفرد فترة من الوقت ليس إلاّ..."[1].

فبمجرّد إحساس "مالك" بالملل من جرّاء صخب أهل القرية، والضّجيج الّذي أحدثوه هؤلاء القرويّين المتخلّفين في بيت العجوز "رحمة"، وذلك من خلال تطـرّقهم لمواضـيع لا يستفيد ولا يستفاد منها، فهذا السّبب جعله يخرج من البيت وينعزل لوحده فترة من الوقت، مبتعدًا عن همجيّة ذاك الجمع.

نستنتج أنّ هناك عدة أسباب تدفع الإنسان لينعزل عن غيره، ومن بينها طبيعـة المهنـة الممارسة مثلما هو حال "رابح"، وكذلك لوجود اضطرابات نفسيّة مثل الحزن والاكتئـاب، وهذا ما اتّسمت به "نفيسة" و"مالك". إضافة إلى وجود أسباب أخرى كالضّجر من المحـيط الاجتماعي، والانطواء الّذي سبق العزلة.

وما ذكرناه آنفًا ما هي إلاّ حالات نفسيّة كانت سائدة في القرية متحتّمة على أفرادها بسبب الأغلال والقيود المتوارثة، والّتي تحطّم آمالهم وتبرز آلامهم بطريقة أو بأخرى.

والانطواء صفة يتّصف بها الانسان، والسّبب في وقوعه تلك العادات والتّقاليد الجائرة في القرية الرّيفية حيث تفرض قوانين وقرارات شائكة فتجعل الإنسان قيد هذا التّفكير،إذ إنّ هذا الانطواء يكون لاشعوريًّا، فيلتفّ الفرد حول ذاته ، وينعزل فطريًّا عن غيره، فيصبح منفـردًا عن الجماعة وحيد الاهتمامات ، فلا يشارك رأي أحد، و"خيرة" زوجة "ابن القاضي" نموذج لهذه الحالة حيث:"كانت خيرة أمّ نفيسة لم تشارك في الحديث لا لعدم الاكتـراث، ولكـن طبعها كذلك"[2].

فمن كثرة ما تعانيه المرأة القرويّة من مشاكل وضغوطات نفسيّة في محيطهـا الأسـري الّذي تعيش فيه يولّد فيها نوعًا من الأمراض النّفسيّة، كالاكتئاب الّذي ينجم عنه الانطـواء، وهذا ما حدث لأمّ "نفيسة"- خيرة- الّتي أصبحت منعزلة عن عالمها الخارجي (القرية)، ولا

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص ص 179-180.

[2] المصدر نفسه ، ص 19.

تشارك الحديث مع أيّ كان، لأنّ الظّروف المحيطة بها أقلمتها على هذا السّلوك الّذي انطبع فيها، وأدخلها في قوقعة الحزن والانطواء اللاّإرادي.

"فابن هدّوقة" أبرز هذا المرض النّفسي في روايته بغية محاربته والقضاء عليه لأنّه منتشر كثيرًا في مجتمعنا خاصّةً المجتمع الرّيفي، الّذي عجز عن تحقيق المطالب البسيطة للفرد، وبسبب عدم تحقيقها دخل بعض النّاس في الانطواء والعزلة الّتي نجمت عن صدمات نفسيّة نشأت بدورها من جرّاء العقليّة الرّيفيّة المتخلّفة.

و- الضّجر:

يعدّ الضّجر من الصّفات الّتي يعاني منها الإنسان يوميًّا ، لأنّه ينتج عن قلّة الثّقة بالنّفس، ولأنّه يفتقر إلى أشياء محببة لديه لا يستطيع الوصول إليها، فتصبح نظرته إلى الكون نظرة تشاؤميّة، كالظّلام القاتم، فيرى كلّ شيء من حوله أسود، ومن أسبابه أيضًا قلّة الصّبر، وقلّة التحكّم في النّفس، وهو ما حدث "لنفيسة"في الرّواية بضجر من القرية ككلّ سواءً بعاداتها أو طريقة تفكير سكّانها خاصّة عن المرأة ونظرتهم الدّونيّة لها .

ومن بين الأقوال الّتي جاءت عن الضّجر: الحوار الدّاخلي الّذي جرى في نفسيّة "خيرة" قائلة: "انتصف النّهار وهي لا تزال منبطحة في الفراش؟ من يرضى الزّواج من امرأة نؤوم، أبوها يجهد نفسه ويبذل أمواله لكي يخطبها منه شيخ البلدية...يظنّ أنّ ابنته لا تجاريها فتاة...ما فائدة قراءتها بالنّسبة لزواجها،إذا لم تكن تحسن كل ما يتعلق بالمترل..."[1].

جرى هذا الحوار في نفسيّة الأم بسبب ضجرها من ابنتها "نفيسة" لأنّها لم تتّصف بصفات المرأة القرويّة، بل كانت عكس ذلك، لأنّها تستيقظ في وقت متأخر (منتصف النّهار) وهذا مالا يرضاه أيّ رجل من الفتاة الّتي ينوي الارتباط بها، فقد كان أبوها يبذل كلّ ما في وسعه من أجل تزويجها برئيس البلديّة، لأنّه يظنّ أنّ ابنته هي المثال الأعلى الّذي يحتدى به في القرية، لكنّها في الحقيقة كانت عكس ذلك بدليل أنّها لا تحسن القيّام بشؤون المترل ، كالطّبخ: مثلاً في إعداد القهوة، وهذا ما لمسناه في أوّل صفحات الرّواية، ولهذا فهي تخالف

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب، ص 12.

المرأة البدويّة، وتخالف عادات نسائهنّ، كاهتمامهنّ بشؤون المترل أو احترافهنّ لحرفة معيّنة ، كالعجوز "رحمة" صانعة الفخّار.

ولقد جاء قول آخر يؤكّد ضجر "نفيسة" من عيشها في القريـــة، إذ قالـــت للعجـــوز "رحمة": "أرغب في ذلك يا خالة ؟ أودّ أن أرى الدّنيا ، إنني اختنقت في هذا السّجن"[1] ،وهذا قول جاء في شأن ذهابها إلى المقبرة من أجل تغيير الجو.

وقام "محمد مصايف" بتفسير مقنع لهذه المقطوعة، إذ قال عن ذلك الإحساس المأساوي الغريب الّذي تحسّ به "نفيسة" ،هو رهيب لأنّها تجد نفسها سجينة في حجرة ضيّقة، و لم يبق لها محاولة الخروج من هذا السّجن الّذي يطوّقها ويضغط على نفسيّتها إلاّ التّشاور مع العجوز "رحمة" علّها تشفق عليها وتُمدَّ لها يد المساعدة[2]. وما كان بمقدور العجـــوز إلاّ أن تـــدعوها لمرافقتها إلى المقبرة قصد التّرويح عن نفسها. أو كما قالت العجوز، على الأقل لتسرّح رجليها من كثرة مكوثها بتلك الحجرة. ويقول "بن هدّوقة" في صفحة أخرى عن كثرة ضجر هاتـــه الفتاة والّذي فاق حدوده من القرية: "بقيت مضطجعة في سريرها الصّغير وعيناها تجولان في سقف الحجرة تعدّان ألواحها: 7 ،14 ، 21 لوحة...كم عددت هاته الألـــواح، عـــددها وأعدّها بالرّغم منّي ومادمت أحيا هنا..."[3].

فمن كثرة سأم "نفيسة" من هذه القريـــة الموحـــشة، المليئـــة بـــالقيود، والعـــادات والتّقاليد،أصبحت تعدّ لوحات سقف حجرتها بالرّغم عنها وتطبّقها على فترات حياتِها، ضف إلى ذلك الفراغ الصّاخب الّذي لا أمل في ملئه ، ليس كحياة العاصمة الّتي عاشتها، إذ إنّها لا تجد الفراغ حتّى للرّاحة.

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ، ص 20.

[2] تنظر، الرّواية العربيّة الجزائريّة بين الواقعيّة والالتزام ، محمد مصايف ص ص 194 ، 195.

[3] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 09.

ويضيف المؤلف هذا القول ليبيّن مدى ضجر"نفيسة" حين قال:"...لكنّ نفيسة لم تستطع نوما، تقبلّت عشرات المرّات في فراشها، وأغمضت عينيها العشرات، فلم يزدها التقلّب والإغماض إلاّ أرقاً على أرق"[1].

إنّ ما تعانيه" نفيسة" من القلق والضّجر في هذه الفترة، جعلها لا تستطيع النّوم في اللّيل، إذ تتقلّب عشرات المرّات في فراشها ممّا ولّد لها أرق على أرق، وهذا بتأثير من جوّ القرية الكئيب وسلطته المتسلّطة.

ونجد أنّ "الطّاهر" يتضايق من أهل قريته، إذ إنّ تجمّعاتهم المذمومة ومزمارهم الّذي أفضى ضجّة صاخبة وعارمة أزعجته، فوصفهم بالحيوان إذ قال: "لكأنّه حمار ينهق؟ إنّ عقول هؤلاء كعقول الضّفادع فبدل أن ينصرفوا إلى شؤونهم، ويدَعوا غيرهم يستريح، أخذت نقنقتهم الرّكيكة تملأ الجوّ ضجّة"[2].

كما أنّ المعلم "الطّاهر" أحسّ بضجر من جرّاء قومه ، حيث انبثق منهم ضجّة كبيرة، ودليل ذلك أنّه شبّه صوتهم بنهيق الحمار،وعقولهم بعقول الضّفادع، وقد وصفهم بهذه الصّفات والنّعوت، لأنّهم من الطّبقة المتخلّفة.

نستخلص أنّ الضّجر ناتج عن الحالة النّفسيّة الّتي يكون فيها الفرد من جرّاء الضّغوطات الّتي يتلقّاها من البيئة الّتي يحيا فيها، ممّا يؤثّر على سلوكه وتصرّفاته، وكلّ هذا جلي في شخصيّات الرّواية .

فالقرية في رواية "ريح الجنوب" يؤثّر تأثيرًا نفسيًّا سلبيًّا على ساكنيه نظرًا لافتقاره لوسائل الرّاحة وافتقاره للمعرفة وكلّ هذا يولّد الحزن والمعاناة واليأس ... في أفراد القرية.

[1] المصدر نفسه ، ص 103.

[2] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ،ص121

ز.الصدمة النّفسية :

هي حالة من الاضطراب في المشاعر والتي غالبًا ما تؤدّي إلى حدوث الاكتئاب،فـــ" ماينكبوم" "يرى أنّ الصّدمة تشير إلى حوادث شديدة و عنيفة ، و تعدّ قويّة و مؤذِيَّة و مهدّدة للحياة ، بحيث تحتاج هذه الحوادث إلى مجهود غير عادي لمواجهتها و التّغلّب عليها "[1] .

ومن المقاطع المقتطفة من الرّواية والّتي تبيّن هذه الحالة الّتي أصابت كلّ من خيرة ومالك ونفيسة ورابح ...

نبدأ بالأمّ " خيرة " حيث تلقّت صدمة نفسية بسبب تصرّفات ابنتها ، وهي متواجدة في المقبرة ، ممّا جعلها تشكو حالتها للعجوز"رحمة " قائلة : "لم تحزني زيّارة المقبرة ،إنّ الّذي يحزن الأحياء هم الأحياء يا خالة ،أرأيت "نفيسة " أمام قبر جدّتها ؟ لقد كادت تنكر علي أن أبكي على أمّي !..."[2] .

فالدّافع الذي جعل الأمّ " خيرة " تحسّ بالألم و الحزن هو انصدامها بابنتها " نفيسة " الّتي لم تكترث بها و لم تشاركها آهاتها و لو بدمعة ، هذا ما دفع بالأمّ إلى التّصريح عمّا يجول بخاطرها وذلك بقولها أنّ الأحياء هم الّذين يسبّبون الحزن الضّجر و ليس الأموات .

وهناك قول آخر يصوّر الحالة التي آلت إليها الأمّ" خيرة"عنـــدما صـــرخت ابنتـــها في وجهها: "ماذا عسى الكلمات أن تعبّر عن مشاعر أمّ في مثل هذا الموقـــف ؟ حتّـــى قواهـــا الجسميّة خانتها ، أحسّت كأنّ الأرض تحت قدميْها صارت دوّامة تدور دورانـــا مجنونـــا و تهبط،تهبط أبدا... ووقعت على الأرض، لم تستطع التّنفّس و لا الكلام "[3]

انصدمت الأمّ بمجرّد رؤية ابنتها في تلك الحالة العصبيّة و تقوم هذه الأخيرة بـــدفعها لمنع الاقتراب منها، و بهذا الموقف الّذي قامت به نفيسة تجاه أمّها ، فتذهل الأمّ و تنشلّ قواها الجسميّة حيث تشعر بأعراضٍ غريبة كبُرودة في الجِسم والعَرقِ والدّموع الّتي تنهمر لوحدها .

---

[1] http ; // www.arabmed mag .com / general / issue – 15-07-2003/ general 01.htm

[2] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 27

[3] المصدر نفسه، ص 89.

وهناك أيضًا قول آخر يبرز تلك الصّدمة الّتي وقعت فيها الأمّ وهو:"...أخذت الحيرة العنيفة تعصف بمشاعر الأمّ الثّكلى، و يأخذ الحزن الرّهيب يعصر نفسها عصرًا ، و يأخذ الخوف الأسود يهيمن على كيانها وكلّ جزئيّات شعورها ، خوف انبعث من آلاف الوساوس والهواجس والتّقديرات..." [1].

لّما رجعت الأمّ من المقبرة إلى المترل وجدت البيت خال ، و لّما نادت على "نفيسة "لم تعثر على أثرها ، و بهذا أصيبت بصدمة نفسيّة بمجرّد تيقّنها من عدم وجودها في المترل ، كما سيطر عليها الخوف و تبادر في ذهنها عدّة وساوس و هواجس من بينها : هل أصيبت بأذى فذهبت تلتمس العون ؟ أو هل هربت ؟ فكلّ هاته الأسئلة الّتي تبادرت في نفسها جعلتها في جوّ من الاكتئاب و الحزن العميق .

أمّا " مالك " فقد أبرز الكاتب في روايته ،كيف حصلت له الصّدمة حيث قال :" كلّ ما شاهده مالك أثناء الثّورة لم يكن شيئًا بالنّسبة لتلك اللّحظة المريعة الّتي رآى فيها الحديد و البشر يتطاير إلى حتف رهيب ! ووقعت المأساة الّتي أزالت منذ ذلك اليوم بسْمَة السُّرور على شَفتي مالك ومحت من عينيه ذلك النّور الحالم إلى الأبد."[2]

بالرّغم ما مرّ على " مالك " أثناء الثّورة من صعوبات و مشقّات عديدة لم تؤثّر فيه أو تهزّ كيانه ، و لكن في اللّحظة الّتي تفجّر فيها القطار وأصبح الحديد و البشر يتطاير في كلّ مكان ،لهذا صُدِمت نفسيّته و أظلمت الدّنيا في وجهه ،و بالتّالي أزيلت البسمة و السّرور عن شفتيه ومُحِيَ من عينيه ذلك النّور الحالم إلى الأبد .

وقد أضاف المؤلف:"...و لكن ما إن وقع نظره على نفيسة حتى أحسّ كأنّ شيئًا انفتح في قلبه ! فبهت لما يرى...إنّها زليخة الّتي وقف منذ ساعات أمام قبرها أثناء التّدشين تقِفُ أمامه الآن حيّة !"[3] .

يقف"مالك " في ذهول و اندهاش وذلك عندما يقع نظره على" نفيسة " لأنّها تشبه " زليخة " في ملامحها كأنّهما قطرتا ماء ، فإذا الذّكريات في نفسه تتجدّد أثناء رؤيتها .

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ، ص 254.

[2] المصدر نفسه ص 53.

[3] المصدر نفسه، ص 59.

ونجد حتّى " نفيسة " البطلة حصلت لها صدمات نفسيّة ، والدّليل على ذلك أنّهـــا ،" فقدت كلّ السّيطرة على أعصابها و لم تقدر على تركيز فكرها،عشرات الأسئلة تواردت إلى ذِهنها لكن كلّ سؤال يُمحى بغيره قبل أن يكتمل ويتّضح " [1].

هذا القول يعكس الحالة النّفسية الّتي آلت إليها ، بسبب القرار المتغطرس المتّخذ مـــن طرف والدها عوضا عنها ، فأحسّت بتوتّر عنيف أفقدها كلّ السّيطرة على أعصابها ، و عدم قدرتها على التّركيز ، وفي هاته الفترة تبادرت في ذهنها عشرات الأسئلة الّتي ظلّت مُبهمة في عقلها،و كلّ ما ذكرناه يؤكّد على أنّ " نفيسة " تلقّت صدمة نَفْسِيّة لم تكن تتوقّع حدوثها .

أمّا الصّدمة النّفسيَّة الّتي وقعت " لرابح " فتظهر في القول التالي:"...استولت على رابح الحيرة و أحسّ كأنّ ماءًا باردًا يسيلُ في عروقه وعلى جسمِه ،وأحسّ كأنّ طعْنة بالغة سُدِّدَت إلى وسط قلبه و قد سمِعَ "أيّها الرّاعي القذر!"، و لولا شبابه وما يكمُن فيه من قُوَّة وجهـــد لوقع على الأرض "[2].

فهذا القول يبيّن كيف اصطدم "رابح" برَدَّة فِعْل "نفيسة"الّتي لم يكن يتوقّعها ، حيـــث أنّها شتمته بقولها :" أخرج من هنا أيّها المجرم ! أيّها القذر ، أيّها الرّاعي القذر !"[3]، فاسودّت الدّنيا في عينيه و تملّكه الغضب، وشعر بالمذلّة و النّقص وبالفارِق الطّبَقي بينه و بين " نفيسة".

نستنتج ممّا سبق أنّ الصّدمة النّفسية تؤدّي إلى نشوء الخوف العميق لدى الفرد أو الرّعب وهذا ما حصل لـــ " خيرة " عندما هربت ابنتها ، و كذلك يصبح الإنسان المصدوم يحـــسّ بالخِذْلان وعدم الوَعْي بما يجري حوله، وهذا ما تجسّد في " نفيسة ".

ح- التـــــفـــــاؤل :

يعدّ التفاؤل وجهة نظر ايجابيّة على مستوى العقل(في الادراك)، إذ أنّ "اندريه لالاند" يعرّفه على انّه :"التفاتة ذهنيّة تفضّل النّظر إلى الجانب الحسن من الأمور" [4]، ومنه نقـــول أن

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ، ص 86.

[2] المصدر نفسه ، ص 108.

[3] المصدر نفسه، ص 108.

[4] أندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفيّة ، معجم المصطلحات الفلسفيّة النّقدية و النفسية ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت ، لبنان ، طبعة 2008

جانب السّعادة يغلب على التّعاسة،وكأنّه أفضل من اللاّشيء. وعلى الرّغم من أنّ " ابن هدوقة " أشار إلى تجلّيات نفسية و من ضمنها أدرج التّفاؤل و هو جانب ايجابي في بعض الأقوال ، لكي لا تكون الرّواية مملّة .

فمن بين الأقوال الّتي أعطت لـ نفيسة" جانب من التفاؤل في حياة القرية و أخرجتها من حزنها ما يلي :"...وعادت نفيسة إلى داخل حجرتها و أحسّت بنشوة من السّرور تغمرها، إذ يد اليأس الّتي كانت تخنق روحها بعنف ، منذ حين أخذت أصابعها تنفرج و تلين ، حتى الأفق أخذ يتّسع أمامها و بدأت تعود إليه زرقته!"[1].

فتلك الخطوة الّتي قامت بها "نفيسة" جعلتها تشعر بغبطة ، وتحوّلت حالتها النّفسيّة من كآبة إلى فرح و سرور، وهذا الّذي جعلها تتفاءل بهذا الحلّ الّذي اتّخذته من أجل حلّ مشكلتها .

ضف إلى ذلك حلّ الفرار الّذي كان النّموذج المثالي، بالنّسبة لها و كأنه هروب من الواقع المفروض عليها، إذ بعد تخمينات قالت:"الفرار هو الحلّ و هو الطّريق و هو الاختيّار...الفرار هو الفكرة الّتي انتهت إليها نفيسة، وهو الحلّ الّذي وقع عليه اختيارها، وهو الّذي أنساها بالتّالي مرضها و حزنها وأعاد إليها الأمل العريض أمل الفتاة الّتي في الثّامنة عشرة من العمر"[2] .

فالحلّ الوحيد الّذي وصلت إليه "نفيسة" بعد طول تفكير وتخمينات كثيرة هو الفرار – من القرية إلى المدينة – الّذي كان السّبيل الوحيد لنجاتها من هذا المُشكل العويص – الزّواج المحتّم عليها – فهذا الفرار كان بمثابة أمل بعد ألم عانته وكان مصدر التّفاؤل ، وعودة الضّحكة إلى وجه بطلة الرّواية " نفيسة " .

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص

2 المصدر نفسه، ص 218.

أمّا "رابح" فـــ:"... كان ذلك مغتبطًا و محبُوبًا أيضًا ،لا يعرف نفسه طريقًا للحـــزنِ بالرَّغم من يُتمِه ، كان مسرورًا دائمًا ، وسروره تُعبِّر عنه باستمرار ملامحه ونظراته ، وتعبِّـــر عنه الأنغام القرويّة الّتي يعزفها على نايه"[1].

قام "ابن هدوقة " بوصف "رابح" ،راعي الغنم ،الّذي كان مغتبِطًا ، محبوبا من طرف الغير وذلك جلي في بعض صفحات الرّواية ،بالرّغم من يتمه كان دائم السّرور ، و لعلّ هذه الصّفات الّتي اتّسم بها هذا الرّاعي تدلّ على أنّه إنسان متفائل في حياته ، حيث يـــرى هـــذه الحياة بمنظار ايجابي مهما صعُبت عليه الأمور في هذه القرية النّائيّة والقاسية في نفس الوقت .

والتّفاؤل عند " نفيسة " و " رابح " أضفى في الرّواية نوعًا من الحركة ، و أبعد الجانب التّشاؤمي نسبيًّا من ساكني القرية ، إذ إنّه يضع الشرّ كمظهر من مظاهر الحيـــاة ، وجـــب التغلّب عليه – مهما صعبت تحديّات الرّيف –والنّظر إلى الجانب الايجابي للحياة مـــن أجـــل الاستمرار.

1عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ، ص 102.

3- التجليات الإجتماعية في رواية ريح الجنوب:

أ- تسلّط الرّجل على المرأة :

إنّ مسألة تسلّط الرّجل على المرأة هي مسألة مرتبطة بالمورث الاجتماعي والتّقاليد والأعراف الّتي فرضت هذه الظّاهرة وتداولتها، إذ كثيرًا ما نسمع عنها في واقعنا المعاش، فنجد الزّوج يتسلّط على زوجته بحرمانها من حقوقها و جعلها مجرّدة من أيّ اعتبارات، و لشّيء نفسه يقع بين الولد وأمّه وكذلك بين الولد وأخته.

ولنوضّح أكثر في هذا الموضوع، نأخذ هذا المقطع الّذي أورده "ابن هدّوقة" في روايته "ريح الجنوب" حيث قال عن"خيرة": "حياتها الزوجيّة لم تعوّدها الحديث بقدر ما عوّدتها الصّمت"[1].

فهذا القول يكشف طبيعة الرّجل القروي الّذي إذا تكلّم أمام المرأة فما عليها إلاّ الإصغاء والاستماع لكلامه دون التكلّم أو أن تبدي رأيها الخاص،وبذلك تصبح المرأة ضمن دائرة الرّجعية،وبالتّالي يولّد كلّ هذا هضم لحقوقها، وهذا ما حصل لزوجته "ابن القاضي"وهناك مثال آخر يبيّن تسلّط الأب على ابنته "نفسية"حيث قال المؤلّف:"لم تستطع نفيسة أن تتصوّر الأسباب الّتي دعت أباها لاتخاذ هذا القرار"[2].

ويتمثّل هذا القرار الّذي اتّخذه الأب حيّاز ابنته وهو منعها من العودة إلى العاصمة من أجل مواصلة دراستها،وكذلك لتطبيق مخطّطاته الّتي تتضمّن موضوع تزويجها "لمالك" شيخ البلديّة، وذلك دون مراعاة مشاعرها الخاصّة، بل قضاء مصالحه وفقط، وهذا أسلوب متعصّب لا حضاري، مارسه الأب تجاه ابنته بحرمانها من ممارسة حقّها في تحديد مصيرها المستقبلي دون تدخّل منه.

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب ص:19.

[2] المصدر نفسه ، ص 86.

وهناك نموذج آخر يبيّن تسلّط الرّجل القروي على المرأة القرويّة ومعنى هذا القول أنّ الأب يفرض الزواج على ابنته بالرّجل الّذي يختاره هو دون استشارتها مع أنّها هي المعنيّة بالأمر:"أنا قرّرت أن تتزوج وقراري قضاء"[1] .

بهذا القول يكون الأب قد قرّر تزويج ابنته من "مالك" شيخ البلدية قرارًا لا رجعة فيه، فهذا السّلوك الّذي بدا منه يبيّن هيمنة الرّجل على المرأة بحيث يتحكّم فيها ويقرّر مصيرها عوضًا عنها.

ذكر"ابن القاضي" قولا آخر يأمر فيه ابنته تنفيذ قراراته، ولا مجال لمناقشتها له إذ إنّه يقول:"إنّ قراري ينفّذ مهما كان الأمر...إذا كنت لا أستطيع التصرّف حتّى في ابنتي، فلماذا أحيا بين النّاس إذن؟"[2].

إنّ هذا المقطع يعبّر فعلا عن الواقع الّذي تعيشه كل فتاة قرويّة وجدت في وضع "نفيسة"، فالأولياء لا يتساهلون في مثل هذه الأمور، ويربطون بين عِرْضِ العائلة وبين رضوخ البنات لآبائهنّ في الزّواج. فنجد أنّ الأب يتعجّب من رفض إحدى بناته والرّضوخ لرغبته ومطالبه، ويرفض التدخّل الّذي يقوم به أو يصدر من طرف ثالث ضدّ هذه الرّغبة، و"ابن القاضي" يمثّل أحد هؤلاء الآباء الّذين يرَوْن أنّ شرفهم لا يتمّ إلاّ بطاعة البنات لهم كقضيّة الزّواج، وهذا ما اتّضح في القول المذكور سالفًا. كما أنّ "ابن هدّوقة" لم يفُتْهُ هذا التّخمين من أنّ"...الرّجال مهما كانت مظاهرهم فهم أمام المرأة أشدّاء متغطرسون"[3].

فهو قول لا يختلف عن سابقيه إذ أنّه يبيّن تحكّم الرّجل في المرأة والتصرّف في حقّها بشدّة، وقد يكون في بعض الأحيان الرّجل ضعيف، ولكن أمام المرأة فهو عكس ذلك حيث أنّه يبرز شدّته وقوّته و غطرسته عليها.

زد على ما ورد سابقا هذا القول الّذي يؤكّد تسلّط الرّجل على المرأة حيث قال الكاتب على لسان "خيرة":"طبعا هي كانت تعتقد أنّ الأب هو صاحب الحق الأوّل في

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ص: 90.
[2] المصدر نفسه ص: 92.
[3] المصدر نفسه ، ص: 202.

تزويج ابنته بمن شاء، ولكنّها كأمّ كان الواجب أن يكون لرأيها وزن، وتنهّدت متأسّفة أن ترى زوجها يعاملها دائمًا معاملة خاليّة من كلّ رعاية ، ويتصرّف بمفرده في كلّ شيء، لها طفلة وحيدة ومع ذلك لا تستطيع أن تكون لها كلمة في زواجها، قالت في نفسها بتنهّد: ربيّ قدّر هذا ثم حظي العاثر"[1].

فهذا قول يصبّ مضمونه حول تزويج ابنتها"نفيسة"، وعن حريّة المرأة، وضرورة اختيّارها لزوجها كإنسان له حقوقه في الحياة، وعن ظلم الأب لابنته في محاولة غصبها على الزّواج بمن يريد هو على الرّغم من رفضها. ومع ذلك لا يهمّها ما يقرّره زوجها، فالأمر الّذي استاءت منه هو كون زوجها لا يعطي لرأيها أيّ أهميّة ولا وزن، ولكن في الحقيقة، ما كان على هذه المرأة المغلوبة على أمرها إلاّ أن ترضخ لتلك المعيشة المسطّرة لها.

ومثال آخر نضربه لمدى استيّاء "نفيسة" من تسلّط و جبروت أبيها حيث قالت:"حياتي أيضًا أراد أبي أن تكون كالطّريق الحديدي إن خرجت عنه وقعت في الهلاك؟ أنا قطار أسير بإرادة غيري..."[2].

لقد شبّهت "نفيسة" حياتها بالقطار الّذي إذا انحرف عن مساره المحدّد له (السكّة الحديديّة) وقع في الهلاك، وهي أيضا لها مسار محدّد لها من قبل والدها، فإذا أرادت أن تتمرّد على قوانينه وقعت في الهلاك.

فالسّبب الرّئيس في تمثيل حياتها بمسار القطار هو تلك الضّغوطات الّتي تعيشها من طرف سلطة والدها المستبدّ والمتغطرس في إعطاء القوانين.

ونجد نموذج آخر يخالف تسلّط الرّجل على زوجته أو ابنته، ألا وهو سلطة الابن على أمّه ويتجلّى في هذا القول: سألت "نفيسة "رابح" فقالت:"هل أمّك لا تريد أن أبقى هنا، فأجاب رابح ضاحكا: لا تستطيع أن ترفض فأنا الذّي أتصرّف هنا"[3].

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص: 205.

[2] المصدر نفسه ص: 216.

[3] المصدر نفسه، ص: 252.

فهذه العبارة تدلّ على سيطرة الرّجل وغطرسته على المرأة مهما كانت الرّابطة الّتي تربطه بها، سواءًا كان: أبًا أو زَوْجًا أو ابْنًا. فهنا نرى أنّ "رابح" على الرّغم من بساطته وسذاجته إلاّ أنّه يحترف نوعا من الهيمنة والسّلطة على أمّه البكماء.

وأخيرًا نستخلص ممّا سبق ذكره أنّ هناك عدّة نماذج تبرز تسلّط الرّجل ، وهذا يمثّل وجها من وجوه تخلّف الرّجل الّذي يملك عقليّة محدودة تجاه المرأة لأنّ البيئة القرويّة أثّرت فيها إلى أبعد الحدود وحسب العادات والمقولات عن المرأة، أصبح يعتبرها مخلوق ضعيف الكيَانِ والشّخصيّة، ولا تستطيع هذه المرأة الدّفاع عن نفسها إلاّ بوجود رجل معها يُرشِدُهَا، وهذا لأنّ الرّيف الجزائري في فترة السّبعينيّات كان لا زال في ظّل الجمود والقيود العقليّة ، خاصّةً من جرّاء الاستعمار الفرنسي.

كما أنّ البيئة القرويّة لها دورٌ كبير في بقاء هذه القيَّم والمفاهيم الخاصَّة بتسلّط الرّجل على المرأة وذلك لطبيعة تفكيرهم المحدود.

ب - الجهـــل:

هو إدراك الشّيء على خلاف ما هو به في الواقع ، وقد أوجد "لالاند" تعريف للجهل فقال:"...انعدام المعرفة... الّذي لا يقرّر شيئا ومعارضته الخطأ(erreur) الضّلال الّذي يقرّر خطأ بلا حق"[1].

فالجهل هو من بين القضايا الّتي اتّسمت في البيئة القرويّة ، لهذا قام الكاتب بإبرازها ، فقد كانت ولا زالت سائدة في المجتمع القروي.

ومن بين الأقوال الّتي تدلّ على طغيان الجهل في البيئة القرويّة نذكر منها: "الطّريق الموصلة إلى المقبرة هي الوحيدة الّتي لا تكثر فيها الانعراجات، والصّعود والهبوط في هذه

[1] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفيّة ، معجم المصطلحات الفلسفيّة، النّقدية والتقنية لمويدات للنّشر والطباعة، بيروت لبنان، ط 2008، ص 614.

القرية؟ والمكان الّذي تقع فيه المقبرة أحسن موقع، اعتدالا وانشراحا لكن الموتى وإن أخذوا من القرية أجمل مكان فهم لم يستطيعوا فرض احترام مقرّهم الأبدي على النّاس"[1].

ومن الأدلّة الحيّة الّتي تصوّر الجهل الّذي يطغى على العامّة والخاصّة، وعلى المسؤول والرعيّة في القرية، اختيّارهم لبناء المقبرة في موقع استراتيجي لا يكثر فيه الانعراجات والالتواءات، فبدل أن تبنى هناك منشآت تقوم بترقيّة وتثقيف المجتمع ، قاموا بعكس ذلك، إذ خصّصوا هذه الأرض لجثث هامدة أي للموتى ، عوض الأحياء الّذين هم بأمسّ الحاجة لِدُورِ الثّقافة للدّفع بهم إلى الرُّقَى والازدهار بدل التخلّف السّائد بينهم، فكلّ هذا نابع عن المحيط الّذي نشؤوا فيه فأثّر فِيهم سلبًا، وما يدعّم تحليلنا إضافتنا لهذا القول: "...وهب للقرية قطعة من الأرض لبناء مدرسة ، ذات موقع ممتاز نظرا لقربها من الماء ومن الطّريق ومن الدّشرة لكنّ حياة السكّان القرويّة وظروف معاشهم الّتي تستلزم تربيّة بعض المواشي حالت بينهم وبين الاتّفاق على بناء المدرسة، فالكلّ يودّ أن تكون في مكان يقرب من سكناه..وهكذا قرّروا في النّهاية أن يجعلوا من المكان المَوْهُوب مَثْوَى أخيرًا لرفّات شهداء القرية"[2].

هذه المقطوعة تبرز مدى جهل المجتمع الرّيفي وكساد مستوى تفكيرهم في معظم المجالات، بدليل أنّهم قرّروا تشييد مقبرة على قطعة أرض ذات موقع استراتجي ممتاز، هي في الحقيقة تصلح لإنشاء منشأ تعليمي لتثقيف الأطفال وتوعيّتهم كالمدرسة، ولكنّ الظّروف الّتي عاش فيها المجتمع الجزائري في تلك الحقبة الزّمنيّة من معاناة وجهل وأميّة...أجبرته على اختيّار ذلك المكان كمثوى أخيرا للشّهداء الّذين دافعوا عن البلاد بالنّفس والنّفيس، بالإضافة إلى ما قلناه نجد أنّ هذه الفئة البدويّة بدل أن تتطلّع إلى المستقبل بقيّت متعلّقة بالماضي الحافل بالأمجاد، وشغفهم للموت الّذي هُيِّئَت له أحْسَن قطعة وأجمل موقع.

نستنتج من القولين السّابقين أنّ سكّان القرية ما زالوا يعتبرون التّعليم شيء ثانوي، ولا يدركون قيمته، وكلّ هذا ناتج عن عدم تعوّدهم على وجود مدارس لأنّ البيئة الرّيفيّة الّتي يعيشون فيها فرضت عليهم ذلك ، لأنّها كانت ولا زالت منغلقة على نفسها.

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة، ريح الجنوب، ص 20.

[2] عبد الحميد بن هدّوقة، ريح الجنوب ، ص 41 .

وهناك أيضا قول آخر يؤكّد ما قلناه بخصوص الجهل ويتمثّل في:"...أنّ جهل الرّجال هو الّذي أطلق ألسنتهم بالسّوء فينَا، وإنّ جهل المرأة هو الّذي يجعلُهَا تَحيَا بين عبوديّة الآباء والأزواج"[1].

فهذا المقطع يبّين مدى طغيان الجهل في المجتمع القروي، فالرّجال أصبحوا يتكلّمون ويتحدّثون في أمور لا تعنيهم، كاطلاق ألْسِنَتَهُم بالسُّوءِ عنِ النّساء ، وبمقابل الرّجل نجد المرأة بدورها تعاني من هذا الجهل الّذي اكتسبته من البيئة الّتي تحيا فيها، فدفع بها إلى العيش تحت عبوديّة وسيطرة الآباء والأزواج عليهنّ.

نفهم ممّا سبق أنّ البيئة القرويّة هي الّتي أثّرت في طريقة تفكير أهلها، فجمّدت عقولهم وكبّلتهم بالقُيُودِ، وهذا جَلِي في تصرُّفات الرّجل اتّجاه زوجته أو ابنته، أو تنازل المرأة عن كلّ حقوقها أمام هذه القيود.

ونجد أيضًا قول آخر يبيّن فيه المؤلّف مدى جهل سكّان أهل القرية إذ قال:"...أمّا مثقّفُوهَا فيكادُون يُعدّونَ أقلّ مِن أصابِع اليَدِ"[2].

فمن مخلّفات المستعمر المتغطرس أنّه قضى كُليًّا على مُقوّمات المجتمع الجزائري (خاصّة القروي) من بينها العلم ونشر الجهل بين الأفراد وذلك بحرمانهم من التعلّم في المدارس والكتاتيب، وبهذا نجد نسبة الفئة المثقّفة ضئيلة جدًّا ويمكن أن تعدّ على أطراف الأصابع.

زد على ما سبق هذا القول الّذي يدعّم تحليلنا وهو كالآتي:"...كان سكّان القرية في مجموعهم فقراء وأمّيّين ما عدى بعض حفظه القرآن"[3].

فهذا القول يدلّ على تفشّي الجهل في أوساط المجتمع الرّيفي الفقير، بسبب ما خلّفه الاستعمار، كتحطيمه لدور التّعليم والمساجد، وكلّ هذا من أجل مَحْوِ مُقَوِّمَات اللّغة العربيّة، ففي تلك الحِقْبَة الزّمنيَّة كادت نسبة الفِئَة المُثقّفة أن تكُون مُنعدِمَة.

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص 36.

[2] المصدر نفسه، ص 42.

[3] المصدر نفسه ، ص 73.

إنّ البيئة الرّيفية قد طُبع فيها الجهل والأميّة بين ساكنيها، وما زاد الطّين بلّة، الاستعمار الّذي عمِل جاهدًا على محْوِ الشّخصيّة العربيّة ، وذلك من خلال نشر الجهل بكلّ الطّرق في أوساطه.

وهناك قول آخر أورده "ابن هدوقة" في روايته على شكل حوار قائم بين الأمّ "خيرة" وابنتها" نفيسة" وهو التعلّم أمر ثانوي؟...ترى ما هو الشّيء الأساسي الّذي تريدونه لي؟ فتجيب الأمّ: الشّيء الأساسي لمن في سِنّك هو التّفكير في المُستقبل..."[1].

فمن كثرة سذاجة الأم القرويّة، وجهلها وقلّة معرفتها بضرورة العلم جعلتها لا تؤيّد ابنتها المثقّفة بضرورة التعلّم، وكذا تقرير مصير حياتها بنفسها، فالتّفكير المحدود للأمّ تجرّعته من بيئة لا قِيمَة للعِلم فيها .

أمّا القول التّالي فهو متعلّق ب"رابح" راعِي الغنم حيث أنّه: "لم يكن من السّهل عليه (رابح) أن يُواصل الحديث مع الرّجل...الفرنك، الدّينار...الدّول والقوانين...مسائل لم يصل بعد خياله إلى تصوّرها، وكان يعتقد أنّ محدّثه يعرف الكثير من المسائل المعقّدة..."[2].

إنّ من طبيعة العمل السّائد في البيئة القرويّة، والذّي كان "رابح" يمارسه، جعله حيّادي لا يُخالط النّاس، وأنيسه الوحيد هي الغنم ،ممّا جعله لا يفهم أمور السّياسة وما يجري من حوله، فحتّى (الفرنك، الدّينار، الدّول ، القوانين) هاته الكلمات البسيطة، كانت بالنّسبة إليه عبارة عن مسائل معقّدة.

فهاته الوضعيّة الّتي يحيا فيها "رابح" ناتجة عن تأثّره بذلك المحيط المنغلق (القرية) فحرمته من أبسط الأشياء.

وهناك نموذج آخر للجهل، يتمثّل في قول أحد الفلاّحين:"إذ كان عرض الجنّة مثل السّماوات والأرض، فأين توجد النّار إذن؟"[3].

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص 86.

[2] المصدر نفسه، ص 116.

[3] المصدر نفسه ، ص 177.

لقد تعدّى جهل النّاس من الأمور الدّنيويّة إلى الأمور الدّينيّة ،فنجدهم لا يفقهون في أمور الموت أوْمَا بعدَه، وكلّ هذا راجع لقلّة التّوعية الدّينيّة ونقص كفاءة الأئمّة نظرًا للفترة المظلمة الّتي عاشها الشّعب الجزائري ، ولا يزال إلى حدّ الآن (الزّمن الرّوائي) يعاني منها، وكذا مخلّفات الاستعمار الّتي تمثّلت في حرق المساجد مثلاً، والقضاء على مقوّمات الدّين الإسلامي، ضف لذلك الثّقافة الّتي يجب على كلّ واحد منهم أن يمتلكها في حياته اليوميّة.

ويوجد قول آخر مرتبط بما قلناه سابقا، ويتجلّى في قول الشّيخ "الصّادق":"سواء كانت الاشتراكيّة الّتي تتحدّث عنها الحكومة أو واحدة أخرى، كيفما كانت الاشتراكية فهي مصدر والسّلام"[1].

يبرز هذا القول أنّ حتّى الشّيوخ الكبار هم جاهلون، وأنّ ثقافتهم محدودة جدًّا، وكلّ هذا بتأثّرهم بيئتهم القرويّة والدّليل على جهل الشّيوخ الكبار هو ذلك الحوار الّذي جرى بين "الشّيخ الصادق" وأحد الفلاّحين بغية الاستفسار عن معنى الاشتراكيّة، ولكنّ الشّيخ لم يكن له الجواب المُقنِع ، وقال هي مصدر والسّلام، وهذا ليُبْعِد عن نفسه أيّ شبهة وأذى.

ومن هنا نستخلص أنّ البيئة الرّيفيّة في الرّواية طغى عليها الجهل بسبب انعزالها عن المدن الأخرى ، وبالتّالي عدم توفّرها على الإمكانات الكافيّة لنشر العلم والقضاء على هذه الظّاهرة، بالإضافة إلى دَورِ العادات والتّقاليد والمعتقدات المترسّخة في عقول أهْل القُرى، الّتي عملت على تفشّي الجهل في أوساطها، وكل هذا بسبب تطبيقها والإيمان بها.

فالجهل يسود كلّ الطّبقات الاجتماعيّة في الرّيف من أهمّها، علاقة الرّجل بالمرأة ، فكلٌّ مِنهُمَا يجهَلُ حُقوقَه وواجِبَاتِه اتّجاه الطّرف الآخَر ، فهذا وجه من وُجُوه الجَهل.

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص 187.

ج- الفـــقـــر

الفقر ظاهرة اجتماعيّة تُصيب المُجتمع الإنساني و تسُود الفئات الاجتماعيّة المقهُورة و تأرجح حدّها بين العالمين المتقدّم و المتخلّف ، و بين البيئات المختلفة

نلمح أنّ البيئة الرّيفية ففي رواية "ريح الجنوب" هي الّتي تثير ظاهرة الفقر ويتّضح ذلك في قول "ابن هدّوقة" عن شدّة الفقر الّذي يعيشُه سكّان القرية حيث قـــال:" إنّ النّـــاس لم يستطيعوا صيّانة دورهم وبساتينهم فضلاً عن المقبرة"[1].

فهذه الجملة كناية عن الفقر السّائد في القرية، إذ إنّ سكّانها لم يستطيعوا أن يـــشيّدوا ويبنُوا منازلهم، وما أدراك ما المقبرة، فمن شدّة فقرهم يَرَوْنَ أنّ نصْبَ السيَّاج حول المقبرة ما هو إلاّ مضيعة للأموال.

وصاحب المقهى "الشّيخ قويدر" كان له رأي في هذا الشّأن فقال"...النّظافة تحبّ الماء، والماء هنا لا يكفي حتّى للشّرب..."[2].

"فالحاج قويدر" يرجع المسؤوليّة عن تفشّي الفقر إلى القريـــة نفـــسها، لعـــدم تـــوفّر الإمكانات والوسائل الّتي تتجمّع فيها المياه كالسّدود والآبار... فيما يعدّد "الطّاهر" الحلول الكفيلة بتخفيف حدّته، فيظنّ أنّ: "الأمر بسيط ، لو فكّرت البلديّـــة في إنـــشاء ورشـــات للعمل، ولو فكّرت في بناء دار للتّربيّة والثّقافة الشّعبيّة، ولو فكرت في شقّ المجال لما يخنقهـــا من قاذورات...لو فكّرت في كلّ هذا، لما بقي فقر ولا جهل ولا ذباب؟ ولكنّها لا تفكّـــر ولن تفكر ما دامت كما هي، لأنّ هذه الأعمال تكلّفها مجهودات مستمرّة، وهـــي تحـــبّ الرّاحة..."[3].

[1] عبد الحميد بن هدّوقة، ريح الجنوب، ص :21.
[2] المصدر نفسه،ص: 79.
[3] المصدرنفسه، ص :80.

فالحلول الّتي عدّدها "الطّاهر" هي حلول منطقيّة صائبة، لو استطاع مسؤولُوا القريـــة تطبيقها بمشاركة سكّان القرية لقُضي نهائيًّا على جلّ المشاكل الاجتماعيّة السّائدة آنـــذاك، والفقر هو السّبب الرّئيس في عدم بناء هذه المنشآت الاجتماعيّة في القرية.

وهناك قول آخر يدعّم ما قلناه سابقا وهو:"دخل رابح إلى البيت فوجد أمّـــه بـــصدد إعداد القهوة في مغلاة كان قد صنعها هو من إحدى علب المصبّرات"[1].

إنّ من بين الصّفات الّتي تدلّ على الفقر الّذي يعيشه "رابح" مع "أمّه البكمـــاء" هـــو امتلاكهم لمغلاة مصنوعة من عُلب المصبِّرات، وهاته الحالة المزرية الّتي يعيشان فيها . مـــاهي إلاّ كنموذج عن الفقر الطّاغي في الأوساط الرّيفية وهو ينطبق على معظم أهـــل القريـــة في الرّواية.

و نضيف هذا القول الّذي يؤكّد ما سردناه سابقا:"...لم تولد بكماء إنّما ريح التّركة (التّيفوس) هو سببها، هبّ مرض على القرية في إحدى السّنوات العجاف، لم يسلم منـــه إلاّ القليل، بقينا حوالي ثلاثة أشهر حتىّ صار النّاس لا يبكون موتاهم من كثرة الموت"[2].

إنّ مخلّفات الاستعمار الفرنسي في القرية عديدة من بينها انتشار الفقر الّذي طغى على المجتمع الجزائري آنذاك، ممّا أنتج أمراض جمّة وأوبئة كمرض التّيفوس الّذي عُدَّ من أخطـــر الأمراض، فلم يسلم منه إلاّ القليل ، وبقي منتشرًا حوالي ثلاثة أشهر، وفي هاته الفترة كَثُـــر المَوت وصار النّاس لا يبكون مَوتاهُم .

وإن رجعنا إلى العجوز "رحمة" فنجد أنّ الكاتب وصف حالتها المزريّة الّتي تعيش فيها فقال:" الفراش حصير قديم ووسادة محشوّة بالرّقم الفانيّة والخرق الباليّة"[3].

---

1 عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ص 103.

2 المصدر نفسه ، ص 128.

3 المصدر نفسه، ص :139.

فالفراش الّذي تمتلكه العجوز "رحمة" يدلّ على أنّها لا تتوفر عندها أدنى شروط الحياة، فهي تملكُ حصير قديم ، أمّا وسادتها فهي عبارة عن رقع باليّة لا تصلح لشيء، ومع ذلك فقد صَبِرت على تلك الحياة البائسة المُتدهورَة المَفرُوضة عليها في قريتها.

فكلّ هذه المعاناة الّتي يعانيها سكّان القرية بسبب الفقر، كانت ناتجة عن مخلّفات الاستعمار الفرنسي من نهب للثّروات، وتطبيق نظام الإقطاعيّة الّذي يُعَدُّ السّبب الرّئيس في الفقر.

ومن هنا يمكن القول أنّ البيئة القروية هي المنبع الّذي تولّد منها الفقر ، وذلك لعدم توفّر فيها الإمكانات الّتي تساعد على النّهوض و الرّقي بالاقتصاد والّذي بدوره يقضي نسبيًّا على ظاهرة الفقر، كما لا ننسى أنّ هذا المحيط متمسّك ببعض المعتقدات، فكلّ هذا تجلّى في الرّواية.

د- الكسل والخمول:

إنّ الكسل والخمول ظاهرة اجتماعيّة منتشرة بين الأفراد، إذ إنّهم يعتمدون على الاتّكال على الغير. وقد انتشرت هذه الآفة الاجتماعيّة في المجتمع الرّيفي خاصّة بعد الحرب، لأنّ العمل أصبح بالنّسبة إليهم أمر غير ضروري ومتعب، فكانوا يعتقدون أنّ الدّولة هي الّتي ستساعدهم ماديًّا بِمَنْحِهَا لهم مبالغ ماليّة، تُقدّم لهم شهريًّا، وهذا ما نلمسه في أقوال "ابن هدّوقة" حيث قال: "إنّ النّاس هنا منذ الاستقلال لم يعد يروقهم أيّ عمل ، كلّ واحد صار ينتظر أن يُمنح شهريّة مقابل ما عمله أو ما لم يعمله أثناء الثّورة...إنّ النّاس هنا كما قلت لك، كرِهُوا العمل، كرِهُوا الأرض، ومن يكره الأرض تُرجِعْهُ إلى بَطْنِهَا"[1].

إنّ هاته الظّاهرة من بين نقاط ضعف سكّان القرية الّتي أدّت بهم إلى الانحطاط، والتّدهور، وهجرهم للعمل، وعدم التّفكير به، وهذا راجع إلى الكسل والخمول، الّذي تولّد عندهم بسبب اتّكالهم على الدّولة في منحها إيّاهم مِنح شهريّة بعد الاستقلال للعيش بها، وهو في الواقع من المستحيلات لأنّ القرية تمتاز بالفقر،ولا يمكن أن توفّرَ لهم أدنى شروط

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص:44.

العَيْش، فهذا الكسل والخمول نتج عن كرههم للعمل، وخدمة الأرض الّتي تُعدُّ ثروة يُنفع بها، فلو استغلُّوها بعقلانيّة لقضَوا على فقرهم ومعاناتهم سواءا كانت ماديّة أو معنويّة، فيقول"ابن القاضي" في هذا الصّدد:"ولكن هل فكّرتم أنّ النّاس لا يحبُّون خِدمة الأرض، إنّ المقاهي مكتظّة بالنّاس، ونحن لم نجد مُستأجِرًا واحِدًا للحصاد، فمنذ الاستقلال صار النّاس يفضّلون كلّ شيء على خدمة الأرض"[1].

و"الأرض لمن يخدمها" شعار أطْلَقته الحكومة من ضمن قوانينها لكي يتكفّل النّاس بها ويزرعُونَها، و لكنّ هذا الشّعار كما أشار إليه" ابن القاضي" جاء في غير محلّه، فالشّعب الجزائري كان يخدم هذه الأرض للمُسْتَعمِر وليس لوطنه بدافع الخوف، أمّا بعد الاستقلال، فأراد أن ينعم بحياة الرّفاهيّة والرّاحة بدليل قولهم: "ظنُّوا أنّ الاستقلال يعطيهم الرّاحة والعيش الكريم"[2].

إنّ في ذلك الحين لم تكن الأرض تبخل على النّاس بشيء، أمّا بعد الاستقلال فأصبح العمل عندهم قلّة شأن وتكلّف حتّى الحكومة خافت على وضعِ الأرض وقرّرت بإصدار قانون الإصلاح الزّراعي الّذي لم يُعجِب أحدًا ،ومنهم "ابن القاضي" الّذي خاف على أراضيه من المصادرة ، لأنّه كان إنسان مثابِر في العمل، وعلى عكس أهل القرية، وقد أجاب "مالك" على "ابن القاضي" بقوله:" إنّ النّاس لا يحبّون خدمة أرض الغَيْرِ لا يحبُّون أن يَبقُوا عبيدًا إلى الأبد"[3].

فغرض رئيس البلديّة من هذه المقولة،هو نزع بعض الأراضي "لابن القاضي" ويوزّعها للفلاّحين الصّغار، هكذا يقضي على كسلهم وخمولهم داخل القرية، ولكن مشاريع "مالك"، لم تنَل إعْجابَ"عابد بن القاضي"، ومَن مِثله من كبار الفلاّحين، لأنّه في نظر هذه الفئة المنْفَعة تُصبِح عامّة وليست خاصّة، أي لا يستفيد كقبل، وهذا ما يسمّى بالاشتراكيّة.

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص:181.
[2] المصدر نفسه ، ص :181.
[3] المصدر نفسه ، ص 182

إنّ البيئة الرّيفيّة في مثل المواقف الّتي ذكرناها سابقًا، أنّ السّبب الرّئيس للكسل والخمول هو قلّة الوَعْي الحضاري، إذ إنّ هذه الفِئة من المجتمع لا تقدّس العمل ولا تهتمّ به، بل تريد الحصول على الأشياء الجاهزة ، كحصولهم على مِنح من الدّولة كما ورد في الرّواية.

هـ العادات والتّقاليد والمعتقدات:

1/العادات والتّقاليد:

بما أنّ رواية "ريح الجنوب" هي حصيلة التّفاعل مع البيئة المحليّة الرّيفيّة ، والّتي من خلالها تنسج شبكة العلاقات الاجتماعيّة والإنسانية المتميّزة عمّا هو سائِد في المجتمعات الحضرِيّة، فالمجتمع القروي مجتمع محافظ على عاداته ومتمسّك بتقاليده المتوارثة جيل عن جيل بعضُها عن بعض، فتتمثّل العادات الاجتماعيّة في مراسيم الميلاد والزّواج، والاحتفالات كطلقات البارود والأعياد والمناسبات العامّة...أمّا التّقاليد فهي تضمّ ثلاث جوانب وهي: الجانب المادّي والرّوحي والسّلوكي كالصّناعات التّقليدية الّتي تتمثّل في: الأواني ، الأدوات، اللّباس، المسكن...فلا تكون العادات والتّقاليد، تخصّ سلوك الإنسان كفرد فحسب ، وإنّما سلوكه يكون جُزءًا من السّلوك اليومي[1]، لأفراد مجتمع قرية "ريح الجنوب" سواءًا في تعاملهم فيما بينهم كتقاليد الضّيافة، أو في قواعد علاقاتهم العامّة ببعضهم كمراسيم الزّواج والموت.

فالعادة تعرّف على أنّها سلوك إنساني ، وتكرار آلي للأفعال المكتسبة كما تعلّمناها في الماضي، إذ لا يُمكِن تصوُّر حياة الإنسان بدون عادة ، وتكون العادة صارمة قدر ما تمتدّ جذورها في التّاريخ[2].

وقد وظّف "ابن هدّوقة" عدّة تقاليد طغت على المجتمع الرّيفي من بينها : صناعة الفخّار الّتي وضّحها في شخصيّة العجوز "رحمة" صانعة الفخّار في هذه القرية ، إذ إنّها تمثّل الفنّان الشّعبي والحِرفي في الوقت نفسه، فهي تصنع الأواني لينتفع بها أهل القرية ليستعملوها في وقت الحاجة كالشّرب والأكل ، كما أنّها تُجهد نفسها في إتقانها لتكون شيئًا جميلاً ذا

[1] ينظر: الكافي في الفلسفة، دار الرّيحانة للكتاب ، لحدناني رزيقة، ط3 طبعة جديدة منقحة، 2004، ص 25.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 25 .

ذوقٍ رفيع، وكذلك تكون صالحة للتّزيين بوضع بعض الرّسوم على تلك الآنيّة وقد قالت في هذا الشّأن :"...أحبّ أن أصنع أواني إذا رأيتها من بعيد لا تفرّق بينها وبين الأواني القديمة ، ولكن إذا اقتربت منها وأمعَنت النّظر فيها وجدتها جديدة في البناء ، في الصّقل ، في الزّخرفة، في كلّ شيء"[1].

وهو قول يدلّ على احتراف نساء القرية لحرفة صناعة الفخّار، والعجوز "رحمة" هي خير مثال عنهنّ إذا إنّها مَارَست هذا التّقليد حُبًّا فيه وهي تطمح دائمًا إلى تطويره وإضافة أشياء جديدة له، وقد واظبت على هذه المهنة منذ صغرها، ويؤكّد ذلك هذا القول:" أنا أحبّ أن أصنع أواني جديدة لم يصنعها أحد"[2].

إذ إنّها تحبّ أن تمارس فيه الرّؤية الفنيّة والإحساس المرهف في صنع الرّسوم ودقّتها التي تعبّر عن مشاعرها وتُشبع نَهمها الفنيّ.

بالإضافة إلى حرفة الفخّار الّتي تمتهنُها العجوز "رحمة"، الّتي تصنّف ضمن التّقليد المادّي، نجد بعض التّقاليد السّلوكيّة منها: طلقات البارود في مواسم الأفراح، ويتّضح ذلك في الحوار الّذي جرى بين "خيرة" وزوجها قائلة:" ومتى تتّم هذه المصاهرة ؟ إذ لابدّ أوّلًا من قراءة الفاتحة، وضرب البارود قبل أن تتحدّث عن الزّفاف"[3].

ففي المجتمع القروي المحافظ على عاداته وتقاليده، إذا أرادوا تزويج فتاة يجب أن يُعلِنوا بِخبَر الخُطوبَة أوّلاً، وذلك بضرب البارود، وإقامة "الفاتحة" في المسجد قبل موعد العُرس.

وأيضًا من عادة النّاس القرويّين إذا ما تأخّر موعِد المطر، وجفّت الأرض وقحُلت لجئوا إلى إقامة حضرة والقول التّالي يبيّن ذلك:"وكالعادة فكّر الدّراويش أن يُقيمُوا حضرة

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 22.
[2] المصدر نفسه ، ص 22.
[3] المصدر نفسه،ص 220.

يرقصون فيها حتّى يسقط المطر، وجمعُوا كلّ ما يلزم لذلك من خبز وسمن وزيت لإعداد (الزّردة) وشرعوا في الرّقص على أنغام الزّرنة والبنذير"[1].

فعندما لم يسقط المطر لمدّة ثلاثة أشهر تقريبًا، اجتمع الدّراويش ومعهم سكّان القرية، من أجل إحْيَاء عادتهم القديمة الّتي تتمثّل في إقامة حضرة طلبًا لنزول المَطر، وقد جمعُوا لذلك كلّ ما يلزمهم من خبز وسمن وزيت، وذلك بُغية إعداد الزّردة كما أنّهم شرعوا في الرّقص على أنغام الزّرنة و البنذير.

كما نجد أيضا من خصوصيّات المجتمع الرّيفي زيارة المقبرة في يوم الجمعة، الّتي أصبحت عندهم بمثابة عادة متوارثة بين النّساء ضف إلى ذلك أنّهُنَّ يغيّرنَ الجوَّ، لأنّ من سمات المرأة القرويّة عدم خُرُوجِهَا من البيت بدون سبب ، كما هو مفروض عليها من طرف الرّجل القروي سواءًا كانت زوجة أو ابنة أو أخت...وكلّ هذا يتّضح بقول العجوز "رحمة": "إنّ اليوم جمعة ، لابدّ من زيارة موتانا"[2].

فمن بين الممارسات الّتي تعوّدت عليها نساء القرية الخروج يوم الجمعة، متوجّهات إلى المقبرة قصد الترحّم على موتاهم ، والّتي تعدُّ بالنّسبة لهنّ سنّة مؤكّدة ، كما تفعل العجوز "رحمة" صانعة الفخّار، على غرار النّساء القرويّات الأخريات، ولذا وجب الحفاظ عليها.

وقد أضاف "ابن هدّوقة" قول آخر ليبيّن مدى تمسّك نساء القرية بعادة زيارة القبور والترحّم على موتاهم وهو:" أمّا النّساء فبكّرن مع الفجر لزيارة المقبرة ، ومُصَابحة الفقيدة العجوز رحمة فأخذْنَ معهُنّ التّمر والخبز وأخذ بعضهنّ أواني لوضعها على قبر العجوز..."[3].

فلقد نهضن النّساء بُكرة وذهبن إلى المقبرة للترحُّم على العجوز"رحمة" ومن عادتهنّ عند الذّهاب يأخذن بعض الأشياء للتصدّق بها: كالتّمر والخبز، كما أخذن معهنّ بعض الأواني الفخّاريّة ليضعُوها على قبرها، فتشرب منها الطّير، لتنال العجوز ثواب ذلك.

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص 130.

[2] المصدر نفسه ، ص 19.

[3] المصدر نفسه، ص 190.

ومن بين العادات الّتي نجدها عند أهالي القرية ولا يتميّز بها أهل المدن نوم الأطفال في الفراش العائلي، وينطبق هذا على "نفيسة" إذ يقول الكاتب:" لا تستطيع النّوم مع أمّها وأخيها في الفراش العائلي، كما هي العادة لدى سكّان القرية"[1].

فهذه العادات لم تحبّذها "نفيسة"، ورفضتها، وفضّلت النّوم في حجرة ضيّقة على النّوم مع أمّها وأخيها.

إذن هذه أغلب الممارسات الّتي ذكرها المؤلّف في روايته حيث سادت على البيئة الاجتماعيّة الرّيفيّة، وهي عادات وتقاليد متوارثة منذ أجيال عديدة، وحافظ عليها سكّان القرية، وقد تكرّرت تلك المَوْرُوثات نظرًا لانتشار الجمود وقلّة الوعي،ونوع من التخلّف وكذا الانغلاق وكثرة الفراغ إذ جعلهم يملؤونه بهذه الخُزَعبلات الّتي كانت مرّات عدّة أكثر من عادات حقيقيّة.

2/المعتقدات الشّعبية:

يُقصد بالمعتقدات الشّعبية تلك الأفكار الّتي يُؤمن بها الشّعب بما يتعلّق بالعالم الخارجي، وما وراء الطّبيعة ، وهذه المعتقدات قد تكون في الأصل نابعة من نفوس أبناء الشّعب ذاتهم عن طريق الكشف أو الإلهام ، أو أنّها كانت معتقدات دينيّة كالإسلام أو المسيحيّة وما إلى ذلك ، ثمّ تحوّلت مع ظهور الزّمن إلى أشكال جديدة إلى الاعتقاد المغاير لما يحضى بالقُبول الرّسمي من رجال الدّين أو الفقهاء، ويدخلونها في عِدَاد الخرافات والإسرائيليّات، وتتميّز المعتقدات الشّعبية، باعتقاد يكون فيها كالأحجار، المياه، النباتات، الحيوانات، اللّحوم والأشكال حيث يكون الاعتقاد بشأن تأثيرها على تلك القوّة فوق الطّبيعة، وإخضاعها لإرادة الإنسان .

فهذه المعتقدات تعدّدت من بيئة إلى بيئة، ومن مجتمع إلى آخر، وهنا البيئة هي بيئة "ريح الجنوب"، إذ لا يمكن لها إنكار ما تتركه الحياة من بصمات وأفكار تولّدت في أعماق النّفس البشريّة عن طريق تصرّفاتهم. فمنذ وجود الإنسان فوق الأرض وهو محاط بطقوس

[1] المصدر نفسه، ص9.

وعادات وتقاليد ومعتقدات شعبيّة متوارثة عبر الأجيال منذ القدم. فنجدها تختلف عن الألوان الشّعبية بل تعدُّ الأصعب ، لأنّها تتعلّق بالمشاعر والأحاسيس العميقة، إذ يقال في هذا الصّدد أنّ :" المعتقد قناع كاشف يختلج في نفوس الشّعب من إحساس وشعور وفرح وخوف وإيمان وتطيّر خاصّة إذا تعلّق الأمر بالعالم الرّوحي أو بعض مظاهر الواقع المعيشي"[1].

وانطلاقا من هذا القول نستنتج أنّ المعتقدات الشّعبية راسخة في قلوب النّاس، فتؤثّر على نفوسهم ، حيث يلعب الخيال دوره ليعطيها طابعًا خاصًّا بها:" والمعتقدات تتمثّل في أفكار النّاس حول الكون والانسان والموت والحياة وما وراء الحياة"[2].

بمعنى أنّ مجالاتها واسعة، حيث نجدها متّصلة بالإنسان والحيوان والنّبات والأماكن والأشياء...

ويمكن أن نقول عن المعتقدات الشّعبية أنّها تأتي من معتقدات دينيّة أو أساطير وخرافات، لتقدِّم وتوضّح العقليّة الشّعبيّة القرويّة للأمور الغيبيّة الّتي تُصيبهم، واعتقادهم في نفع الميّت عند التصدّق عليه، وهذا ما نلمسه في القول التّالي:"...وكانوا أثناء الأكل يتنادون: انفعوا المرحومة؟ يعنُون بذلك أنّ النّهم في الأكل يُضاعف الثّواب والأجر ويوسّع الرّحمة على روح الفقيدة"[3].

فهذا الاعتقاد ترسّخ في عقول المجتمع الرّيفي ، إذ إنّ تخلّفهم أوصلهم إلى الاعتقاد في أنّ الإكثار من الأكل "يوم الفدية"، يضاعف ثواب المرحومة ويزيد من أجرها ، ويخفّف من ذنوبها.

أما الاعتقاد الّذي يتمثّل في وضع الآنيّة على قبر الميّت لِنَيْل المرحوم ثواب ذلك، فقد شرحه المؤلّف في شخصيّة العجوز "رحمة"، عندما ذهبت إلى قبر زوجها بآنيّة إذ قالت: "جئتك بهذا الكوب الصّغير الّذي صنعته في الأيّام الماضيّة، هذا ما أستطيع أن أفعل في

[1] سرير إلهام ، توظيف التراث الشعبي في الرّواية الجزائرية – دراسة لعينة – رسالة ماجستير 2001 ص 53 .
[2] عبد الحميد بورايو: منطق السّرد، دراساته في القصّة الجزائريّة الحديثة، ص 103
[3] عبد الحميد بن هدّوقة : ريح الجنوب ، ص198.

سبيلك، أضع آنيّة فوق قبرك لعلّ روحك تشرب ممّا يتجمّع فيها من ماء مطر، ليس عندي ما أتصدّق به عن روحك إلاّ الأواني الّتي أصنعها"[1].

فالهدف من وضع الأواني فوق القبور وتجمّع ماء المطر فيها، ليشرب منها الطّير تُحتسب كصدقة جاريّة لفائدة الميّت لتخفيف ذنوبه وهذا معتقد شائع عند بعض النّاس، وقد علّل "محمد مصايف" هذا الموقف البادر من العجوز "رحمة" على أنّه : موقف عملي تمهّنته منذ وفاة زوجها، حيث أنّها التزمت بزيادة قبره كلّ أسبوع ، ووضع بعض الأكواب الفخّاريّة الصّغيرة على هذا القبر، إيماءًا على وفائها وإخلاصها لزوجها الّذي قاسمته مُرَّ الحياة وحلوها لمدّة طويلة[2].

وهناك قول آخر يبيّن قيمة هذا المعتقد، ويتمثّل في الحوار الّذي جرى، بين كلّ من العجوز "رحمة" و"نفيسة": "فقالت الفتاة سائلة بدهشة وهي تشاهد القبر مغطّى بالأواني:

- لماذا كلّ هذه الأواني يا خالة؟

- لتشرب منها الطّير وينال المرحوم ثواب ذلك.

- ولكنّها فارغة.

- عندما ينزل المطر يتجمّع الماء فيها"[3].

ومن هذا المقطع نفهم أنّ الطّير لمّا يشرب من الآنيّة الموجودة فوق القبور سيَنَالُ المرحوم ثواب ذلك، واكتسابه حسنات تخفّف من ذنوبه، وهذا الثّواب الّذي سيتلقّاه المرحوم ما هو إلاّ ثواب معنوي وغيبي بالنّسبة إلينا.

وقد جاء قول آخر في الإيمان بقداسة القهوة ما يلي:"لم تفهم نفيسة جيّدًا ما تعني العجوز فسألتها قائلة: من هذه بنت الحسن الشّاذلي يا خالة؟

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب ، ص21-22.

[2] ينظر: الرّواية العربيّة الجزائريّة بين الواقعيّة والالتزام ، محمد مصايف ، ص 183.

[3] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب، ص 25.

الشاذليّة..ألا تعرفين الشّاذليّة بنت الحسن الشّاذلي؟ إنّها القهوة يا بنيّتي، وسيدي "الحسن الشّاذلي" هو الّذي اهتدى إليها وعرف سِرّها...هو يا بنيّتي ، سيدي حسن الشاذلي رضي الله عنه الّذي عرّف النّاس بها وأوّل من شربها"[1].

ومن الشّخصيّات الّتي تحمل فكرا محدودا العجوز "رحمة" الّتي تعتقد أنّ وليًّا صالحًا اكتشف القهوة، وهو أوّل من شربها، فبسببِ هذا الصّدى القوي أبت "نفيسة" مناقشة العجوز في هذا الموضوع –القهوة- لأنّها على دراية على أنّ كلامها لن: يجدي نفعًا ولا آذانًا صاغيّة من طرف العجوز "رحمة" .

وقد أضافت العجوز "رحمة" إلى ما سبق: " هي سوداء يا بنيّتي وأفعالها بيض؟"[2].

فهذه الفكرة تبلور طريقة تفكير النّاس من جانب المعتقدات ،إذ أنّهم يرَون أنّ: القهوة لونُها أسود ومحاسِنُها جمّة، وذلك من حيث تأثيرها على النّاس يقولون أنّ أفعالها بيض، يَعني مُفيدة، وهذه الفكرة نابعة من عقليّة ساذجة محدودة، أمّا نظرة "نفيسة" للقهوة فهي عكس ذلك، إذ إنّها تراها مضرّة للصِحّة خاصّة عند الإسراف فيها، فهي لا تصلُح لا للكبير، ولا للصّغير، "فدفاع العجوز رحمة بهذا الأسلوب ما هو في حقيقة الأمر إلاّ دِفَاع عن كرم وشهامة الرّيفيّين، وكذلك يحمل ردّ الواقع الشّعبي ، وعلى النّظريّات الطبيّة الّتي تدْعُو إلى الابتعاد عن القهوة ، بسبب تأثيرها على صحّة الإنسان"[3].

ومن بين المعتقدات الشّعبية الشّائعة في القرية ما قاله "الشّيخ حمّودة" "لعابد بن القاضي" من أجل علاج ابنته نفيسة: "تجب العزيمة، اختر معزة سوداء فاذبحها، سلالة ابن الأحمر لا تخرج بدون إراقة دم، وآتوني بمحبس من جمر"[4].

فالكاتب عمد على تقديم هذه المعتقدات كعنصر من عناصر التخلّف في القرية، فيبرز طريقة مداواة الطّالب "لنفيسة" عندما أغمِيَ عليها، وظنّا والديها في الوهلة الأولى أنّ كلّ

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب ص 18.

[2] المصدر نفسه، ،ص 19.

[3] ينظر:الشّخصيّة في الرّواية الجزائريّة ، بشير بويجرة محمد ص 105.

[4] عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب به، ص 212.

هذه الأعراض هي نتيجة صرع أصابها، ونظرًا لمحدوديّة فِكرهم أحضروا طالب من قرية المركزيّة، إذ إنّه يُصنَّف ضمن الرُّقاة الأكِفّاء هناك، ولّما حضر إلى بيت "عابد بن القاضي" ورأى "نفيسة" طلب منهم ذبح معزة سوداء وإراقة دمها من أجل خروج الجنيّ من سلالة ابن الأحمر، حسب اعتقاده.

ومن هنا نرى أنّ الكاتب يسخر من هؤلاء الّذين يرسّخون هذه المعقدات في عقول النّاس.

أما في شأن اعتقاد النّاس في ذبح الذّبائح بُغية شفاء المريض (نفيسة في الرّواية) نجد ما قامت به "خيرة" إذ إنّها:"...قبضت على دجاجة سوداء وأعطتها لزوجها ليذبحها ، وبالرّغم من حرص المرأة الرّيفيّة على دجاجها، فإن خيرة كانت في هذه اللّيلة سخيّة بلا منّ، مغتبطة أن تُضحيّ بدجاجتها من أجل ابنتها الوحيدة"[1].

فالأمّ هنا تعدّ نموذجا من نماذج نساء القرية اللّواتي يتمسّكن بميزات تميّزهنّ عن غيرهنّ بدليل أنّه لّما مرضت ابنتها "نفيسة" قبضت على إحدى دجاجاتها السّوداء ، وذبحتها من أجل شِفائها وهذا القول يبيّن ذلك :"أمّا الأم فقد قدّمت دجاجتها السّوداء العزيزة في سبيل شفاء ابنتها استجابة لنداء الأمُومة وحنانها الفيّاض، ثمّ إنّها تعتقد أنّ المرِيض الّذي لا يتناول مرق الدّجاج أثناء مرضه لا يُعجّل شفاؤه"[2].

نفهم ممّا سبق أنّ طريقة تفكير القرويّين متخلّفة و خاطئة ،وأنّ الشّفاء يكون من عند الله عزّ وجل ، والتعلّق بحبله المتين- القرآن الكريم- لا إتّباع الخرافات والشّعوذة الّتي لا يجدي منها نفعًا.

وقد أدرج"ابن هدّوقة" في روايته طريقة معالجة بعض المرضى ، كلجوئهم إلى أماكن معيّنة قصد زيّارتها والتبرّك بها، فنجد مثلاً:"أمّ رابح البكماء" ذهبت إلى "حمّام الصّالحين" من أجل شفائها من مرض التّيفوس، وهذه الأسطر خير دليل على ذلك :" ومن ذلك الوقت

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ص 214.

[2] المصدر نفسه ، ص 215.

وأمّك بكماء... كتبُوا لها ونشروا وبخّروا وأخذوها إلى "حمّام الصّالحين" ولكن كلّ ذلك لم ينفع"[1].

فتمسك المجتمع الرّيفي بهذه الاعتقادات الّتي تتمثّل في الكتابة للمريض أو البخور أو أخذهم إلى حمّامات معيّنة كحمّام الصّالحين، عِوض الذّهاب إلى الطّبيب ما هو إلاّ برهان عن تأخّر في عقيدهم وانزيّاح عن دينهم.

وآخر ما استوقفنا في رواية "ريح الجنوب" هذا القول: "هناك أشياء كثيرة لا تَعدُو أن تكون أساطير وخرافات، ولكن إيمان الشّعب بها يعطي لها حياةً وَوُجودًا لا يقبل المناقشة"[2].

فهنا نرى طُغيان الأساطير والخرافات في أذهان العامّة داخل القرية ممّا يجعلهم يقدّسونها ويعطون لها أهمّية لا تقبل الجِدال أو المناقشة فيها، ولا يمكن محْوُها من ذاكرة المجتمع أو في طريقة تفكيرهم وهذه ما هي إلاّ مرآة عاكسة لجهلهم في هذه الأمور، واعتقاداهم لأشياء قد تكون خارقة للعادة، ولا وجود منها.

فكل المعتقدات الّتي ورد ذكرها، طغت على المجتمع االقروي "لابن هدّوقة"، إذ إنّ ليست لها أيّة أصول في الدّين ولا حقائق علميّة مثبتة ، وعلى الرّغم من ذلك نجدها متداولة بشكل كبير في أفكار النّاس وسلوكهم ، وهذا لأنّنا نراهم يمارسونه في حياتنا اليوميّة، ويمكن أن نرجع سبب انتشارها إلى مخلّفات الاستعمار الفرنسي الّذي قام بمحوِ عروبة الشّعب الجزائري، وأصالته وثقافته، ودينه ، ومقوّماته الأساسيّة.

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص ص 129،128.

[2] المصدر نفسه، ص 19.

و- التّراث الشّعبي:

هو ذلك الموروث الحضاري الّذي تناقله النّاس جيلاً عن جيل من مكان عبر الأزمنة المختلفة.

وهو الأدب الّذي يتناقل شفاهيًّا، ويتكوّن من العادات والتّقاليد والمعتقدات الشّعبيّة ، الّتي من ضمنها السِّحر والشَّعوذة والأسَاطير والفُنون الشَّعبية بِصفة عامّة.

1- فالعادات والتّقاليد والمعتقدات الشّعبيّة قد تطرّقنا إليها في المبحث السّابق.

2- أمّا السّحر والشّعوذة : فهي من بين المعتقدات الشّعبيّة الّتي سادت في المجتمع، وأخذت جانبًا كبيرًا من حياة البشر سواءًا في الماضي أو الحاضر أو عند الشّعوب البدائيّة أو المتحضّرة، والّتي كثُر المُحترفين فيها. نجد الكثير من هذه الظّواهر لا زالت تطغى في مجتمعنا إلى اليوم، والدّليل على ذلك لجوء النّاس إليه بكثرة بهدف استنجادهم بالسّحرة والكهنة والمشعوذين والدجّالين في شتّى مجالات الحياة كطلب الرّزق، أو الشّفاء من مرض معيّن.

وقد أوجدُوا للسّحر تعاريف مختلفة من بينها تعريف "رولان دورون" حيث يقول على أنّه: "قوّة مشهورة تعزى إلى بعض الأفراد المكلّفين باللّجوء إلى قِوى فوق الطّبيعة تخرُق أو تُواجه مجمل قواعد الوضع البشري"[1].

فالسّبب الرّئيس الّذي جعل النّاس يلجؤون إلى السّحر والشّعوذة لاعتقادهم أنّ لهم قدرات عجيبة وخارقة للعادة في جلب الأرواح الخفيّة فيستحضرونها بطرق مختلفة كالرّقى والبخور والتّعاويذ ونحر الحيوانات... وهي تُعتبَر بالنّسبة إليهم أسرع طريقة لتحقيق رغباتهم والتّخفيف من آلامهم، حتّى وإن بذّرُوا فيها أموالهم بشكلٍ رهيب.

فالبيئة القرويّة في الرّواية أثارت في نفسيّة أفرادها هذه الظّاهرة ، وذلك راجع لجهلهم وتخلّفهم ، ومن بين الأمثلة الّتي ذكرها "ابن هدّوقة" في هذا الصّدد، وصف كيفيّة معالجة "نفيسة" عن طريق السّحر والشّعوذة والمقتطفات التّالية توضّح ذلك: "...أخرج كيسًا صغيرًا

[1] رولان دورون وفرانسوازيارو : موسوعة علم النفس، المجلد 2، عويدات للنّشر والطّباعة ، بيروت، لبنان، تعريب، فؤاد شاهين، رئيس قسم علم النّفس في الجامعة اللّبنانيّة ط1، 1997،ص 659 .

به عقاقير مختلفة لم تعرف منها خيرة إلاّ الجاوي، فوضع جُزءًا منها في النّار وأخذ الورقة الّتي بها صورة الهيكل البشري ، فوضعها على جبين نفيسة وأمر الأم أن تمسكها ورفع الورقة الثّانية الّتي بها صورة الدّائرة وشرع في القراءة..."إلى أن يقول في موضع آخر:"...شرع في العزيمة : أين ابن الأحمر، أين ابن الأزرق أين ابن الأكحل آتوني جميعا بجنودكم وخيولكم، ومحلاّتكم...، وأخذت كلماته تمحي في تمتمة لا يفهمها أحد ، وبين الفِينة والأخرى يضع البخور في النّار ويعيد بوضوح نداءاته: أين ابن الأحمر ، أين ابن الأزرق...ثم يدخل في تمتمة، وهكذا فترة من الزّمن ، ثم خاطب الجنيّ وهو متّجه إلى الفتاة : أخرج الآن لقد تمّ مُرَادُكَ، أحْضَرتُ لك ما تحبّ أخرج ولا تعُد إلى هذه المَخْلُوقَة مِن اليوم"[1].

إنّ تفشّي ظاهرة السّحر والشّعوذة في أوساط المجتمع الرّيفي كانت بنسبة كبيرة، وهذا دليل على تخلّف البيئة الّتي ترعرعوا فيها، ونلمس هذا التخلّف في استغنائهم عن الطّبيب والتمسّك بالخرافات الّتي تدخل في شرك الله، و"الشّيخ حمّودة" خير مثال على ذلك لأنّه احترف في ميدان الشّعوذة، وأصبحت عنده كمهنة يمارسها ويتقاضى مقابلها أجرًا ، وكانت "نفيسة" من إحدى ضحاياه إذ إنّه اتّبع على طريقة الشّعوذة في علاجها ، كاستعماله لأوراق تحتوي على صورة الهيكل البشري ، وصورة الدّائرة الملوّنة، والعقاقير المختلفة الّتي كان يضعُها في النّار بالإضافة إلى تمتمات لا يفهمها أحد غيره.

وعند الانتهاء من شعوذته: "كتب الشّيخ حجابا للفتاة، كما كتب في جزء من ورقة كتابة غير مفهومة، وقسّمها إلى سبع وُريقات وناولها مع الحجاب إلى الأم وهو يقول: "تبخّر نفيسة بورقة كلّ ليلة مدّة سبعة أيّام مع شيء من الجاوي، أمّا الحجاب فتضعه في جلد أحمر وتعلّقه، والله الشّافي"[2].

وهذا متمّم لما بدأه الطّالب في معالجة "نفيسة" لأنّه في اعتقاده، لمّا تبخّر "نفيسة" بتلك الأوراق والجاوي لمدّة سبعة أيّام، ولمّا تعلّق ذلك الحجاب المغلّف بالجلد الأحمر سوف تُشفى لا محال، وكلّ هذا مجردّ اعتقاد خاطئ لا صِحَّة منه ، انتشر في القرية الّتي تسكنها "نفيسة".

[1] عبد الحميد بن هدّوقة ، ريح الجنوب، ص ص 212_213.

[2] المصدر نفسه، ص 213.

فمن التّحليل السّابق نجد أنّ "عبد الحميد بن هدّوقة" عالج في روايته مختلف الطّقوس والعادات القديمة الّتي لازالت متواجدة في بيئتنا الاجتماعيّة إلى حدّ السّاعة ،بالرّغم من إنكار وتحريم القرآن الكريم لها، وتأييد الرّسول صلىّ الله عليه وسلم في سنّته النّبويّة الشّريفة ببطلانها، ومن الآيات التّي جاءت في هذا النّحو : قوله تعالى: ﴿ولا يُفلِحُ السَّاحِرُ حيثُ أتى﴾[1]، وقوله أيضًا: ﴿إنَّا آمنَّا بِربِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وما أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ واللهُ خَيْرٌ وأبْقَى﴾[2].

أمّا في سنّة رسولنا الحبيب نجده يحذّرنا من السّحرة والكهنة، ويجعل السِّحر في مرتبة المُوبقات السّبع، لكن للأسف نجد في مجتمعنا أنّ العرّاف أو المشعوذ يأخذ مرتبة الطّبيب.

ومن هنا نلاحظ أنّ هذه الظّاهرة (ظاهرة السّحر والشّعوذة) هي طاغيّة على المحيط الرّيفي، لأنّها هي بمثابة الأرض الخِصبة لانتشارها وكلّ هذا بسبب قلّة وعْيهِم وتخلّفهم وكذلك لجهلهم بأمُور الدّين .

3- بالإضافة إلى السّحر والشّعوذة نجد الأسطورة: والّتي كان لها مكانا بارزًا في رواية "ريح الجنوب"، حيث أضافت لها قيمة جماليّة ،"فالموضوع هو المجتمع الرّيفي القائم على التّقاليد، والّذي تتكوّن ثقافته بالدّرجة الأولى من هذه الخبرات والحكم والقصص الّتي تتناقلها الأجيال بعضها عن بعض"[3].

فالأسطورة تعتبر "حكاية خرافيّة شعبيّة الأصل وغير مترويّة، يمثّل فيها الفاعِلون اللاّشخصيّون، وفي الأغلب تمثّل فينا قِوَى الطّبيعة في صور كائنات شخصيّة ويكون لأفعالها أو مغامراتها معنىً رمزي"[4].

كما أنّها تعتبر أحاديث باطلة لا حقيقة لها في الواقع، وهي نسج من الخيال

[1] سورة طه ، الآية 96.

[2] سورة طه، الآية 73.

[3] محمد مصايف: الرّواية العربيّة الجزائريّة بين الواقعيّة والالتزام، ص 84.

[4] أندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ، معجم مصطلحات الفلسفية النقدية والتقنية ص 850

وهذا ما يؤكّده قوله تعالى حين يقول في القرآن الكريم: ﴿إنّ هذا إلاّ أساطير الأوّلين﴾[1].

وقد عرّف "محمد عجنية" الأسطورة بقوله: "إنّها ثمرة من الخيال البشري النّابع من موقع معيّن والرّامي إلى القيّام بعمل ما"[2].

ومن بين الأساطير الّتي كانت سائدة في البيئة القرويّة للرّواية ، نجد أسطورة "الحاج حمّودة":" الّذي باع رأسه من أجل سقوط المطر في القرية...الّذي رجا الأولياء واستصرخهم، ولعق المناجل و لم يترل المطر ، فاضطرّ إلى بيع رأسه فداءًا للقرية ، واستسقاءاً للماء"[3].

وهذه القصّة هي خير مثال توضّح الحل الأسمى الّذي لجأ إليه أهل القرية بعد عجزهم في الحصول على الماء ، وذلك بالاستناد إلى الأوليّاء الصّالحين من ناحيّة، واعتقاد سكّان الرّيف بقوّة الدّعاء وحكمته من ناحيَّة أخرى، وقد خلّدت "العجوز رحمة" عمل "الحاج حمّودة" الّذي يُعتر بالنّسبة إلى أهل القرية عمل بطولي ، وذلك برسمها على إحدى أوانيها الفخّاريّة "رسم يشبه إطار الغربال أو الطّبل وفي وسطه شكل منجل"[4].

فهذه الأسطورة هي بمثابة رمز عن المجتمعات القروية المتخلّفة، إذ إنّها ليست وليدة ثقافة معيّنة، أو شعب معيّن، بل هي تخصّ فئة من المجتمع ألا وهو المجتمع الرّيفي.

ومن هنا نقول عن البيئة القرويَّة أنّها هي الّتي تدفع بأفرادها للّجوء إلى الإيمان بالأساطير والتمسّك بها نظرًا لصعوبة العيش في وسطها كافتقارها لأدنى شروط الحياة منها الماء، وكلّ هذا جعل سكّان القرية يتمسّكون بهذه الأساطير ، وذلك كتبرير عن عجزهم للحصول على حلٍّ واقعي لمشكلةٍ ما ولجوئهم لحلٍّ مثالي (ميتافيزيقي) (الأسطورة) .

---

[1] سورة الأنفال،الآية 31.

[2] حورية حبيب ، المعتقدات الشّعبية في النصّ الرّوائي الجزائري ، ص 18.

[3] ينظر ،ريح الجنوب، عبد الحميد بن هدوقة،ص ص 130-131.

[4] المصدر نفسه، ص 130.

4- الفنون الشّعبيّة: وتمثّل جزء من التّراث الشّعبي، وهي بـــدورها تتفـــرّع إلى الأمثال الشّعبيّة ، الحكم والألغاز، الموسيقى، الشّعر الشّعبي ، القصائد الدّينيّة إضافة إلى الطّب الشّعبي...

ا- الأمثال الشّعبيّة:

لقد وظفت في الرّواية كشكل من أشكال التّعبير الشّعبي الّتي تلقى رواجًـــا وتـــداولًا بسرعة بين سكّان القرية، ويحاولون صياغة آرائهم في هذا التّعبير الشّفوي.

والمثل الشّعبي: "عبارة قصيرة تلخّص حدثا ماضيّا أو تجربة منتهيّة، وموقف الإنسان من هذا الحدث أو هذه التّجربة في أسلوب غير شخصي ، وهو تعبير شعبي يأخذ شكل الحكمة الّتي تنبني على تجربة وخبرة مشتركة"[1].

ونقول عن المثل الشعبي أنّه من أوسع الفنون الشّعبيّة ذُيُوعًا وانتشارًا وأكثرها دورانًـــا على الألسن القرويّة، ورُسوخا في الوِجدان، كما أنّه يعتبر :" معيار لقيّاس السّلوك الفـــردي والجماعي في كثير من استعمالاته اليوميّة، وهو وليد التّجارب والممارســـات الاجتماعيّـــة ، تسمح الاستعانة به لتلخّص تفاصيل كثيرة، وتجنّب الخوض في كـــلامٍ إضـــافي...ويخـــضع لمقوّمات ثقافيّة و اجتماعيّة ودينيّة للمجتمع"[2].

وقد ورد في الرّواية أحد عشرة مثلاً شعبيًّا ليعبّر عن تجارب وقعت في بيئتها الرّيفيّـــة، وليكشف عمّا يختلج في نفوس الشّخصيّات خاصّة شخصيّة العجوز "رحمة" وضمن الأمثال الّتي ذكرتها نجد:

-"ما يدري بالمزود غير اللّي ضرب به وإلاّ انضرب به"[3].

[1] عبد الحميد بورايو: منطق السّرد، ص 107.

[2] مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة،جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان،العدد7، جوان 2005،ص 159 .

[3] عبد الحميد بن هدّوقة، ريح الجنوب ،ص 16.

وينبثق من هذا المثل الشّعبي مثل آخر متداول في حياتنا اليوميّة وهو: "ما يحس بالجمرة غير اللّي كْوَاتو" فقد ضربت هذا المثل لتعبِّر به عن حالتها الصحيّة الّتي آلت إليها حاليًّا، فمن كثرة قساوة الحياة الّتي تعيشها في الرّيف دفع بها إلى ضرب هذا المثل الشّعبي.

- "ناكلو في القوت ونَسنُّو الموت"[1].

فقد جاء هذا المثل لتعبّر به العجوز عن عدم وجود فرق بين حياتها أو موتهـــا، لأنّ في كليهما معاناة.

- "لا تكن حُلوًا فتبلع ولا مرًّا فتدفع"[2].

فهذا المثل هو أيضا نابع من بيئة قرويّة ، وينطبق على حياتنا اليوميّة فالإنسان الّـــذي يكون يسيرًا ومتساهلاً في معاملته مع النّاس يصبح سهل المنال ولا تصبح لـــه أي قيمـــة أو مكانة في المحيط الّذي يعيش فيه، وهذا ما حصل "لخيرة" أمّ "نفيسة" حيث أنّها اتّـــسمت في معاملتها مع ابنتها باللّيونة ، ممّا جعل هذه الأخيرة لا تحترم أمّها- والعكس صـــحيح، أي أنّ الإنسان المتغطرس المتشدّد في أحكامه وقراراته ينفر منه النّاس- "وابن قاضي" هو خير مثال عن هذا النوع —.

-"من لا يحدّثه قلبه لا يفيد تذكيره"[3].

أي أنّ الإنسان الّذي لا يغيّر نفسه بنفسِه لا يستطيع أحد تغييره أو تبديل سلوكه.

-"لا تمشي الأرجل إلاّ حيث يحب ّالقلب"[4].

ومعنى المثل أنّ الإنسان لا يذهب إلاّ للمكان الّذي يجد فيه راحته، والكلمة الطيّبـــة ، وحسن المعاملة ، فكلّ هذه الصّفات هي الّتي تجلب وجدان الإنسان.

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب ، ص 16.

[2] المصدر نفسه ، ص 28.

[3] المصدرنفسه ، ص 28.

[4] المصدر نفسه، ص 31.

وهناك أمثال أخرى وردت على لسان بعض الشّخصيّات المذكورة في الرّواية، ومنها ما قاله أحد الفلاّحين: "إذا شبْعت الكرش تقول للرّاس غنيّ لي"[1].

استشهد الرّجل الّذي كان من بين المعزومين بهذا المثل الشّعبي، وذلك عندما انتهى المدعوُّون من الأكل ، فأخرج صاحب المزمار مزماره، وصاحب الطّبل أخرج طبله ، فحوّلوا الصّمت النّسبي إلى ضجّة عارمة .

ونجد أيضًا مثلاً شائعًا في الوسط القروي وهو: "اضرب امرأتك دائمًا، فإن لم تكن أنت تعرف لماذا فهي تعرف..."[2].

فهذا المثل ينطبق على الرّجل الرّيفي المتغطرس- والهاضم لحقوق المرأة- حيث يحطّ من شأن المرأة.

زد عما سبق هذا المثال: "اليوم عندي وغدوة عندك"[3].

وقد قال هذا المثل ذلك الرّجل الّذي كان يستهزئُ من "ابن القاضي" عندما هربت "نفيسة" من المترل ، وضرب له هذا المثل من أجل إثارة أعصابه وإغاظته.

نستنتج أنّ المثل الشّعبي يعيش مع الشّخص القروي مرّات عديدة في يومه دون أن يدرك ذلك، وهكذا نجد أفراد البيئة الرّيفية يتداولون المثل الشّعبي من أجل التّواصل بينهم، فيخرجون ما يختلج بأنفسهم في عبارات قصيرة موجزة وبطريقة غير مباشرة وللبيئة أثر في ذلك فهي الّتي أكسبتهم هذه الموهبة.

ب-الحكم والألغاز:

❖ الحكمة: هي قول مأثور يتميّز بجزالة الألفاظ وقوّة التّعبير وسرعة التّأثير، بحيث يقولها حكيم من المجتمع فتصبح متداولة بين الألسن والأفراد كعبرة يُعمل بها، وتصلح في مواقف معيّنة، وقد تكون ذات تعبير سلبي.

[1] المصدر نفسه، ص 57.
[2] المصدر نفسه،ص 203.
[3] المصدر نفسه، ص 263.

والحكمة هي خلاصة لتجربة، والتّجربة بدورها اكتُسبت من المحيط القروي الّذي ينتمي إليه الفرد، ومن بين الحكم الّتي وظّفها الكاتب في روايته هي: "الولد الصّالح مثل الأرض الصّالحة إن لم تربحك الرّبح الكثير فلن تخسرك"[1].

شبّه الكاتب في هذا القول الولد الصّالح بالأرض الصّالحة الخصبة المنتجة فإن لم يجد صاحبها النّفع فيها فلا تضره.

وقد وُجدت حكمة أخرى تقول: "إنّ لكلّ معسرة ميسرة، وسعة البال أليق بصاحب المال"[2].

وهذا القول جاء على لسان "ابن القاضي"، وهو عبارة عن تناص من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فإنَّ مع العُسرِ يُسرًا، إنّ مع العُسر يُسرًا﴾[3]، أي أنّ بعد الشدّة يأتي الفرج، وأضاف كذلك أنّ الإنسان الغني لابدّ أن يكون باله مرتاح لمواجهة مصاعب الحياة اليوميّة.

ومن هنا يمكن القول أن للبيئة القرويّة دور كبير في الدّفع بأهلها لاستخلاص حكم من الواقع المُعاش وهذا راجع للتّجارب الّتي أمدّتهم بها قساوة الحياة.

❖ أمّا الألغاز: هي عبارة موحيّة تذكر لفئة من النّاس في وقت معيّن على سبيل المتعة لإيجاد حلّ لها أو للفكاهة أو لِغَرض مرجوٍّ وهدف ينبغي أن يوصل إليها، وهذا الطّابع المأثور انتشر منذ القِدم وتداولته الجدّات للنشءِ من أجل الحفاظ على هذا التّراث الثّقافي الخاص بأهل القرى، وليكون وسيلة للتّواصل بين فئة من النّاس، ويستعمل فيها العقل والفهم خاصّة الذّكاء الّذي يلعب عنصرًا فعّالاً لفهم مضمُونِها، فمن بين الألغاز الّتي ضمّنها "ابن هدّوقة" في روايته:

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب ص 73.

[2] المصدر نفسه، ص 111.

[3] سورة الشرح: الآيتين 5-6، ص 596.

"مشوي في القمر!...هات ثلاثة!...لاشكّ أنّ القرية تعدّ المشوي لزائريها اليـــوم!... أربعة؟ثلاث بنات وميسّة: عرس وخيّاطة بيت!"[1].

فهذه الأقوال كانت من ضمن الألعاب الشّعبيّة الّتي كان يحترفها رجال القرية في المقهى وكان حوارهم فيها على شكل ألغاز لا يفهمها غيرهم.

وقد استعمِلت هذه الألغاز للهروب من الواقع المرير في القرية والهدف منها التّرفيه عن النّفس.

نستنتج أنّ القرية الّتي تحدّث عنها الكاتب في روايته ولّدت في ســكّانها نوعــاً مــن التّواصل الخاصّ بهم، ألا وهو الألغاز بحيث لا يمكن لأفراد أيّ بيئة أخرى فهمها.

الموسيقى:

ونقصد بها في الرّواية أنغام الرّاعي "رابح" الّتي كانت تصدر من نايه، فسماع أنغامــه كانت بمثابة دليل على وجود الحياة في القرية، لأنّ القرية بطبعها خاليّة ومنعزلة.

ونلمس عدّة دلالات من خلال هذه الموسيقى:

أوّلا: عمِلت على رسم نفسيّة بطلة القصّة "نفيسة"، فصوت النّاي بالنّسبة لهــا كــان تعبير عن قساوة الحياة في الباديّة، كما وجدت فيه الرّاحة وهي تُعاني مــن اضــطرابات في نفسِها، وهي تُوحي بإحساس كئيب بالوحدة وفقدان الحريّة في المجتمع المحافظ يحبس المــرأة بين أربعة جدران، كما وجدت فيه أيضًا متنفّسا من جميع القيود المفروضة عليهــا، وذلــك عندما تنقلُها تلك الأنغام إلى أجواء الخيال، فتهرب من واقعها إلى حلم يتحقّق فيه رغباتهــا: "أنسيت في المكان والزّمان وحلّقت بها الأنغام في سدم عَلِيًّا لا آفاق لها ولا حدود"[2].

إذن هذه الأنغام تمثّل ل"نفيسة" الجنّة الّتي تهرب إليها من واقعها المعاش.

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب ، ص 45.

[2] المصدر نفسه ، ص 14.

ثانيًا: و"رابح" كان النّاي عنده أداة يعبّر بها عمّا يجيش به صدره من عواطف وآمال غامضة: "وكان في عزفه يعبّر عن هذه العواطف ويعبّر عن أخرى ليست واضحة في نفسه، عواطف تتعلّق بالمستقبل...وكان عزفه يصوّر السّعادة والحزن، ويصوّر الرّضا والسّخط ويصوّر الأزمنة الثّلاثة بكلّ ملابساتها وغيبيّاتها المحزنة والمسرّة"[1]. وقد وجد أثناء عزف النّاي "متنفّسًا لمشاعر المراهقة والحزن الّذي يغمُره والنّاتج على الحالة البيئيّة التّي يعيشها"[2].

ويقول المؤلّف عن "رابح" في موضع آخر: "أخذ نايه وبدأ يعزف بصوت منخفض لحنًا لحزنه، ولحنًا لحبّه على هذا الغريب؟ كانت أحيانًا ترقّ حتّى تصير هي الحزن نفسه وأحيانا ترتفع فتشتدّ فتعنفُ فإذا هي الثّورة على حياته وحالته"[3].

إذا كان "رابح" يمثّل في هذه الرّواية طبقة الكادحين من فلاّحين وعمّال، فإنّ الموسيقى الشّعبيّة تصبح بالنّسبة لهذه الطّبقة تعبيرًا عن الألم والأمل والثّورة على الأوضاع القائمة في القرية، فهي تعبّر عن المعاناة الّتي يعاني منها الكادحين من جرّاء الاستغلال وسُوءِ المعيشة وعن ثورتهم على هذه الوضعيّة المرفوضة، وهي أيضًا تعبّر عن أملهم في مستقبل تتحقّق فيه العدالة الاجتماعيّة، وينالون حقّهم في الحياة السّعيدة، وقد أضاف أيضا في هذا الصّدد القول التّالي: "...وكانت حينئذ تنطلق من إحدى الرُّبى المقابلة للقرية أنغام ناي صافيّة كالنّور...إنّها بصفائها وعذوبتها تجعل فراغ القرية أجمل ما أبدعه العمران..."[4].

فأنغام النّاي الصّادرة من فم الرّاعي "رابح" هي بمثابة منبع للجمال.

ثالثا: أمّا العجوز "رحمة" فقد كانت أنغام النّاي بالنّسبة إليها كسدّ للفراغ والصّمت الطّاغيّين على القرية، وهذا القول دليل على ما قلناه: "...وكنّ وهنّ عائدات يستمعن إلى

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة،ريح الجنوب ، ص 254.

[2] عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراساته في القصة الجزائرية الحديثة، ص 104.

[3] المصدر نفسه ، ص102.

[4] المصدر نفسه، ص 43.

أنغام الناي آتيّة من سفح الجبل المشرق على القرية أنغام تتحدّى الحرّ والغيوم، فتوقّفت العجوز قليلا وقالت: لولا هذا النّاي لظننّا القرية خلت من سكّانها منذ سنين..."[1].

فهذه الأنغام الّتي استمعن إليها كلّ من "رحمة" و"خيرة" و"نفيسة" تمثّل الموسيقى الشّعبية والتّي يعتبرونها أهل القرية عنصر الحياة، إذ لولا وجودها لعمّ الجمود والصّمت ولبدت القرية مهجورة.

ومن خلال ما سبق نستنتج أنّ أنغام النّاي "رابح" كانت لها عدّة معاني تختلف في البيئة القرويّة للرّواية من شخص إلى شخص آخر، ولهذا نجدها تارة ترمز على التّفاؤل والفرح وتارة أخرى إلى التّشاؤم والحزن والكآبة.

وأيضًا كانت الموسيقى متنفّسا لأفراد القرية وبواسطتها يهربون بخيالهم من الواقع المرير، أي ضغوطات المحيط الرّيفي الذّي يعيشون فيه.

ج- الشّعر الشّعبي:

هو من فنون القول الشّعبية والّتي ترقى من حيث بنائه الفنيّ إلى مستوى الشّعر، وهذا ما يعرف بمصطلح الأدب الشّعبي عموما.

فالشّعر الشّعبي ارتبط بالطّبقات الكادحة المتواجدة في المناطق الرّيفية والّتي تتّخذ منه أداة للّتعبير الصّادق عن مشاعر الجماعة، ولأنّ "ابن هدّوقة" على دراية تامّة بهذا الموروث الشّعبي، فقد سعى في توظيفه في روايته المرتبطة بالبيئة الرّيفية، ممّا جعله يستعمل بعض الوسائل التّعبيريّة النّابعة من هذه البيئة، لهذا وظّف مقطوعات شعريّة من الشّعر الشّعبي مثل قول الشّاعر "الشّيخ عبد الرّحمن مجذوب"[2].

سوق النسا سوق غرّار ... يا داخلو رد بالك

يوررولك من الرّبح قنطار ... ويخسروك من رأس مالك

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب ، ص 26

[2] المصدر نفسه ، ص 203

فهذين البيتين كُتِبَا على المرأة ومضمونهما نُصح الرّجل في اتّخاذ الحِيطة مِنهنّ ومثّل هاته النّسوة بالسّوق الغرّار بحيث إذا دخله أحد لزِم عليه توخّي الحذر منهنّ.

وهناك قول شاعر آخر وهو:

ماذا تدّي يا تراب من الزّينين يا درّاق وجوه الأحباب خسارة[1]

الموت نموت لا نتموشي حيين لازم ذيك الدّار هي تفنيـــها[2]

هاذين البيتين من الشّعر ضربهما "القهواجي قويدر" عندما سمع نبـأ وفـاة العجـوز "رحمة"، ونستخلص منهما أنّ الإنسان مهما طال عمره فسيرجع إلى التّراب، أي أنّ نهايتـه تبقى واحدة وهي الفناء والموت.

ومن هنا يمكن أن نقول أنّ الشّعر الشّعبي هو نابع من بيئة ريفيّة محضة وهو يقوم بنفس الدّور الّذي قام به المثل الشّعبي، وذلك لاحتوائه على معاني وأفكار معبّرة عن قضيّة معيّنـة تخصّ المجتمع القروي، وهو يُعَدّ أيضًا كبصمة ثقافيّة يتوارثها الأفراد القرويّين جيلًا عن جيل.

د- القصائد الدّينيّة:

لقد ضمّن "عبد الحميد بن هدّوقة" روايته ببعض القصائد الدّينيّة (هي قصائد مضمونها ديني) والتّي تصنّف ضمن الموروث الثّقافي، وكان ظهورها في عهد الرّسول (صلّى الله عليه وسلم)، ولا يزال متداولاً بين المسلمين لحدّ السّاعة لما فيه من دور ثقافي، ديني وتوعوي، لأنّ النّاس يأخذون منه الحكمة والعبرة، ومعظم هذه القصائد هي عبارة عن مدائح دينيّـة موضـوعها مدح الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) وذكر محاسنه وصفاته.

وقد جسّدت هذه القصائد الدّينيّة على لسان مشايخ القرية الّذين يعدّون نخبـة مـن المجتمع، فيسردونها في مناسبات عامّة أو خاصّة سواء في المآتم أو الأفراح، والمثال الّذي بـين

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 164.

[2] المصدر نفسه، ص 165.

أيدينا يبيّن مدى تمسّك المجتمع القروي لهذه القصائد خاصّة لّما أنشدوها في موت العجـوز "رحمة" وهم في طريقهم بها إلى المقبرة، وهذه القصائد هي كالتّالي:

أمـــن تذكّـــر جيـــران بـــذي سلـــم مزجـــت دمعا جرى مـــن مقلة بدم

أمّن هبّت الرّيح من تلقاء كاظمه وأومض البرق في الظّلماء من إضـــم

فما لعينيك إن قلت اكففا همّتـــا وما لقبلـــك إن قلت استفق يهـــم[1]

هاته الأبيات الشّعرية مقتطفة من قصيدة البردة "للبويصري" أنشدها بعـض حفظـة القرآن لسكّان القرية في مأتم العجوز "رحمة".

والبعض الآخر الّذين لا يحفظون هذه القصيدة كانوا يردّدون مطلع الـبردة "لأحمـد شوقي" بقولهم:

مولاي صلّ وسلّم دائمًـــا أبـــدا علـــى حبيبك خيـــر الخلق كلّهم[2]

وعند وصولهم إلى المقبرة ختمُوا إنشادهم ببيت يمجّد الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) وهـو كالتّالي:

محمد سيّـــد الكونيـــن والثّقليـــن والفرقين من عرب ومـــن عجـــم[3]

ونستخلص أنّ القرية الّتي تحدّث عنها "ابن هدّوقة" مازالت متمسّكة بهـذا المـوروث الشّعبي (القصائد الدّينيّة)، وتعدّ هذه الصّفة من الإيجابيّات الّتي تتحلّى بها القرية.

ونجد أيضًا في الرّواية إرث ثقافي من نوع آخر ويتمثّل في:

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب، ص 175.
[2] المصدر نفسه، ص 176.
[3] المصدر نفسه، ص 176.

هـ الطّب الشّعبي: الّذي يعدّ من الوسائل التّقليديّة الّتي لجأ إليها الإنسان البدائي في معالجته لأمراض مختلفة، فنجد أنّ مصدره طبيعي خالص يعتمد على أعشاب ونباتات مفيدة لأعراضٍ شتّى.

فالبيئة الرّيفيّة ـ لرواية ريح الجنوب ـ اتّسمت بعدم إلمامها بالطّبيب وذلك راجع لتمسّك ساكنيها بالعادات والتّقاليد الخاصّة بالتّداوي بالأعشاب والنّباتات الطّبيعيّة،وقد تحدّث الكاتب عن بعض الشّخصيّات التّي أتقنت المداواة بهذه الأعشاب وقد فصّل في ذكر أنواع من الحشائش وطريقة استعمالها بالتّفصيل .

ومن بين الأمثلة الّتي وردت في الرّواية بغية التّفصيل في استعمال هاته الحشائش من طرف سكّان القرية، نذكر هذا القول: "يجب أن أغلّي الخباز لتبديل ضمّادة ذراعك اليُسرى..."[1].

استعملت العجوز "رحمة" بعض الحشيش لمداواة المرضى، فمثلاً عندما جُرح "مالك" قامت هي بعلاجته وذلك باستعمالها نبتة الخبّاز الّتي تُعَدُّ دَواءً نافعًا ليستعمل في الأخير كضمّادة.

وهناك قول آخر يدعّم تحليلنا ويتمثّل في: "أنّ الخبّاز يزيل الانتفاخ ويطهّر الجرح بدون أن يحدث أيّ التهاب"[2].

واستعملت أيضًا العجوز "رحمة" حشائش الخبّاز كدواء طبّي يزيل الانتفاخ، كما أنّه يطهّر الجرح دون أن يحدث أيّ مضاعفات.

ونجد قول آخر ذكره الكاتب وبيّن فيه طريقة استعمال العجوز لنبات الخبّاز حيث قال: "أخذت العجوز الماء الّذي غلت فيه عشب الخبّاز، فغسلت فيه ذراع مالك، ثم أخذت

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب ، ص 146.

[2] المصدر نفسه ، ص 150.

قطعة من قماش فوضعت فيها أوراق الخبّاز بعد أن عصرتها جيّدًا من الماء وغمستها في الزّيت وربطتها على جرحه في رفق"[1].

فهذه الكيفيّة استعملتها العجوز لتعالج جروح "مالك" فشرحها الكاتب بالتّفصيل وبعد الانتهاء من استعمال ذلك العشب –الخبّاز- ذكرت فائدته ،إذ تعدّ في نظرها أحسن مرهم ضدّ التعفّن، مضيفة أنّ بعض النّاس يستعملون البصل، لكنّها هي لا تحبّذه لأنّ رائحته كريهة وهذا على حسب قولها[2].

بالإضافة إلى ما سبق نجد استعمال "الأم البكماء" للثّوم مع بعض النّباتات الّتي جاء بها "رابح" من الغابة لمعالجة "نفيسة" من آثار الجرح الّذي خلّفه الثّعبان وذلك بجعله كمرهم لتعجيل شفائها[3].

نستنتج أنّ التّداوي بالأعشاب في القرية هو كبديل لطبّ العصر الّذي يعتمد على النّباتات كمادّة أوّلية استُخدِمت قديمًا، واعتُمِدَت حديثًا لقلّة المرافق الصحيّة، أو لنجاعتها وسرعة مفعولها في الشّفاء، وأيضًا يمكن أن نضيف الحكمة القائلة: "الحاجة أمّ الاختراع"، فالبيئة الرّيفيّة للرّواية لم تتوفّر فيها الوسائل الحديثة للعلاج، فما كان على أهلها إلاّ اللّجوء إلى الطّب الشّعبي الّذي تفوّقوا فيه على الرّغم من جهلهم في بعض النّواحي الأخرى.

إن البيئة الرّيفية لها تجليّات اجتماعيّة تؤثّر على سير العلاقات بين أفرادها، ولعلّ من أهمّ هذه التجليّات الإيجابيّة التي برزت في الرّواية نجد الجود والكرم الّذي اشتهر به سكّان أهل القرية، إذ إنّنا نجدهم متمسّكين ببعض الفنون الشّعبيّة، كامتهانهم للطّب الشّعبي (هو بديل للطّب العصري)، أمّا التجليّات السّلبية نذكر منها: تسلّط الرّجل والفقر والتخلّف وظهور الخرافات والشّعوذة في الممارسات اليومة لأفرادها.

---

[1] عبد الحميد بن هدّوقة: ريح الجنوب ، ص 153.

[2] المصدر نفسه، ص 153.

[3] المصدر نفسه،ص 252.

المبحث الثاني: تجليات بيئة القرية في رواية بان الصبح.

1- التّجليّات الفكرية و الأخلاقية :

أ- التخلّف :

من بين الممارسات الّتي تدلّ على تخلُّف الرّجل القروي و تعصُّبِه هو ذلك التصرُّف اللاّواعي من طرف "صالح"، عندما سمع أخاه "الشّيخ علاوة " يتّهم ابنته بالفسق و الفجور ، فأوّل ما قام به : " أخذ معولا و مسحاة ، و اتّجه إلى مكان بُنِيت به حجرة لكنّها ما زالت في طورها الأوّل، لا باب، لا جبس، لا جص ،و بدأ يحفر سمعت زوجته وقع المعول فأقبلت عليه تستطلع الأمر، فوجدته بصدد حفر قبر "[1].

فهذا القول لدليل قاطع على تخلّف " صالح" ، و ذلك راجع للبيئة الّتي شبّ فيها ، و عمِلت على غرس بعض الأفكار و القيّم الغير أخلاقية في ذهنه ، و فرضت عليه التمسّك بهذه العادات والتّقاليد الباليّة ، التّي تنصّ على قتل الفتاة إذا تعلّقت المسألة بالشّرف حيث قال " صالح " في هذا الصّدد :" لابدّ أن أفعل ما يوجبه عليَّ شرفي و ضميري معاً "[2].

في اعتقاده يظنّ أنّه بمجرّد قتل ابنته بيده يطهّر شرفه .

و أخيرا نستنتج أنّ البيئة القروية لها دور كبير في غرس هذه الأفكار السّلبية الغير محبّذة في شريعتنا الإسلامية والتي تحرّم القتل في أذهان ساكنيها الموسومين بالجهل .

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة،بان الصّبح،ص317

[2] المصدر نفسه،ص

تميّزت رواية "بان الصّبح"عن باقي روايات " ابن هدوقة " بأنّـــها الرّواية الوحيدة التّـــي

اختار كاتبُها أن تجري جُلّ أحداثها في المدينة بدل الرّيف، بمعنى أنّه خصّص الجـــزء الأكبر فـــي هذه الرّواية للمدينة و ما تحْويه من مشاكل وهموم،أمّا الجزء القليل المتبقّـــي فتحدّث فيه عن القرية.

و لهذا لم نجد في تحليلنا إلّا نسبة ضئيلة من تجلّيات بيئة القرية فـــي"بان الـــصّبح"و نذكر منها :

2 – التجليّات النّفسيّة :

أ – **الحزن** : إنّ هذه الظّاهرة النّفسيّة طغت على"نعيمة "وهي في التّاسعة من العمر لحظة وفاة عمّتها الّتي كانت بمثابة أمّ لها، فقد تحدّث الكاتب في هذا الصّدد بقوله :" إنّه يوم مظلم حقّا في حياة نعيمة!لأنّ عمّتها شيء آخر، كانت بالنّسبة إليها هي كلّ شيء ثمّ ماتت بسرعة !..."[1].

فهذا القول دليل على شِدَّة حزن "نعيمة" على عمّتها الّتي توفيّت و تركتها لوحدها في تلك القرية المليئة بالصّراعات و الطّاغيّة عليها العادات و التّقاليد الجائرة.

نستنتج أنّ البيئة الرّيفية هي التّي زادت من حدّة حزن " نعيمة " ، لأنها تزيد مـــن حدّة تخلّف وتعصّب ساكنيها ،فلربّما لو كانت " نعيمة " في المدينة لّما أحسّت يوم وفاة عمّتها بالظّلام الّذي يعدّ رمز من رموز الحزن و الأسى الشّديدين .

[1] عبد الحميد بن هدوقة ، بان الصبح ، ص 254.

ب ــ التفاؤل :

لقد أوجد " ابن هدوقة " في روايته " بان الصّبح " قول واحد يعبّر ضمنه عن تفاؤل " نعيمة " و إحساسها بالفرح و السّرور بعدما مرّت بفترة عصيبة ملؤُها الحزن و الأسى و اليأس ، إذ قال :"... تنظر (نعيمة) إلى باب العمارة و تتلاقى عيناها بلوحة الطّبيب سرورا لها، تبدو الجبال المحيطة بها مخضرّة زاهيّة . جبال جرجراء تظهر شامخة و قد نزعت عنها حلّة الثّلوج الّتي تلبسها شهورًا من السّنة ، الشّمس تبدو و كأنّها استعارت أشعّة أخرى لتعبّر لها عن فرحها ، السّماء ازرقت حتّى كادت تصبح جسما أزرق يلمس! في لحظة تغيّر كلّ شيء من السّواد إلى النّور ، و من الكآبة على السّرور ، و من اليأس إلى الأمل "[1].

قام الكاتب بوصف الحالة الّتي آلت إليها " نعيمة " لحظة رُؤيتها للّوحة المعلّقة بباب العمارة والمكتوبة عليها " اختصاصي في أمراض النّساء "، تتحوّل فجأة حالتها النّفسيّة من التّعاسة إلى السّعادة و من الكآبة إلى السّرور و من اليأس إلى الأمل ، بدليل أنّها أحسّت بإثلاج في صدرها .

فكلّ هذه المظاهر تدلّ على تفاؤل هاته الفتاة المظلومة و المطعونة في شرفها .

و أخيرا يمكن القول أنّه رغم كلّ الضغوطات التي مرّت بها " نعيمة " في القرية الّتي تسكنها، إلاّ أنّها قضت على كلّ أفكارها التّشاؤميّة بمجرّد انتقالها إلى تيزي وزو .

فالفضاء (القرية) له كلّ الدّور بإحساس الشّخصيات بالتّشاؤم و ذلك لطُغيان الجهل و التّخلّف عند ساكنيها .

[1] عبد الحميد بن هدوقة ، بان الصبح ، ص 319 .320.

ج ــ العنف :

العنف ظاهرة سلوكيّة عدوانيّة ، تتمثّل في عمليّة اعتداءٍ لفظي أو جسدي على شخص أو أشخاص بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، بنيَّة إلحاق الأذى بالطّرف الآخر ، و للتّعبير عن حالة غضب أو عدم رضا أو انتقام .

و قد عرّف "ساندبول روكنغ" العنف بقوله :" هو الاستخدام الغير شرعي للقوة أو التّهديد باستخدامها لإلحاق الأذى و الضرر بالآخرين"[1] .

لقد ربط " ابن هدوقة" في روايته – بان الصّبح – ظاهرة العنف بالنّواحي النّفسيّة و الاجتماعيّة لدى أفراد القرية ،و من بين الأشخاص الّتي جعلها الكاتب تحسّ بهذه الظّاهرة السّلوكيّة هو "صالح" أبو " نعيمة " و الدّليل على ذلك قوله :

" العنف يعرفه صالح أبو نعيمة ، يعرفه جيدا !"

العنف كلمة لا تبقى الأشياء على حالها ،هو يعرف هذا أيضا .

العنف لا يحتاج إلى منطق و لا إلى عاطفة ، لأنّه يعرف طريقه .

العنف لا يقبل البدائل لأنّها لا تتلاءم مع طبيعته .

العنف لا يحتاج إلى الكلمات لأنه لغة واحدة .

العنف إذن هو الذي يملأ نفس صالح منذ أن سمع من زوجة أخيه تصريحها الرّهيب ، هو وحده الطّريق الواضح أمامه ... الكلمات فقدت معانيها في ذهنه ، فلم يبق للكلام معنى "[2]

فمن مظاهر العنف هو تخلّي الإنسان العنيف عن منطقه ، و لا يُبقي في نفسه عواطف،ولا يحكّم عقله ، بل بالعكس ، يصبح جدّ متهوّر و يمكن أن يصل به الحدّ إلى

---

[1] جليل وديع شكور ، العنف و الجريمة ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 1997، ص 31.

[2] عبد الحميد بن هدوقة ، بان الصبح ، ص 314.

القتل، و هذا ما اتّصف به " صالح "، فالكاتب وصف مظاهر عنف هذا الشّخص القروي إزاء ابنته و ذلك بقوله : "اخرسي أنتِ و إلّا قبضت روحك لا حقّلك الآن في الكلام !"[1].

فنفهم من هذا القول أنّ الأب لشدّة عنفه لم يترك مجالا لابنته "نعيمة" للدّفاع عن نفسها وبالأحْرَى عن شرفها الّذي طعنت فيه ، بل أمرها بالسّكوت و هدّدها بالقتل الّذي يُعَدُّ بالنّسبة إليه غَسْلٌ | للعَارِ .

و هناك قول آخر يبرز مظهرا آخر لعنف " صالح " ، و هو سجن ابنته في حجرة مهجورة فقال لها :" تبقين هنا إلى غد... وأغلق الباب و هو خارج إغلاقًا مُحكَمًا "[2].

فهذا الرّجل القروي المتخلّف والطّاغيّة عليه عادات و تقاليد القرية جعله يتصرّف مع ابنته تصرُّفًا لا أخْلاقِياً، و ذلك بحجزها في غرفة معزولة و عدم إعطائها أيّ فرصة للتكلّم ، بل صرّح لها بأنّ " لا حقّ لها في التكلُم "، بل لابدّ للرّضوخ لقرارات أبِيهَا الّذي يملِكُ مصيرَهَا بيده ، و قد أكّد ذلك الكاتب بقوله: " هذا أبوها يسير بها في الطّريق الّذي يَخْتارُه هو في كلّ لحظة تمر... أخذ بين يديه مصيرها و حياتها ، إنّهَا ابنته ، هو الّذي أعطى لها الحياة ، إذن من له الحقُّ في محاسبته؟ له أن يترع منها هذه الحياة الّتي أعطاها لها... إنّه حرٌّ في تصرّفه مادام العنف لا يقبل معايشة المنطق"[3].

فالإحباط و الغضب الشّديدان اللّذان تملّكا نفسيّة هذا الرّجل القروي ، جعلاه يفكّر في نزع الحياة من ابنته ، لأنّه في اعتقاده أنّه هو الذي أعطى لها الحياة، وهو أيضا يمكنه سلبها منها ، فيعني أنّ " نعيمة " هي أداة بلا كيان في يده يتصرّف فيها كيفما شاء.

نستنتج أنّ ظاهرة العنف في الرّواية جاءت نتيجة للحياة القرويّة ، فالجهل و الضّغط النّفسي و الإحباط و الغضب ، المتولّد من طبيعة البيئة القرويّة ، تعدّ من المنابع

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة،بان الصبح،ص 291.

[2] المصدر نفسه ، ص 316.

[3] المصدر نفسه ، ص 315.

الأوّلية و الأساسيّة لمشكلة العنف اليوميّة ، و كذلك فإنّ القيّم الثّقافيّة و المعايير الاجتماعيّة تلعب دورًا كبيرًا و مُهمًّا في تبرير العنف الحاصل في الرّيف ، إذ أنّ قيَّم الشَّرف و المكانة الاجتماعيّة تحدِّدُهَا معايير مُعيَّنَة تستخدم العنف أحيانًا كواجِب و أمر حتمي .

3 – التجليّات الاجتماعية :

أ ــ تسلّط الرّجل على المرأة :

لقد تطرّق " ابن هدوقة " في روايته " بان الصّبح " إلى مسألة شائعة لدى المجتمع الجزائري وبالخصوص في القرية.

و نلمس هذه الظّاهرة في طريقة معاملة " صالح " ــ الرّجل القروي المتمسّك بعادات وتقاليد بيئته ــ مع ابنته ، و قد أكّدت ذلك " نعيمة " و هي تتحدّث مع " دليلة " ابنة عمّها ، إذ قالت :"... أنا مع أبي لا حقّ لي إلاّ في قول نعم ، قال لي ذات يوم : أكلّمك مباشرة لأنّك يتيمة ، و لو كانت أمّك حيّة لما كلّمتك ! " [1].

فهذا القول يكشف طبيعة تفكير الرّجل القروي ، فهو لا يسمح للبنت بمناقشة و إبداء رأيها في أيّ موضوع كان، فالحقّ الوحيد الّذي منحه إيّاها هو قولها كلمة " نعم " ، فهذه الكلمة بحدّ ذاتها تبرز عدم إمكانية رفض الفتاة لأوامر الأب ، و كذلك تُبيِّن مدى تسلّط و غطرسة و عنف الرّجُل القروي ، و قد صرّح أيضًا " صالح " في يوم من الأيّام لابنته أنّه : لو كانت أمّها حيّة لما كلّمها نهائيّا ، بمعنى تكون الأمّ هي الواسطة بينهما .

فهاته المعاملة السّيئة الّتي يعامل بها ابنته ، اكتسبها من البيئة الرّيفيّة المتخلّفة الّتي ترعرع فيها، جعلته يَحْرِمُ المرأة من حقوقها ، إضافةً إلى عدم السّماح لها بالتّحدّث معه و مناقشته .

[1] عبد الحميد بن هدوقة ، بان الصبح ، ص 66.

و نجد مثال آخر يؤيّد ما قلناه ، حيث قال الكاتب عن " صالح " " فتح البـاب و أمرها (نعيمة) إشارة بالدُّخُولِ فدخلت " [1].

فهذا المقطع يعبّر فِعْلًا عَنْ الواقِع الّذي تعيشه كلّ فتاة قرويّة وجدت مكان " نعيمة "، في بيئة ريفيّة متخلّفَة ، تحكُمُها عادات و أعراف جائرة لا وجُـود لهـا في شـريعتنا الاسلاميّة ، حيث تنتهك حريّة الفتاة ، و عدم إعطائِها فرصة للدّفاع عن نفسها ، إضافة إلى معاملتها معاملة جِدُّ سيّئة ، بدليل أنّ الأب " صالح " ، لم ينطق لسانه و لا بكلمة مع ابنته ، و إنّما حبّذ التّعامل معها بالإشارات ، كما أنّها ليست ابنته من دمه.

و نجد نموذج آخر يخالف تسلّط الرّجل على ابنته أو زوجته ، ألا و هو تسلّط الأخ على أخته أي تسلّط أبو " نعيمة " على عمّتها ، و ذلك باتّخاذه قرارات العائلة لوحده ، و إعطاء الأوامر دون مشاورة الأخت ، و هذا ما وضّحه الكاتب في إحدى صـفحات روايته فقال :" قرّر البقاء صالح ... قال ذلك لعمّتها ذات ليلة : نبقى هنا بالقرية ! كلمة واحدة ! كلمة واحدة هي الّتي جعلت العائلة تبقى بالقرية ، لو قال كلمة أخرى بـدلها ينتج عنها شيء آخر ... أدركت نعيمة أنّ أهلها بقوا في القرية لأنّ أباها قال : نبقى هنا بالقرية !"[2]

فهذا القول يبرز مدى تسلّط "صالح" – الرّجل القروي – على أخته و إجبارهـا على البقاء في القرية و عدم تنقّلها للعيش بالمدينة ، فكلمة واحدة منه أجبرتها البقاء كـلّ حياتها في القرية ، أي في المكان الذي اختاره لها "صالح".

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة:بان الصبح ، ص 316.

[2] المصدر نفسه ،ص 254

الفصل الثالث

الفصـــل الثـــالث: الموازنة بين روايتي "ريح الجنـــوب و بان الصبح".

المبحث الأول: التجليات الفكرية و الأخلاقية.

1- النظرة الدونية للمرأة .

2- الامبالاة .

3- التعصب.

4- الجود و الكرم.

5- التخلف.

المبحث الثاني: التجليات النفسية.

1- النفسية المحطمة.

2- الحزن.

3- المعاناة .

4- اليأس.

5- العزلة والإنطواء.

6- الضجر.

7- الصدمة النفسية .

8- التفاؤل.

9- العنف.

المبحث الثالث: التجليات الإجتماعية.

1- الجهل.

2- تسلط الرجل على المرأة.

3- الكسل و الخمول.

4- الفقر.

5- العادات و التقاليد و المعتقدات الشعبية.

6- الثرات الشعبي.

المبحث الأول: التجليات الفكرية والأخلاقية

1- النظرة الدونية للمرأة.

هي من المواضيع التي عالجها الكاتب في روايته "ريح الجنوب" بحيث تحدث عن النظرة الدونية للمرأة بقوله: "كأن المرأة مخلوق شاذ، يجب أن يعامل معاملة الأسوياء.... والخروج عيب.... الضحك عيب... الحديث أمام الرجال عيب... التجمل عيب، عدم القيام بكرة، عدم الصلاة، عدم إتقان أعمال بدائية مترلية عيب، قيمة المرأة ليس فيما تحسن أو تعمل ألينة الناس فيها حسب ما اتفق هي ميزاتها..."[1]

معنى هذا القول أن المرأة القروية مخلوق ضعيف مهمش اجتماعيا، لا قيمة له، فلا يحق له القيام بأي تصرف أمام الرجال كالخروج، أو الضحك، أو التجمل،..الخ، لأنهم يعتبرون هذه التصرفات عيب، فنفهم أن الرجل يبقى دائما ينظر إلى المرأة بنظرة ناقصة، بالإضافة إلى ما قالته "نفيسة" أن : "الحرية الممنوحة تشبه خبز الصدقة"، فمن جراء نظرة الرجل إلى المرأة نظرة دونية فلا يمنحها الحرية المطلوبة، بل شبهتها نفيسة بخبز الصدقة.

بالإضافة إلى أن البنت " لا يمكن أن يكون لها رأي أمام والديها [2]

وذلك راجع إلى النظرة الناقصة من طرف الرجل اتجاه المرأة، فعابد ابن القاضي يرى أن المرأة مهما وصلت إلى درجة في العلم كنفيسة أو زادت خبرتها في الحياة، ستبقى مجرد امرأة ليس لها كيان في المجتمع، وهذا على حسب قول " والبنت بعد ذلك مهما كانت فهي امرأة" [3] ، أي أن المرأة هي مجرد آلة مترلية وجزء من ممتلكات الرجل.

.فابن هدوقة تحدث أيضا في روايته ريح الجنوب" عن ظاهرة غريبة ، وهي كيفية معاملة المرأة واحتقارها، بحيث أن سكان القرية يرون أن المرأة

"... مضرب المثال الساخرة القاسية التي تجعل منها مخلوقا حقيرا يوصف بالجبن والغدر والخيانة، فالرجل إذا تحدث عن زوجته لرجل آخر قال :" زوجتي حاشاك" ،وإذا غضب فشتم من أغضبه قائلا : يا وجه المرأة أو "آخذك كالمرأة" ... أو إذا مازح شخصا

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص36.

[2] المصدر نفسه، ص90.

[3] المصدر نفسه ،ص91.

آخر أوصاه ضاربا له المثل الشائع : اضرب امرأتك فات لم تكن أنت تعرف لماذا فهي تعرف... [1]

ويبدي أن النظرة الدونية للمرأة من قبل الرجل القروي ما هي إلا دليل على تخلفه، لأنه يتمسك بعادات وتقاليد جائرة لا يقبلها لا العقل ولا الشرع. وفي الأخير نستخلص أن في رواية "ريح الجنوب" ذكر الكثير من الأقوال والمقاطع الواقعية الدالة على انتشار هذه الظاهرة، أما في رواية "بان الصبح" فلم يتحدث الكاتب عن دونية المرأة لن جل الأحداث وقعت في المدينة، أما الأحداث المتبقية فقد وقعت في القرية وسلط الضوء على تجليات أخرى.

اللامبالاة:

عن إجراء الموازنة بين الروايتين "ريح الجنوب" "بان الصبح" يجعلنا تتبين أن ابن هدوقة وظف هذا التصرف الحيادي لكلتا الروايتين.

في رواية "ريح الجنوب" عبرت الأم خيرة عن لامبالاة ابنتها، حيث قالت العجوز رحمة: "... هاهي ذي ابنتي إلى جانب لا تحرك ساكنا ، ولا تأبه لدموعي أو أحزاني" [2]

فمعنا هذا الكلام أن نفيسة لا تبدي أي اهتمام لأمها، حتى وهي تبكي لم تشاركها أحزانها، وهذا ما جعل الم تتضايق من تصرفات ابنتها الذي يعبر عن عدم لامبالاة البنت لأحوال ومشاعر أمها.

فقد تحدث الكاتب أيضا عن شخصية رابح المبالية لشؤون الحياة أو القرية إذ قال "... رابح لا يهمه ما يجري في القرية" [3]

و لم يفوت ابن هدوقة فرصة التحدث عن لامبالاة مسئولي البلدية لشؤون القرية، بدليل ما ورد على لسان المعلم "الطاهر"، إذ قال " ...والبلدية لم تعمل شيئا لا ضد هذا ولا ضد ذاك... الذباب لم يخلق في السماء وإنما في الأرض، في أرض القرية، فيما يملؤها في قاذورات، والبلدية هي المسئولة عن النظافة" [4]

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص203.

[2] المصدر نفسه ،ص24.

[3] المصدر نفسه ، ص43 .

[4] المصدر نفسه، ص 62.

إن تهاون مسئولي البلدية، وعدم اهتمامهم بشؤون القرية، تراكمت النفايات المسببة لانتشار حشرات ضارة، وهاته الخيرة ولدت أمراض وأوبئة خطيرة جعلت حياة السكان في خطر.

فكل هذه الأقوال تندرج ضمن لامبالاة بعض شخصيات رواية "ريح الجنوب".

أما في رواية "بان الصبح" فسجلنا إلا موقفا واحدا يبرز لامبالاة صالح ـــ الرجل القروي ـــ إذ قال لها " ... احرصي أنت وإلا قبضت روحك، لاحق لك الآن في الكلام"[1]

فهذا القول يبرز أن الأب يتعامل مع ابنته معاملة عنيفة فلم يسمح لها حتى بالكلام، فهذا لدليل على عدم مبالاته بابنته المظلومة

وفي الأخير نستنتج أن البيئة القروية تولد مثل هذه التصرفات في نفوس ساكنيها، مما يشيع فيها المعانات واليأس...

3- التعصب:

نلمس هذا الاتجاه النفسي – التعصب- في رواية "ريح الجنوب" وذلك من خلال طريقة تفكير معلم القرية "الطاهر"، والذي يحكم على اللغة العربية بأنها: "... أغنى اللغات وأن العربي هو أشجع البشر وأكرمهم وأذكاهم وأطهرهم وأشرفهم... [2]

فالدافع الذي جعله يعتبر اللغة العربية أغنى اللغات وأكرمها، وأذكاها، وأطهرها... ،لأنه ليتقنها إلا هي، فلو أتقن لغة أخرى فربما غير رأيه.أما في رواية بان الصبح، فلم يورد الكاتب أي مقطع في هذا الصدد –التعصب-

وفي الأخير نستنتج ان المؤلف أظهر هذه الظاهرة في رواية "ريح الجنوب" ولم يظهرها في رواية "بان الصبح".

4- الجود والكرم:

يعد الجود والكرم من الفضائل الأخلاقية الكبرى التي تسموا بالإنسان إلى المنزلة الرفيعة ويجعل الكاتب يجنح إلى تجسيدها في أعماله،التي وردت في الروايتين "ريح الجنوب"

---

[1] المصدر نفسه ،ص62

[2] عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، ص29.

"بان الصبح"، إذ أن من طبيعة السكان القرويين الاتصاف بصفة الكرم والاحتفاء بالضيف.

فنجد في رواية طريح الجنوب" ، أن العجوز "رحمة" رغم فقرها، إلا أنها تتصف بالجود والكرم بدليل انه عندما أتت لزيارة منزل ابن القاضي أحضرت معها بعض الهدايا الرمزية وتكمن في : "... ثلاث أكواب جديدة ، ومثرد من فخار، وقالت: هذا الكوب لك يا نفيسة، وهذا الصغير لعبد القادر، أما هذا الذي رسمت فيه عرجونا لسي عابد... وهذا ألمترد لخيرة" [1]

فقد قدمت العجوز رحمة ثلاثة أكواب لكل من نفيسة وعبد القادر وعابد ومترد لخيرة.

لقد أضاف الكاتب أن العجوز رحمة أحسنت ضيافة رابح الذي أنقد حياته وأوصلها إلى منزلها بمجرد جلوسه :" ...أدرك أنها تريد إعداد طعام له ، فرجاها بإلحاح ألا تفعل ، ولكنها أكدت مصممة أن لا بد من ذلك..." [2]

فرغم فقر ومرض العجوز إلا أنها لم تتهاون في إكرام ضيفها رابح الذي طهت له الزميتة.

وخيرة لم تكن تختلف عن نساء القرويات إذ أنها بمجرد سماعها بمرض العجوز: "... قامت تعد ما حضر من دقيق وسمن وفلفل وقد لتأخذها معها للمريضة" [3]

فحتى ابن القاضي تكرم لإحضار كل ما يلزم في فدية المرحومة "رحمة" حيث قال: "... أنا سآتي بالأواني والفراش وكل ما يحتاج إليه، ونقيم الفدوة هنا ... أنا اختار كبش أو اثنين إذا لزم" [4]

فمن كرم ابن القاضي أحضر كل ما يلزم من أواني وفراش من بيته واختار كبشين من غنمه لذبحها في يوم فدوة العجوز رحمة.

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص72.

[2] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص17.

[3] المصدر نفسه، ص124.

[4] المصدر نفسه، ص138.

فالكاتب وصف جود وكرم أهل القرية، فهذه المبادرة أدهشت مالك وهو : "...يرى من جموع القادمين نحو بيت العجوز وما يحملون معه..." [1]

وتحدث أيضا عن جود وكرم الحطابين الذين لم يجدوا ما يتصدقون به إلا حطبهم ففي ذلك اليوم : "... لم يحتطبوا للبيع كعادتهم، ولكن بالمشاركة في إقامة حفلات الدفن" [2]

ونستنتج أن البيئة القروية لرواية "ريح الجنوب" هي العنصر الفعال، إذ إن ساكنيها يبقوا دائما متصفين بصفة الجود والكرم وذلك لأنهم أناس مضيافون، أيضا راجع لبساطة تفكيرهم وعيشهم. أما في رواية "بان الصبح" فتجلت ظاهرة الجود والكرم عند صالح وذلك بما صرح به لابنته نعيمة، إذ قال: " عندما نرجع غلا الدار نذبح كبش وندعو جيراننا وأحبابنا بالقرية، رجوعك إلى الدار لن يكون عاديا" [3]

فإقامة الأب حفلة كبيرة لابنته وذلك بذبح كبش ودعوة كل الجيران ما هي إلا صورة من صور الجود والكرم الذي يتصف به أهل القرية

وفي الأخير نستنتج أن الكاتب ركز على هذه الصفة النبيلة في كلتا الروايتين، لأن كل السكان القرويين رغم سلبياتهم ، إلا أنهم جد كرماء، فالبيئة القروية أكثر من بيئة أخرى تتصف بصفة الجود والكرم.

5- التخلف:

وظف الكاتب في الروايتين طاهرة التخلف، في رواية" ريح الجنوب" أطال الحديث عن تخلف ساكني القرية، بدليل ما ذكره على لسان مالك فقال: " إن الثورة المسلحة حررتنا من الاستعمار، ولم تحررنا من الأوهام، يجب القيام بثورة أخرى، لكن من يقوم بها؟ إن المدرسة وحدها لا تكفي" [4]

بمعنى أن ساكني القرية لا يزالون يتخبطون في تخلفهم، الذي تولد من عادات ومعتقدات بدائية، فمثلا عندما مرضت نفيسة : "أول ما بادر إلى ذهن والديها هو جلب

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، 170

[2] المصدر نفسه ، ص171.

[3] المصدر نفسه، ص171.

[4] عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، ص321.

الطالب لمعالجتها لأنهم في اعتقادهم أصابها صرع، ويتضح ذلك بتصريح الأم خيرة : "... أصابها صرع؟ فالحالة التي كانت عليها تدل على ذلك... " [1] فهذه الفكرة التي بادرت إليها الأم ما هي إلا دليل قاطع على تخلفها ، فلم تفكر بطريقة أخرى؟ ، أما عابد ابن القاضي فقد كانت له نفس طريقة تفكير زوجته، إذ قال : " سأعود إلى القرية لأستقدم الطالب..." [2]

فبدل أن يلجآ إلى الطبيب لمعالجة الفتاة اتجها مباشرة إلى الطالب الذي يعد أكبر رمز للتخلف والجهل.

أما في رواية "بان الصبح" فقد تجلت ظاهرت التخلف في شخصية صالح – المقيد بأعراف وتقاليد بدائية – حيث أنه لم يترك الفرصة لابنته للدفاع عن نفسها بل حجزها في غرفة مهجورة، وأول ما فكر فيه هو قتل ابنته بدليل أنه : "... أخذ معولا ومسحاة ... حفر قبر" [3]

فقتل النفس بالنسبة إليه هو من تشريعات الأعراف خاصة إذ ما تعلق الأمر بالشرف

نستخلص أن القرية التي تحدث عنها" ابن هدوقة" في روايتي "ريح الجنوب " و "بان الصبح" تتحكم فيها العادات والتقاليد والخرافات كتطهير الشرف بالقتل ما هي إلا مظهر من مظاهر التخلف

المبحث الثاني: التجليات النفسية.

1- النفسية المحطمة: لقد أشار الكاتب في روايتيه المذكورتين آنفا إلى الضغوطات النفسية التي يعيش فيها سكان الريف من جراء البيئة القروية التي يقطنون بها ، ومن نتائج هذه الضغوطات شعور ساكنيها بالنفس المحطمة

ففي رواية ريح الجنوب عدة أقوال توحي بتحطم شخصيات الرواية، ومن بينها نفيسة التي تعبر عن نفسيتها المحطمة بقولها :"... أكاد أختنق من هذا السكون وهذا الصمت ؟ أمي فرحت برجوعي ... مسكينة أمي ، لو عرفت الجزائر لبكت لرجوعي"[4]

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص178.

[2] المصدر نفسه، ص209.

[3] المصدر نفسه، ص210.

[4] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص8

و السبب في توليد هذا الإحساس في نفسية البطلة هو السكون والصمت الموجودان بالقرية ،إضافة إلى طغيان العادات والتقاليد الجائرة على عكس المدينة التي تدرس فيها فلا تحس هناك لا بالضجر ولا الاكتئاب ، نظرا لحيوية ونشاط سكانها ، زد على ذلك أن بيئة المدينة لن تفرض على المرأة المكوث في البيت، ولا تمنعها من الخروج كما هو الحال في القرية.

ونجد وقول آخر يوضح مدى استياء نفيسة وإحساسها بإحباط شديد من البيئة القروية فصرحت بقولها: "أكاد أتفجر من هذه الصحراء، وفاضت عيناها بالدموع وأردفت قائلة: كل الطلبة يفرحون بعطلهم أما أنا فعطلتي في منفى..." [1]

فالسبب الرئيس الذي جعل نفيسة تذكر هذا الكلام هو تخلف سكان القرية وتشبثهم بعادات وتقاليد بدائية ، والتي تمنع المرأة من الخروج من المترل، لهذا جعله تشبه القرية بالمنفى، وهذا دليل على تحطم نفسية نفيسة من جراء المحيط الذي تعيش فيه

والطاهر معلم القرية هو أيضا عبر عن تحطم نفسيته، لأنه جعل نفسه ضمن "شريحة المعذبون في الأرض"، ذلك من خلال قراءته لعنوان كتاب المعذبون في الأرض لطه حسين إذ أنه يقول : "المعذبون في الأرض أنا واحد منهم" [2]

أما بالنسبة لرواية "بان الصبح" فقد صور الكاتب معاناة نعيمة مما جعلها تحس بالاكتئاب واليأس والحزن في آن واحد نتيجة تحطم نفسيتها أثناء إساءة عمها وزوجته لها، وطعنها في شرفها افتراءا من دون أي سبب وقد وصف الكاتب حالتها بقوله : " كادت الليلة لا تنقضي على نعيمة، إنها أحست أن عمرها كله لم يكن أطول من هذه الليلة"[3]

فهذا القول يبرز مدى تحطم نفسية نعيمة إذ أنها لم تنم الليل كله، وأحست أن تلك الليلة كانت أطول من الحياة التي عاشتها. فهته النقاط تشابه أما الاختلاف فتكمن في سبب إحساس الشخصيات بالنفسية المحطمة، فنفيسة عاشت هذا الإحساس من جراء ضغوطات القرية لأنها كانت بحرية تامة بالمدينة، فعند رجوعها للريف قيدت وأحست بأنها في منفى، أما نعيمة فبمجرد انتقالها للمدينة أحست بالمعانات في مترل عمها، واتهمت

---

[1] المصدر نفسه، ص10

[2] المصدر نفسه ، ص75.

[3] عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، ص318.

في الباطل، واستدعي أبوها إلى المدينة ليأخذها إلى القرية ليطبق عليها أحكام الأعراف، فكل هذه الأحداث حطمت نفسية نعيمة. فلو لم تكن طريقة تفكير صالح متخلفة ومتمسكة بعادات وتقاليد وأعراف مذمومة لما تحطمت نفسية ابنته .

وفي الأخير يمكننا القول أن البيئة القروية لكلتا الروايتين كانت السبب الرئيس في إثارة بعض الجوانب النفسية كالنفسية المحطمة في ساكنيها، وذلك من جراء المعانات والضجر والحزن الشديد...

2- الحزن: هو أيضا من الجوانب النفسية التي أوردها الكاتب في روايتيه، فنذكر في البداية بعض المقاطع التي تبرز حزن بعض الشخصيات المتواجدة في قرية ريح الجنوب.

لقد صور الكاتب مدى حزن مالك شيخ البادية على فراق خطيبته زليخة والتي كانت ضحية من ضحايا الاستعمار حيث قال :" لم أره ضاحكا منذ أن قتلت زليخة ، إن حزنه ما زال لحد الآن يملأ نفسه وحياته [1] فهذا القول لدليل على شدة حزن "مالك" على رفيقة دربه "زليخة" التي استشهدت أثناء الثورة، فمنذ ذلك الحين لم ترتسم البسمة على وجهه، وسيطر اليأس على حياته.

إذن البيئة القروية هي التي بعثت الحزن في كيان "مالك" ونجد أيضا حزن "رابح" بسبب الحادثة التي وقعت له مع "نفيسة" ونعتته بأسوأ النعوت لحقوقها :"الراعي القذر"، ولهذا ترك مهنة رعي الغنم، فقد :"سقر وهو طالع العقبة أن حياته ثقيلة خانقة جافة كالشاة المتينة، أو كهذه الحرارة التي يحسها تنفذ من أعمال نفسه على داخل عظامه" [2]- فالإهانة التي تلقاها من طرف نفيسة، قلبت حياته رأس على عقب، فقد أحس أن حياته ثقيلة وخانقة، وشبه نفسه بالشاة الميتة، فكل هذه الصفات التي شبهها بنفسه نتيجة الحزن المسيطر عليه، وكذلك بسبب المعيشة المتردية التي يحياها في القرية، والتي أدت إلى ظهور الطبقية، وبالتالي النظر إلى الفقراء نظرة دونية

-أما في رواية "بان الصبح" فتجلى الحزن في شخصية "نعيمة" وهي في سن التاسعة من العمر، حيث توفيت عمتها المقربة إليها، وهي بمثابة الأم لأنها كانت تعتني بها بعدما توفيت أمها. والدليل على ذلك قول "ابن هدوقة" :"إنه يوم مظلم حقا في حياة نعيمة،

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص29

[2] المصدر نفسه، ص18.

لأن عمتها شيء آخر، كانت بالنسبة إليها هي كل شيء ثم ماتت بسرعة" [1] فشدة حزن الفتاة أحست بذلك اليوم أنه ظلام في حياتها.

وفي الأخير تستنتج أن البيئة القروية في الروايتين هي التي ولدت هذه الظاهرة السلبية –الحزن – بين أفرادها فلو وجدت الحرية في قرية "ريح الجنوب" لما أحست "نفيسة" بالحزن، ولو لم يوجد الطبقية لما أحست "رابح" بالحزن، وأيضا لولا الظروف المعيشية المتردية التي تعيشها "نعيمة" لما أحست بهذا المقدار من الحزن من أجل عمتها.

3 – المعاناة

لقد صورت هذه الحالة الشعورية في رواية "ريح الجنوب" ن وذلك من خلال ما تحدث عنه "ابن هدوقة" عن العجوز رحمة، إذ قال : "كانت العجوز رحمة تمشي ألهوين في كلل بني، رجلاها تتحركان في بطئ وتعثر كأنهما تتنقلان فوق الشوك"([2])

-وقد ذكر قولا آخر على لسان العجوز رحمة وهي تحكي لزوجها الميت مقدار معاناتها :"... حتى جسمي وهي وصرت لا أحمل قفة التراب من المحفر إلى البيت إلا بعناء ومشقة، يوم الاثنين سقطت والقفة على ظهري مشدودة، صارت أقل حركة مختلة تهوي بي إلى الأرض..." [3]. فهذه إلا عينة من الأقوال التي تتحدث عن معاناة العجوز رحمة من جراء عملها التقليدي والذي يفرض عليها جمع التراب وحمله على ظهرها، فمن كثرة هذا العمل المتعب ضعف جسمها، و لم تعد قادرة على حمل قفة التراب.

فهذه المعاناة التي تعيشها العجوز رحمة هي ناتجة عن الواقع المعاش والأوضاع المتردية في القرية، جعلتها تبحث عن قوتها بعرق جبينها، وذلك بامتهانها بأصعب المهن.

-أما "نفيسة" فمعاناتها من نوع آخر وتكمن في عدم تأقلمها مع الحياة المفروضة عليها في القرية التي رجعت غليها على قضاء عطلتها الصيفية، بدليل قولها :"لم أدر أبدا أن لي ماضيا طويلا بهذا القدر، كأن يجب أن أحيا هذه الحياة البائسة التافهة لكي أدرك أن سن الثامنة عشرة سنة لا تخلوا حياة صاحبتها من الذكريات مهما كانت صغيرة وقصيرة

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، ص15

[2] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص22.

[3] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص22.

..." [1] ،فنفيسة أحست أن حياتها بائسة تافهة، حتى وهي في سن الثامنة عشرة سنة، تحرم من التعبير عن رأيها، وحريتها في اتخاذ قراراتها بنفسها، ولهذا قررت الفرار من القرية إلى المدينة، ولكن معاناتها لم تقل بل العكس، بدليل أن ثعبان لدغها في الغابة، وهي في حالة فرار :"...فأحست بالألم يصعد مع جسمها في عنف عنيف، كأنه قطع من الزجاج أو إبر، شق شرايينها وعروقها شقا أليما وأخذ الإغماء يطوف بخلايا رأسها، والغثيان يعصر قلبها عصرا" [2]

فهذه معاناة بعض الشخصيات الموجودة في رواية "ريح الجنوب" أم في "رواية "بان الصبح"،فلم يتطرق الكاتب على هذه الظاهرة، إلا من خلال تصويره لحالة "نعيمة" عند اهامها في شرفها والمعاملة القاسية التي تلقتها من طرف والدها القروي العنيف.

وفي الأخير نلاحظ أن رواية "ريح الجنوب" تجلت فيها ظاهرة المعاناة لكثرة، أما في رواية "بان الصبح" فلم يصور أي معاناة لسكان القرية باستثناء معاناة "نعيمة".

4-اليأس:يعد اليأس من الظواهر الهامة التي تناولها الكاتب في روايتين "ريح الجنوب وبان الصبح"

هي من ضمن المواضيع التي عالجها الكتب في رواية "ريح الجنوب" فابن هدوقة صور هذه الظاهرة من خلال العجوز رحمة، فمن كثرة يأس هذه الأخيرة فقدت طعم الحياة و لم يعد لها فرق بين حياتها وموتها بدليل قولها:"ما الفرق بين حياتي وموتي" [3]

أما "نفيسة" فمن شدة يأسها أصبحت تشعر:"أنها داخل دهليز أسود..." [4]، ولقد عبرت عن يأسها بطريقة مخالفة، بدليل ما تكلم به الكاتب في روايته :"ليس الشرور وحده الذي يضحك، فاليأس أيضا يضحك..."[5] ومعنى هذا القول أن اليأس أيضا يدفع صاحبه بالضحك، ومن الأمثال المتداولة لدينا :"أن شر البلية ما يضحك".

فهذا نموذج عن بعض الشخصيات التي أحست باليأس في قرية "ريح الجنوب"

---

[1] المصدر نفسه ، ص216.

[2] المصدر نفسه، ص242.

[3] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص25.

[4] المصدر نفسه، ص86

[5] المصدر نفسه، ص175.

-أما في قرية "بان الصبح" فلم يذكر "ابن هدوقة" أي نموذج خاص باليأس شخصيات الرواية.

وفي الأخير نستنتج أن اليأس نابع من المحيط القروي المتخلف.

5-العزلة والانطواء: "تميز العزلة ويطبع الانطواء البيئة القروية بطوابع خاصة مما أدى بالكاتب إلى تناول الظاهرة بدليل ما ذكرته نفيسة إذ قالت :"... حتى الطبيب لا وجود له في هذه القرية الخالية" [1] وذلك راجع لعزلة القرية عن باقي المناطق الأخرى وفقدانها لمتطلبات الحياة كالماء والعمل وخاصة الطبيب الذي يعد الأمر الأساس لمعالجة المرضى.

أما من بين الشخصيات التي تحدث عنها الروائي والتي هي في عزلة تامة عن القرية هو "رابح" راعي الغنم، إذ قال عنه:"هو الشخص الوحيد الذي لا يهمه كثيرا ما يجري في القرية" [2] وذلك راجع لطبيعة عمله بحيث يقضي جل وقته في الغابة يرعى الغنم، وقد أكد عن عزلته "رابح" بتصريحه: "أنا مغلق لا أعرف شيئا ،أجهل حياتين وحياة الناس، عشت مع الغنم فصرت واحدا منها..."[3] نظرا لعزلته أصبح لا يعلم بما يجري حوله، لأن كل وقته يقضيه مع الغنم، وللإست يائه من هذا الأمر شبه نفسه بالغنم.

ونجد أيضا "خيرة" زوجة القاضي تتصف بصفة الانطواء، وذلك راجع لعادات وتقاليد القرية القرية البدائية وحيث تمنع المرأة من التكلم، مما ولد في نفسيتها نوع من الاكتئاب الذي أدى بها إلى الانطواء بدليل قول الكاتب :"... لم تشارك في الحديث لا لعدم الاكتراث. ولكن طبعها ذلك" [4]، فالمشاكل والضغوطات النفسية المنتشرة في المحيط الذي تعيش فيه خيرة، ولد فيها ظاهرة الانطواء.

-فهذه إلا الأمثلة قليلة مما وردت في رواية "ريح الجنوب"، أما في رواية "بان الصبح"، فلم يتحدث فيها الكاتب عن العزلة والانطواء.

---

[1] المصدر نفسه، ص143

[2] . 43

[3] المصدر نفسه

[4] المصدر نفسه، ص19

6-الضجر:

هو من بين الصفات التي وظفها الكاتب بين شخصيات رواية "ريح الجنـــوب"، إذ صور ضجر الم خيرة من ابنتها الكسولة، والتي لا تساعدها في أعمال المترل، بدليل قولهـــا :"... ما فائدة قراءتها ـــ نفيسة ـــ بالنسبة لزواجها إذ لم تكن تحسن كل ما يتعلق بالمترل "[1]، فبسبب ضجر الأم "خيرة" هو عدم اتصاف ابنتها بصفات المرأة القروية، لأنها تستيقظ في وقت متأخر، ولا تتقن الأعمال المترلية.

وبالمقابل صور ابن هدوقة ضجر نفيسة من مكوثها بتلك القرية المتخلفة، والتي تمنع المرأة من الخروج، إذ عبرت عن ضجرها بقولها:"...إنني اختنقت من هذا الـــسجن" [2] ن فمكوثها بالبيت جعلها تحس كأنها مسجونة، بالإضافة إلى ما صوره الكاتب من ضـــجر الطاهر من أهل القرية، ومن تجمعاتهم المذمومة المتسمة بالضجر والفوضى، هذا فيما يخص رواية "ريح الجنوب"، أما رواية "بان الصبح" فلم يوظف صفة الضجر في عمله.

ومن هذا نستنتج أن أوجه الاختلاف بين الروايتين تكمـــن في أن الروايـــة الأولى اتسمت عدة شخصياتها بالضجر الناتج عن البيئة الريفية المتخلفة والمتعصبة لعادات وتقاليد تسلب حرية المرأة، وكذلك تغرس فيهم انطباعات غير محبوبة، أما في الروايـــة الثانيـــة لم تحس شخصياتها بالضجر، والكاتب يرجع السبب لطبيعة الروايتين، وموضوعهما.

7-الصدمة النفسية: تجلت في كل من الروايتين، أن الكاتب أطال الحديث عـــن هذه الحالة ريح الجنوب" ونذكر من نماذجها ، نجد الم "خيرة" التي تلقت الصدمة النفسية من جراء تصرفات ابنتها وهي موجودة في المقبرة، فنفيسة لم تكترث لأمها وهي تبكـــي، والدليل على ذلك ما قالته خيرة "لرحمة" :"لم تحزنني زيارة المقبرة ، إن الذي يحزن الأحياء هم الأحياء يا خالة، أرأيت نفيسة أمام قبر جدها؟ لقد كادت تنكر علي أن أبكي علـــى أمي ![3] -فهذه التصرف الذي نذر من نفيسة جعل الأم تحس بالألم والحزن الذي كـــان نتيجة الصدمة النفسية.

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة ،ريح الجنوب، ص12

[2] المصدر نفسه، ص20

[3] عبد الحميد بن هدوقةن ريح الجنوب ص27.

-وقد وصف الكاتب موقف آخر حمل بين الأم والبنت مما جعلها تحس بالصدمة النفسية للمرة الثانية، وذلك من خل صراخ "نفيسة" في وجه خيرة، إذ قال الكاتب:" ماذا عسى الكلمات التي تعبر عن مشاعر الأم في مثل هذا الموقف؟ حتى قواها الجسمية خانتها، أحست كأن الأرض تحت قدميها صارت دوامة تدور دورانا مجنونا وتهبط، تهبط أبدا... ووقعت على الأرض لم تستطع التنفس ولا الكلام" [1] فالأم انصدمت لرؤية ابنتها في تلك الحالة العصبية، وتقدم هذه الأخيرة بدفعها لمنح الاقتران منها.

أما "مالك" فهذا أيضا أحس بالصدمة النفسية في اللحظة التي تفجر فيها القطار وأصبح البشر والحديد يتطاير، وذلك أثناء الثورة، أما بعد الاستقلال فقد أحس أيضا بصدمة "نفيسة" عندما وقع نظره على "نفيسة" لأنها تشبه أختها "زليخة" التي كانت خطيبته، والبطلة أيضا حصلت لها صدمة نفسية غلى درجة أنها فقدت كل السيطرة على أعصابها و لم تقدر على تركيز فكرها" [2] فكل ما حصل لها سبب القرار المتغطرس المتخذ من طرف والدها عوضا عنها، والذي يتمثل في تزويجها من شيخ البلدية ومنعها من مواصلة دراستها بالجزائر.

وأيضا رابح أحس بصدمة نفيسة لم يكن يتوقعها، وذلك حين شتمته نفيسة:"...أيها الراعي القذر" [3]

أما بالنسبة لرواية "بان الصبح" فقد جعل الكاتب شخصية "صالح" تصدم نفسيا من خلال ما أخبره به أخاه وزوجته شأن نعيمة، بدليل أن :"... الكلمات فقدت معانيها في ذهنه، فلم يبق للكلام معنى" [4]. فالسبب الذي آل به لهذه الحالة هو عندما سمع أن ابنته حامل، فلم يستطع أن يتحدث بل بقي مذهولا مما سمع.

ويمكن أن نخرج بحصيلة هؤلاء أن الكاتب أدرج هذه الحالة في كل من رواية ريح الجنوب وذلك من خلال شخصية "خيرة" و"مالك" و"نفيسة" وكذلك "رابح".

أما في رواية بان الصبح فقد أحس بالصدمة النفسية إلا "صالح".

---

[1] المصدر نفسه، ص89.

[2] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص86.

[3] المصدر نفسه، ص108

[4] عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، ص314

التفاؤل:

يعد التفاؤل من التجليات الإيجابية والتي وردت في روايتي "ريح الجنوب" و"بان الصبح".

ولقد أحست به نفيسة بدليل ما ذكره المؤلف إذ قال :"...أحست بنشوة من الشرور تغمرها، إذ يد اليأس التي كانت تخنق روحها بعنف، منذ حين

أخذت أصابعها تنفرج وتلين، حتى الأفق أخذ يتسع أمامها وبدأت تقود على زرقته" [1] فالسبب الذي جعل نفيسة تحس بالشرور وتتفاءل للحياة مرة أخرى، هو إيجادها لحل ويتمثل في هروبها من القرية إلى المدينة، بدليل ما ورد في الرواية:" ...الفرار هو الفكرة التي انتهت إليها نفيسة، وهو الحل الذي وقع عليه اختيارها، وهو الذي أنساها بالتالي مرضها وحزنها وأعاد إليها الأمل العريض..."[2]

وكذلك "رابح" فهو من الشخصيات التفاؤلية في القرية، إذ قال الكاتب في هذا الصدد :"... كان –رابح- مسرورا دائمان وسروره تعبر عنه باستمرار ملامحه ونظراته، وتعبر عنه الأنغام القروية التي يعزفها على نايه" [3] فهذه الصفات التي يتصف بها "رابح" لدليل على أنه إنسان متفائل في حياته، رغم المعاناة التي تمر عليه في القرية التي يسكنها.

فالتفاؤل اتصف به كل من "نفيسة و رابح" ويعدان من شخصية ريح الجنوب ، أما في رواية "بان الصبح" فقد أحست بالتفاؤل نعيمة وذلك بمجرد مغادرتها القرية واتجاهها "تيزي وزو" فقد تحركت حياتها من الكآبة والحزن واليأس إلى تفاؤل، وذلك بمجرد رؤيتها للوحة المعلقة بباب العمارة والمكتوب عليها "اختصاصي في أمراض النساء" ،وقد وصف ابن هدوقة سعادة نعيمة غذ قال:" ...تنظر نعيمة غلى باب العمارة وتتلاقى عيناها بلوحة الطبيب سرورا لها، تبدوا الجبال المحيطة بها مخضرة زاهية ... في لحظة تغير كل شيء من السواد غلى النور، ومن الكآبة إلى السرور، ومن اليأس إلى الأمل"[4]

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة ،ريح الجنوب، ص

[2] المصدر نفسه، ص218

[3] المصدر نفسه، ص102.

[4] عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، ص ص 319 . 320

-نستخلص أن كلتا الشخصيتين الموجودتين في الروايتين أحست بالتفاؤل بعدما يئستا من حياة القرية التي تؤثر في ساكنيها، وولدت فيهم صفة التخلف الناتج عن تمسكهم بالعادات والتقاليد الشرعية.

العنف:

لقد تحدث الكاتب عن هذه الظاهرة في كلتا الروايتين، ففي رواية ريح الجنوب اتسم عابد ابن القاضي أبو نفيسة بالعنف في معاملته مع زوجته التي انتهك حريتها وشخصيتها وجعلها مجرد آلة مترلي، وذلك من خلال معاناتها وضربها ضربا مبرحا، وحتى أبناؤه يعاملهم معاملة قاسية، كنفيسة التي أرغمها على الزواج من شيخ القرية "مالك" وقبلها أختها زليخة التي توفيت، فحتى فقراء القرية يعاملهم معاملة سوء واحتقار، هذا فيما ورد في الرواية الأولى ن أما في الرواية "بان الصبح" فقد تجلى هذا السلوك السلبي في "صالح" أبو نعيمة، وهو أيضا يشبه تماما "عابد بن القاضي" الموجود في "ريح الجنوب" فقد كان يعامل أخته وزوجته بعنف، وحتى ابنته فلذة كبده فلم تسلم من عنف والدها وذلك أثناء التهمة التي وجهت لنعيمة، فقد صدق تلك الأكذوبة وتحول إلى أب جلاد بدليل أنه :" ذهب إلى المكان الذي يصنع فيه آلات الحفر فأخذ معه مسحاة، واتجه على مكان بنيت به حجرة لكنها مازالت في طورها الأول لا باب، لا جص وبدأ يحفر سمعت زوجته وقع المعول فأقبلت عليه تستطلع الأمر، فوجدته بصدد حفر قبر"[1]

ويظهر أن الكاتب جعل هذه الظاهرة إلا في الآباء المتمسكين بعادات وتقاليد حددتها بيئة قروية متخلفة ومن بينها إرغام الفتاة على الزواج في سن مبكرة وهذا ما فعله ابن القاضي من أجل تطبيق تقاليد القرية، وكذلك تطهير الشرف بقتل الفتاة وهذا ما أراد فعله "صالح" من أجل الحفاظ على الأعراف، فحقا هذا وجه من وجوه تخلف سكان قرية ابن هدوقة

[1] عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، ص317

المبحث الثالث: تجليات الجانب الاجتماعي:

1- الجهل: لقد طغت هذه الظاهرة في كل من قرية ريح الجنوب و بان الصبح، إلا أن الكاتب غلب ظاهرة الجهل في الرواية الأولى وأطال في الحديث عنها وذلك راجع لطبيعة الرواية التي قامت بتصوير الواقع الريفي المعاش في إحدى القرى الجزائرية.

-في قرية ريح الجنوب صور الكاتب الطريقة المتخلفة التي يفكر القرويين، ومن بينها اختيارهم لموقع استراتيجي موجود بتلك البيئة وشيدوا فيها مقبرة بدل بناء مدرسة وهذا على حسب قول الكاتب، "... وهي القرية قطعة من الأرض لبناء مدرسة ذات موقع ممتاز نظرا لقربها من الماء ومن الطريق ومن الدشرة، لكن حياة سكان القرية وظروف معاشهم... حالت بينهم وبين الاتفاق على بناء المدرسة... وقرروا في النهاية أن يجعلوا من المكان الموهوب مثوى أخيرا لرفاق شهداء القرية" [1] وقد أضافت الكاتب قول آخر يبين طغيان هذه الظاهرة، إذ قال: "...أما مثقفوها فيكادون يعدون أقل من أصابع اليد "[2] بمعنى أن البيئة القروية ينتشر فيها الجهل ولا نجد فيها إلا فئة قليلة من المثقفين.

-وهناك عدة أقوال أخرى تؤيد ما قلناه وتؤكد على انتشار الجهل بين سكان قرية ريح الجنوب وقد تطرقت إليهم في الفصل السابق أما بالنسبة لرواية بان الصبح فهي أيضا تضم سكان يتصفون بالجهل، ولهذا جعل ابن هدوقة "صالح" أبو نعيمة نموذجا لهم – لساكني القرية – ويتضح ذلك من خلال وصفه في طريقة تعامله مع أخته – قبل وفاتها – وكذلك مع ابنته "نعيمة" التي عانت الكثير من تصرفات والدها الجاهلة وحتى زوجته لم تسلم من هذه المعاملة السيئة،ومعنى هذا أن جهل الرجل القروي جعله يعامل المرأة معاملة سيئة ولا أخلاقية وكذا عدم إعطائها حقوقها.

وفي الأخير نستنتج أن الكاتب صور في ريح الجنوب جهل معظم سكان القرية ومنهم عابد بن القاضي الذي يجهل كيفية معاملة المرأة،وكذا جهل خيرة لقيمة العلم ومدى أهميته في حياة الفرد والجماعة، وقد صور أيضا جهل رابح راعي الغنم كل ما يدور حوله حتى بعض المصطلحات البسيطة لا يفهمها (كالدينار والفرنك والدول والقوانين) بل هي في نظره مسائل معقدة.

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ص41

[2] المصدر نفسه ص42

فحتى شيوخ القرية لم يسلموا من هذه الظاهرة ومن بينهم الشيخ "صادق" بدليل أنه عندما سئل عن معنى الاشتراكية لم يستطع الإجابة، وليبعد الشبهة على نفسه قال للفلاحين هي "مصدر والسلام".

فمن هنا نستنتج أن الجهل يسود كل الطبقات الاجتماعية في القرية.

أما في بان الصبح فلم يتطرق المؤلف إلى ظاهرة الجهل بقدر ما توسع فيه في الرواية لأن الرواية بان الصبح جل أحداثها وقعت في المدينة اما الأحداث القليلة جدا، فصورها في الريف، ومن بينها جهل صالح الرجل الثري وتمسكه بقيم وأعرف بالية.

2- تسلط الرجل على المرأة:

لقد تطرق الكاتب في كلتا الروايتين إلى مسألة تسلط الرجل القروي على المرأة المتمسك بعادات وتقاليد وقيم البدائية ونلمس ذلك دجليا في رواية ريح الجنوب غذ صور ابن هدوقة طبيعة هذا التخلف الرجل الذي يربط بين عرض العائلة وبين رضوخ البنات لبائهن في عدة قضايا مصيرية كالزواج.

وابن القاضي يمثل أحد هؤلاء الآباء الذين يرون أن شرفهم لا يتم إلا بطاعة البنات في قضية الزواج، وهذا ما صرح به عندما، رفضت "نفيسة الزواج" بمالك :"إذ لا استطيع التصرف حتى في ابنتي فلماذا أحيا بين الناس إذن" [1] بمعنى انه لا يقبل لنفسه أن ترفض له أوامر وخصوصا من قبل ابنته، وقد صرح ذلك لزوجته، إذ قال :" أنا قررت أن تتزوج وقراري قضاء" [2] أي إنه الحاكم الوحيد في مصير الفتاة، في نظره ليس لها الحق في رفض أوامر الأب.

فهذا السلوك لدليل على هيمنة الرجل على حياة المرأة، ونجد نموذجا آخر يبرز تسلط شخصية أخرى وهي "رابح" فرغم بساطته وسذاجته إلا أنه لا يختلف عن بقية رجال القرية المتسلطين على النساء.

عن المؤلف في رواية ريح الجنوب سلط الضوء على ثلاثة نماذج لتسلط الرجل على المرأة ومنها سيطرة الرجل على ابنته وعلى زوجته، وكذلك على أمه، كابن القاضي و رابح ما هما غلا نموذجين من المجتمع المتخلف القروي.

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب ، ص92

[2] المصدر نفسه، ص90

أما رواية "بان الصبح" فهي متشابهة مع رواية "ريح الجنوب" في هذه النقطة، إذ أنها عالجت هي كذلك مشكلة تسلط الرجل على الزوجة وعلى البنت وكذلك على الأخت وهذا ما جسدته شخصية "صالح" بدليل ما ورد على لسان ابنته فقالت:" ... أن مع أبي لاحق لي إلا في قول نعم...." [1]

فالبنت لا يمكنها أن تناقش أباها أو تبدي رأيها الشخصي، وأيضا لا يحق لها في الرفض وحتى الأخت عانت تسلط الأخ 5صالح- وذلك أثناء منعها من التنقل من القرية إلى المدينة، ويتضح هذا في وله:" ...نبقى هنا بالقرية..." فلو تلفظ الأب بكلمة أخرى لربما تغير مصير أخته، وهذا دليل على أن كلمة الرجل فوق كل الاعتبارات.

فنفهم مما سبق أن البيئة القروية هي التي أثرت في ساكنيها إذ زرعت في عقولهم التخلف والجهل مما جعل الرجال يتحكمون في المرأة بطريقة لا شرعية.

*وفي الأخير نستنتج أن الكاتب عبد الحميد بن هدوقة، جعل في الرواية الأولى شخصيتين تتقن السلطة، أما في الرواية الثانية فأبرز إلا شخصية واحدة تبرز مدى سيطرته على كل من أخته وزوجته وبالخصوص ابنته.

فهذا التسلط قد يؤدي أحيانا بالرجل القروي إلى تطبيق بعض الأعراف التي لا تنص عليه الشرعية الإسلامية، كما القتل مثلا من أجل العرض أو كما يقول سكان القرية لتطهير الشرف.

لقد سجلت نقطة اختلاف بسيطة وتكمن في أن الرواية الأولى أبرز الكاتب نماذج من التسلط من خلال شخصيات الرواية تتشابه مع النماذج التي برزت في رواية بان الصبح وهما: تسلط الأب على البنت وكذلك الزوجة من طرف ابن القاضي و"صالح" أما الاختلاف في الرواية الأولى تحدث عن تسلط الابن على أمة وجسده رابح مع أمه البكماء وكذلك تسلط الخ على أخته أي تسلط "صالح" على أخته قبل وفاتها.

3-الكسل والخمول:

يعد الكيل والخمول من الظواهر التي تحدث عنها الكاتب في روايته "ريح الجنوب" ففي هذا الصدد أورد على لسان احد شيوخ القرية، هذا القول الذي يبرز مدى كسل

[1] عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح ص66

وخمول الريفيتين :"...إن الناس هنا منذ الاستقلال لم يعد يروقهم أي عمل، كل واحد صار ينتظر أن يمنح شهرية مقابل ما عمله أو ما لم يعمله أثناء الثورة ... إن الناس هنا... كرهوا العمل كرهوا الأرض" [1] إضافة إلى القول الذي يوضح مدى كسل وخمول ساكني القرية ما جاء على لسان "ابن هدوقة" إذ قال:"... إن الناس لا يحبون خدمة الأرض إن المقاهي مكتظة بالناس، ونحن لم نجد مستأجرا واحدا لحصاد فمنذ الاستقلال صار الناس يفضلون كل شيء على خدمة الأرض" [2]

فنستنتج أن ظاهرة الكسل والخمول تعم معظم قرية ريح الجنوب أما قرية بان الصبح فلم نلمس فيها أي مطهر من مظاهر الكسل والخمول.

فرغم دراسة الكاتب لبيئة واحدة – البيئة القروية – إلا أن في بيئة "ريح الجنوب" سجلت فيها ظاهرة الكسل والخمول، أما في بان الصبح القروية فلم يسجل فيها أي موقف يبرز كسل وخمول سكانها بل العكس كانوا في قمة الحيوية والنشاط بدليل أنه عندما استدعي "صالح" أبو نعيمة إلى المدينة من طرف أخيه الشيخ علاوة، فقد وصل إليه في الصباح الباكر، والدليل على ذلك ما أورده الكاتب في روايته بان الصبح إذ قال :"... أبوها هو الذي بكر كعاداته ليعود بها قبل أن ينشر الحر..." [3]

فمعنى هذا القول أن البيئة التي يعيش فيها صالح هي التي أثرت فيه، وبهذا يعد نموذجا للرجل القروي المفعم بالنشاط والحيوية، فقد تطبع على النهوض باكرا لإنجاز كل أعماله قبل منتصف النهار.

الفقر:

هي من المظاهر الاجتماعية التي اهتم بها الكاتب في روايته "ريح الجنوب" فقد وضح بشدة الفقر الذي يعيشه سكان القرية في كثير من صفحات الرواية، وأبرز عدم قدرة السكان على صيانة دورهم وبساتينهم، بالإضافة إلى افتقارهم الشديد للمياه، وفي هذا المقام جاء على لسان الشيخ قويدر:" الماء لا يكفي حتى للشرب..." [4]

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة ،ريح الجنوب، ص44

[2] المصدر نفسه، ص181

[3] عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، ص287.

[4] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص79.

وذكر أيضا أن من مخلفات الفقر الطاغية على القرية عدة أمراض وأوبئة كمرض التيفوس، فذكرت العجوز "رحمة" عن سبب بكم أم رابح فقالت:" ... لم تولد بكماء وإنما ريح التركة (التيفوس) هو سببها هب مرض على القرية في إحدى السنوات العجاف و لم يسلم منه إلا القليل" [1]

فالكاتب لم يقف عند هذا الحد من وصف فقر القرية بل أضاف وصف بيت العجوز "رحمة" وما تملكه فقال:" ...الفراش حصير قديم، والوسادة محشوة بالرقم الفانية والخرف البالية" [2]

فكل ما ذكره ابن هدوقة في روايته "ريح الجنوب" عن الفقر الشديد الذي يعيشه سكان القرية ما هو إلا سبب من أسباب الاستعمار الفرنسي الذي نهب كل ثرواتها إضافة إلى نظام الإقطاعية المتبع أما بالنسبة إلى رواية بان الصبح" فلم يتحدث الكاتب عن هذه التجلية، والسبب في ذلك أنه أطال في الحديث عن المدينة وحلل جل مظاهرها الاجتماعية والنفسية، أما بيئة القرية فلقيت اهتمام قليل من قبله.

نستنتج أن رواية "ريح الجنوب" تغلبت عليها ظاهرة الفقر، وقد نجح الكاتب في وصفها وصفا دقيقا، فالقارئ وهو في مجال قراءة هذه الرواية يحس بمعانات سكان القرية من جراء الفقر، أما في رواية بان الصبح فلم نجد في صفحاتها أي مقطع أو قول خاص بوصف حالة السكان القرويين الفقراء.

العادات و التقاليد و المعتقدات الشعبية :

البيئة القروية تطغى عليها العادات و التقاليد البالية المتوارثة جيل عن جيل ،و التي تعتبر هوية الفرد القروي،فان رواية''ريح الجنوب'' التي تدور كل احداثها في القرية .قد احتضت هذا السلوك الشائع و المتداول بين سكان الريف ،و المتسكعين بعاداتهم و تقاليدهم.

ومن بين التقاليد التي وظفها ابن هدوقة في روايته صناعة الفخار التي امتهنتها العجوز رحمة ،فكل الأواني الفخارية التي يستعملها سكان القرية و ينتفعون بها من صنعها.

---

[1] المصدر نفسه،ص128

[2] المصدر نفسه، ص139.

إضافة الى صناعة الفخار ،تكلم الكاتب عن بعض التقاليد السلوكية كطلقات البارود في مواسم الأفراح ،و تكلم ايضا عن عادة إقامة الحضرة طلبا لنزول المطر .وكذلك اشارالمؤلف الى العادات التي تتمسك بها نساء القرية و هي زيارة المقبرة يوم الجمعة ،و التي تعد بالنسبة اليهن سنة مؤكدة ،كما تفعل العجوز رحمة و خيرة...

اما من بين المعتقات التي يتسبب بها سكان قرية "ريح الجنوب"،انها عندما تتصدق تنفع الميت ،أي عند الاكثار من الاكل يوم الفدية يضاعف ثواب المرحوم و يزيد اجره و يخفف من ذنوبه ،و هناك اعتقاد خاص بوضع الاواني فوق القبور و تجمع الماء فيها ،لتشرب منها الطير فتحتسب كصدقة جارية لفائدة الميت و لتخفيف ذنوبه .

-تعتبر هذه النماذج المذكورة مجرد عينة صغيرة مما ذكر في "ريح الجنوب".اما في رولية "بان الصبح"،فقد تطرق الالكاتب الى المعتقدات الراسخة في ذهن افراد القرية ،و من بينها ،غسل العار بقتل الفتاة المخطئة ،بمعنى يجب على الأب قتل ابنته ن إذا اخطات التصرف ، وإذا لم ينفذ هذه العادة فلن يستطيع أهلها مواجهة سكان القرية .

نستنتج ان البيئة القروية تكسب افرادها بعض العادات والممارسات الإيجابية كصناعة الفخار ...، والتي تعد هذه الإيجابيات قليلة جدا ، وكذلك تكسبهم عادات ومعتقدات سلبية لا يقبلها الشرع كعادة غسل العار بالقتل ، وكل هذا يعبر عن تخلف سكان القرية .

التّراث الشّعبي:

يدخل التّراث الشّعبي ضمن العادات والتّقاليد والمعتقدات الشّعبيّة ،ويضمّ أيضًا السّحر والشّعوذة ،وهذا ما نجده في رواية ريح الجنوب ،فقد سلّط الكاتب الضّوء على هذه الظّاهرة المنبوذة نظرًا لانتشارها في المجتمع و بالخصوص في الأوساط القرويّة ،والّتي أثارت في نفسيّة أفرادها هذه الظّاهرة وذلك راجع لجهلهم وتخلّفهم ،ومن بين الأمثلة الّتي ذكرها "ابن هدوقة" في هذا الصّدد ،وصف الطّريق التّي عولجت بها "نفيسة" عن طريق السّحر والشّعوذة ،والقول التّالي يوضّح ذلك:"...أخرج الشّيخ حمّودة كيسًا صغيرًا به عقاقير مختلفة لم تعرف منها خيرة إلّا الجاوي ،ويوضع جزء منها في النّار وأحذ الورقة التّي بها صورة الهكل البشري ،فوضعها على جبين نفيسة وامر الأم أن تمسكها ورفع الورقة

الثّانية التّي بها صورة الدّئرة وشرع في القراءة ..."إلى أن يقول في موضع آخر "...شرع في العزيمة ،أين ابن الأحمر ،أين ابن الأزرق،أين ابن الأكحل آتوني جميعًا بجنودكم وخيولكم ،ومحلّاتكم ...وأخذت كلماته تمحي في تميمة لايفهمها أحد ،وبين الفينة والأخرى يضع البخور في النّار "1 .

فهذا القول لدليل على انتشار ظاهرة السّحر والشّعوذة في المحيط القروي بنسبة كبيرة ،وهذا دليل على تخلّف البيئة التّي ترعرع فيها،ونلمس هذا التخلّف في استغنائهم عن الطّبيب، والتمسّك بالخرافات التي تدخل في شرك الله ،و"الشيخ حمودة" خير مثال على من احترف ميدان الشّعوذة .

منجد أيضا من بين التّراث الشعبي ،الأساطير والتي كانت لها مكانًا مهمّا في رواية "ريح الجنوب"،ومن بين الأساطير التي تكلّم عنها ابن هدوقة أسطورة الحاج حمودة:"الذي باع رأسه من أجل سقوط المطر في القرية ...الذي رجا الأولياءواستصرخهم،ولعق المناجل و لم يترل المطر ،فاضطرّ إلى بيع رأسه فداءا للقرية،واستسقاءا للماء"2 .فالبيئة الرّيفية تدفع بأفرادها للّجوء بالإيمان بالأساطير والتمسك بها.

1 عبد الحميد بن هدوقة،ريح الجنوب ،ص ص،212ـ 213

2 المصدر نفسه،ص ص130،131

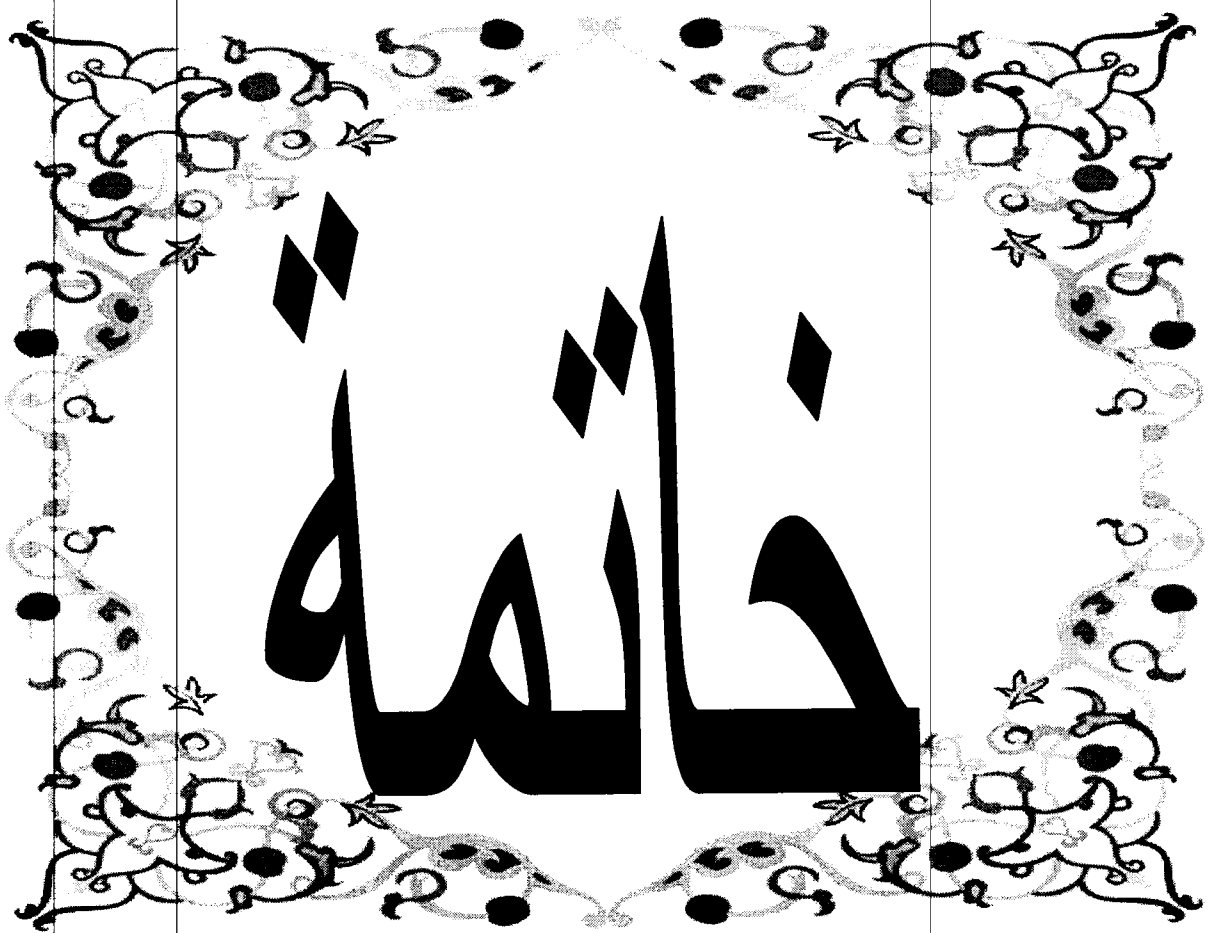

خاتمة

الخاتمـــة:

يعدّ "عبد الحميد بن هدّوقة" من بين المؤسّسين للرّواية العربيّة في الجزائر، وبهذا احتل مكانة مهمّة بين روائيّي الجزائر العرب، فكانت كتاباته تمتاز بالصّدق، حيث أنّه أثار مـــن خلال روايتيه"ريح الجنوب" و"بان الصّبح"هموم الآخرين ومـــشاكل الجزائـــريّين خاصّـــة القرويّين منهم، حتّى أصبح يُلقّب "بالكاتب القروي".

ومن خلال دراسة البنية القرويّة للرّواية توصّلنا إلى جملة من النّتائج نوجزها في النّقاط التّالية:

أوّلا: "عبد الحميد بن هدّوقة" قدّم إسهامًا رفيعا في تطوير مختلف الأجناس الأدبيّـــة بالعربيّة، وقد ارتكز نصّه على فضاء القرية الّتي تتجسّد فيها مجموعة من القيّم والتّناقضات، حيث إنّها تعبّر عن الصّراع الدّاخلي بين الطّبقة المثقّفة وبين العادات والتّقاليد الموروثة.

ثانيًا: إن التجليّات في روايتي "ريح الجنوب"و"بان الصّبح" كثرت وتنوّعت، فنجـــد النّفسيّة منها قد كشفت عن وضع معيّن في القرية وعن شعور معيّن سلبي كالحزن واليأس والضّجر والعنف...،ونجد كذلك الفكريّة والأخلاقيّة كالنّظرة الدّونيّة للمرأة والتخلّف... أمّا التجليّات الاجتماعيّة فقد دلّت على بعض التّقاليد والطّقوس المتّبعة في القرية، وذلك عن طريق تفكير سكّانه، كما أنّها عبّرت على فترات لزمن الإقطاعيّة والاحتلال وغيرها.

ثالثا: شكّل "ابن هدّوقة" صورة عن واقع القرية، هذه القرية الّتي تعدّ نموذجا حيًّا من قرى الجزائر بعد تسع سنوات من الاستقلال لازالت تعاني من الحرمـــان يلفّهـــا الجهـــل والعادات والتّقاليد الباليّة الّتي لم تُعدّ صالحة للنّهوض بالقرية والخروج بها من سيّاج السّاعة المتوقّفة إلى رحاب النّشاط والحركيّة والعمل.

رابعا: وضعتنا الرّواية أمام صورة الرّيف البائس الّذي يحيا حياة بدائيّة بسيطة تخلُو منه كلّ المظاهر الحضَرِيّة، وقد وظّف الكاتب المكان بشكل جيّد، إذ جعل صورته الخارجيّـــة تنطبق على سكّان القرية، فهم فلاّحون بسطاء ورُعاة يعانون من قساوة الطّبيعة، وشـــظف

العيش متمسّكين بالماضي رافضين كلّ سلوك جديد مثل "عابد بن القاضي"في "ريح الجنوب"و"صالح"في "بان الصبح".

خامسا: من خلال عنصر الرّيف نجد أنّ القرية ـــ في الرّوايتين ـــ تكاد تكون قريبة جدًّا من الواقع لأنّها توحي بيأس سكّانها وحرمانهم وتنعدم فيها الخدمات الاجتماعيّة الضّروريّة للسكّان، كما يغيب فيها النّشاطات الاقتصاديّة الّتي من شأنها أن تمتصّ البطالة المتفشيّة بين أهالي القرية، فهي لا تزال محافظة على موروثاتها المختلفة بايجابيّاتها وسلبيّاتها.

سادسا: حاول الكاتب تصوير ـــ في كلتا الروايتين ـــ شخصيّات منتميّة إلى واقع جغرافي محدّد هو واقع الرّيف الجزائري، الّذي ولد فيه، ويطمح أن يراه يثور على واقعه، واختار لشخصيّاته أسماء منسجمة مع هذا الواقع الجغرافي، إنّها شخصيّات محافظة على عادات القرية وتقاليدها، تعيش في مستوى اجتماعي وثقافي متدنّي جدًّا وبسيط، ومازالت هده الشّخصيّات تحيا على ذِكرى الماضي وتخاف من المستقبل.

سابعا: رصد لنا الكاتب لغة ريفيّة تعكس بساطة أهل القرية، تخلُو من التّعقيدات اللّفظية وثريّة بالموروث الشّعبي والألفاظ المرتبطة بحياة أهل القرية كالأمثال الشّعبية والشّعر الشّعبي، فهي لغة منبثقة في روح الشّخصيّة الرّيفيّة وتفكيرها، تقترب من واقع الحياة الرّيفية، والقيّم الاجتماعيّة والثّقافيّة السّائدة فيه.

ثامنا: من خلال رصد "ابن هدّوقة" الوسائل المستخدمة في القرية ـــ خصوصا في قرية ريح الجنوب ـــ من أثاث وملابس وأواني شكل صورة نموذجيّة عن القرية الّتي تُعاني البُؤس والحرمان وتفتقر لوسائل الرّفاهيّة والعيش الكريم.

تاسعا: إنّ المجتمع القروي لروايتي "ريح الجنوب"و"بان الصّبح" له إيجابيّات تتمثّل في أنّ هؤلاء النّاس مازالوا يحافظون على القيّم والعادات والتّقاليد والعلاقات الاجتماعيّة بين أفراده، فهو مجتمع متعاون فيما بينه، ويهتّم كلّ واحد بشؤون الغير من أجل مساعدته، أمّا السّلبيات فتتمثّل في أنّه مجتمع لا يزال يعيش التخلّف والجهل، وعدم رغبته في التطلّع فيما هو جديد من تقدّم علمي وتكنولوجي.

عاشـــرا: من خلال إجراء الموازنة بين الرّوايتين سجّلنا بعض نقاط التّشابه والاختلاف بينهمـــا،وتتجلّى نقاط التّشابه في أنّ بعض الشّخصيّات متمـــسّكة بعـــادات وتقاليـــد لا أخلاقيّة وكذلك انتشار ظاهرة التخلّف في الوسط الذّين يعيشون فيه، أمّا نقاط الاختلاف فهي أنّ البيئة القرويّة الأولى ـــ ريح الجنوب ـــ تضمّنت عدّة تجليّات لايمكن إحصاءها أمّا في البيئة الثّانيّة ـــ بان الصّبح ـــ فهي قليلة جدّا نظرا لوقوع جلّ الأحداث في المدينة أمّـــا الأحداث المكمّلة فوقعت في القرية التّي كانت موضوع دراستنا.

أحدى عشـــرة: استحضر المؤلّف في روايتيه حدثَين مهمّين ومميّزين في تاريخ الجزائر المستقلّة ،وهما قانون الثّـــورة الزّراعيّـــة الـــذّي صـــدر في الـــسّبعينات (ورد في ريـــح الجنوب)،ومناقشة الميثاق الوطني(ورد في بان الصبح)،فالحدث الأوّل حدّد طريـــق تطـــوّر الاشتراكيّة بدل الرّأسماليّة،أمّا الحدث الثّاني فأبرز التطوّر اللارأسمالي للبلاد،وأرسى أســـاس دستور الجمهوريّة الجزائريّة.

وبهذه الأفكار الملخّصة نسبيًّا لمضمون بحثنا نختم حديثنا عن قرية "بـــن هدوقـــة" في روايتي "ريح الجنوب"و"بان الصّبح"، ولا ندّعي أنّنا وفّينا هذا البحث حقّه، فالموضوع يبقى واسعًا وشاسعًا على الرّغم من الدّراسات الّتي ألّفت حوله.

قائمة المصادر و المراجع

- قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1. ادريس بودية:الرّؤيـــة والبنيـــة في روايـــات الطـــاهر وطار،منـــشورات جامعـــة منتوري،قسنطينة،ط1 2000.
2. أندريد لالاند: موسوعة لالاند الفلسفيّة، معجم المصطلحات الفلـــسفيّة، النّقديّـــة والتّقنيّة، عويدات للنّشر والطّباعة، بيروت، لبنان، ط 2008.
3. بشير بويجرة محمد: الشّخصية في الرّوايـــة الجزائريّـــة، 1970، 1983، ديـــوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 05، 1986
4. جليل وديع شكور:العنف والجريمة،الدار العربية للعلوم،بيروت،ط1،1997
5. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة والاتينيّـــة، ج2، الشّركة العالميّة للكتب، ش.م.ل، دار الكتاب العالمي، 1994م، 1414.
6. واسيني الأعرج: الأصول التّاريخيّة للواقعيّة الاشتراكية في الأدب الرّوائي الجزائـــري، مؤسّسة دار الكتاب الحديث، ط1، بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م
7. واسّيني الأعرج: اتّجاهات الرّواية العربيّة في الجزائر، بحـــث في الأصـــول التّاريخيّـــة والجماليّة للرّواية الجزائرية، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، د.ط، 1986
8. واسيني الأعرج: النّزوع الواقعي الانتقادي في الرّواية الجزائريّة، دراســـة منـــشورات اتّحاد الكتّاب العرب، د.ط، 1985م.
9. حامد عبد السّلام زهران: علم النّفس الاجتماعي، عالم الكتـــب، القـــاهرة، ط5، 1984.
10. الحبيب الجنحاني:ابن خلدون والفكر العربي المعاصر،الدار العربية للكتاب،1980.

11. حورية ديب: المعتقدات الشّعبيّة في النّص الرّوائي الجزائري، دراسة تحليليّة لبعض الرّوايات، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2000-2001ن مخطوط.
12. حسن بحراوي: بنية الشكل الرّوائي(الفضاء، الزمن،الشّخصيّة)المركز الثّقافي العربي،الدار البيضاء(المغرب)،ط1 1990،
13. الطّاهر روابنيّة: اتّجاهات الرّواية العربيّة في بلدان المغرب العربي، (تونس، الجزائر، المغرب)، 1954، 1975، معهد اللّغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، د.ط، 1985، 1986، مخطوط.
14. محمد حسن عبد الله:الرّيف في الرّواية العربيّة ،سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة،يصدر عن المجلس الوطني للثّقافة والفنون والأدب،صدرت السلسلة في شعبان1998 ،العدد 143،نوفمبر1989
15. محمد مصايف: الرّواية الجزائريّة الحديثة بين الواقعيّة والالتزام، الدّار العربيّة للكتاب، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، د.ط، الجزائر، 1983.
16. محمد صالح الجابري:الأدب الجزائري المعاصر،الجائزة المغاربيّة للثقافة،دار الجيل،ط1 2005م/1426هـ
17. محمد توفيق المالوطي:المنهج الاسلامي في دراسة المجتمع،دار الشروق،جدة،1985.
18. ابن منظور: لسان العرب، (جزء ف)، دار صادر، بيروت، ط4، 2005
19. معجم العلوم الاجتماعية،تأليف نخبة من الأساتذة،الهيأة المصرية للكتاب، القاهرة
20. مصطفى الخشّاب:علم الاجتماع ومدارسه،وزارة الثقافة المصرية،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر1987.
21. مصطفى فاسي: دراسات في الرّواية الجزائريّة، كليّة الآداب، دار القصبة للنّشر، حيدرة، الجزائر، دت.
22. سيدي محمد بن مالك: الواقع والممكن في روايات عبد الحميد بن هدّوقة، دراسة نصيّة، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2007-2008، مخطوط

23. سليم تيقه:الريف في الرواية الجزائرية،دراسة تحليلية مقارنة،كلية الأدب والعلوم الاجتماعية،جامعة الحاج لخضر،باتنة،2010/2009(مخطوط)

24. سمير روحي الفيصل: معجم الرّوائيّين العرب، جرّوس بيرس، طرابلس، لبنان، ط1، 1415/1995هـ.

25. سعيد يقطين:انفتاح النّص الرّوائي،النّص والسيّاق، المركز الثّقافي العربي،الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط2،2000

26. سرير الهام:توظيف التّراث الشّعبي في الرواية الجزائريّة ـ دراسة لهجيّة ـ رسالة ماجستير،تلمسان،2001(مخطوط).

27. عبد الحميد بن هدوقة:بان الصّبح، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ط2، 1984.

28. عبد الحميد بن هدّوقة: رواية ريح الجنوب، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ط5، 1989.

29. عبد الحميد بن هدّوقة: كتاب الملتقى الرّابع، بحوث وأعمال، وزارة الاتّصال والثّقافة، مديرية الثّقافة لولاية برج بوعريريج، دار هومة، ط1، 2001.

30. عبد الحميد بوقصاص:النمادج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري،ديوان المطبوعات الجزائرية،د.ط، د.ت.

31. عبد الحميد بورايو: منطق السّرد، دراسات في القصّة الجزائريّة الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، السّاحة المركزيّة، بن عكنون، الجزائر، 9-1994م.

32. عبد الرحمان بن خلدون:المقدمة،دارالكتب العلمية، بيروت،ط1،1993.

33. عدناني رزيقة: الكافي في الفلسفة، دار الرّيحانة للكتاب، ط3، طبعة جديدة منقّحة، 2004.

34. علي بن هدية وآخرون:القاموس المدرسي المرتب ألف بائي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب.

35. عمر بن قينة: دراسات في القصّة الجزائريّة (القصيرة والطّويلة)، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، 3 شارع زيروت يوسف، الجزائر، 1986، القاهرة، ط5، 1984.

36. عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعيّة، السّاحة المركزيّة، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 05-1955م.
37. عمر وعيلان:الايديولوجيا وبنية الخطاب الرّوائي،منشورات جامعة منتوري،قسنطينة 2001.
38. عمر عبد الواحد: شّعرية تحليل الخطاب السّردي في مقامات الحريري، دار الهدى للنّشر، ط1، 2003.
39. رولان دورون وفرانسوازبارو: موسوعة علم النّفس، المجلّد 2، عويدات للنّشر والطّباعة، بيروت، لبنان، تعريب، فؤاد شاهين، رئيس قسم علم النّفس في الجامعة اللّبنانيّة، ط1، 1997.
40. شايف عكاشة: مدخل إلى عالم الرّواية الجزائريّة، قراءة مفتاحيّة، منهج تطبيقي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، السّاحة المركزيّة، بن عكنون، الجزائر، 04، 1990م

- **المجلات والجرائد**

1. مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، العدد 7، جوان 2005.
2. مجلّة الرّيف في الرّواية العربيّة لمحمد حسين عبد الله، سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة، يصدر عن المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، صدرت السّلسلة في شعبان 1998، العدد 143، نوفمبر 1989.
3. جريدة الشّعب، العدد 115، 5 مارس 2008 واعتمدن في نشر فصول من هذه الرّواية، النّسخة الصّادرة عن المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، بطبعتها الخامسة 1989، في إطار برنامج كتابي في جريدة صادر عن منظمة اليونسكو.
4. مجلّة اللّغة والأدب،اصدار معهد اللّغة العربيّة وآدابها،جامعة الجزائر،العدد 13،ديسمبر1998

5. مجلّة علميّة محكمة: ـــ بحوث سيميائيّة ـــ يصدرها مخبر عادات وأشكال التّعبير الشّعبي بالجزائر،جامعة أبو بكر بلقايد ـــ تلمسان ـــومركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة ـــ الجزائر ـــ العددان الخامس والسادس،ماي 2009.

6.

- موقع الإنترنيت:

www.google.com:http://www. alnor .col /ibp/index. php?...pid

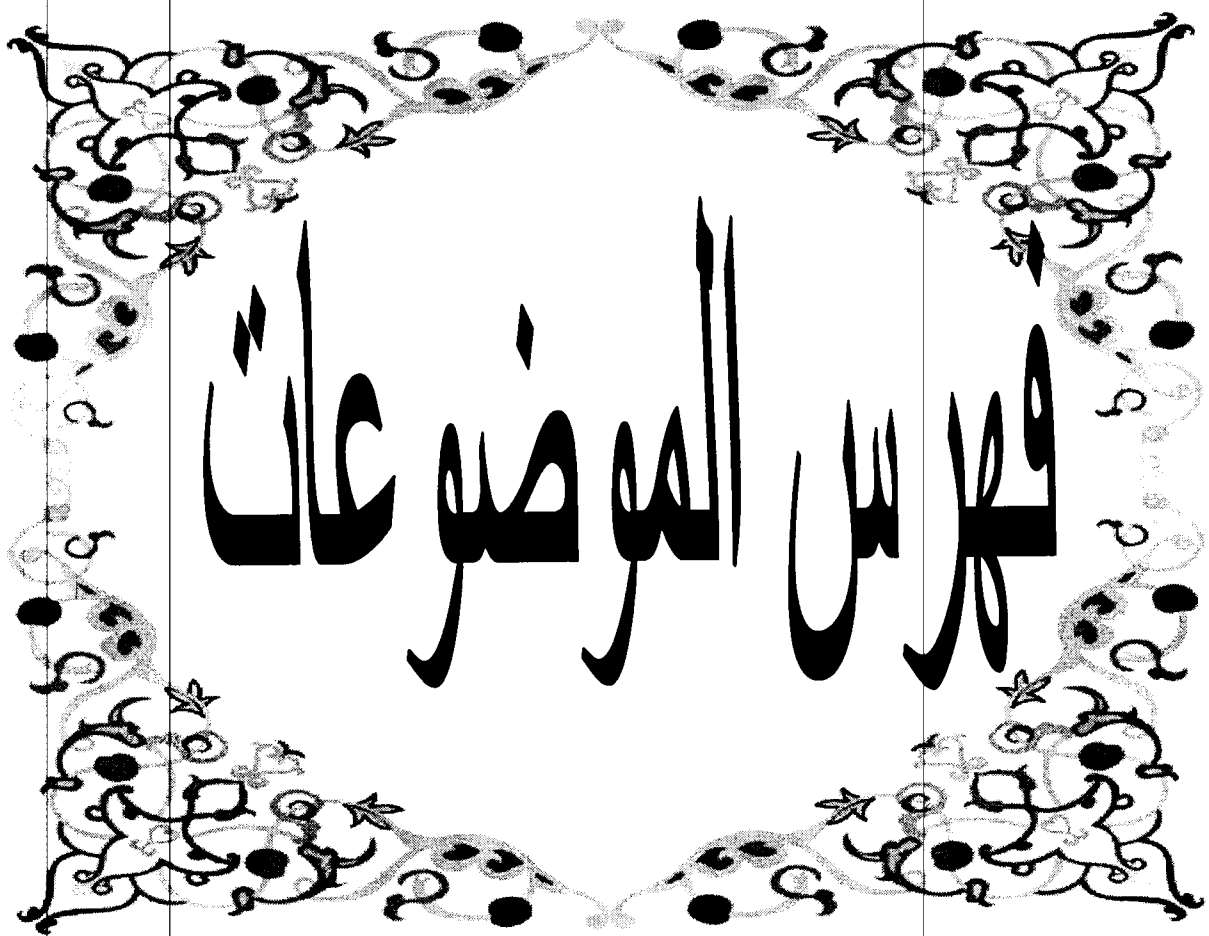

فهرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعـــات

الموضوع

دعاء

كلمة شكر وتقدير

إهداء

مقدمة..... أ

المدخـل:المسار الروائي لعبد الحميد بن هدوقة.....1.

الفصل الأول: ابن هدوقة وروايتيه"ريح الجنوب"و"بان الصبح"

المبحث الأول: ترجمة لسيرة عبد الحميد بن هدّوقة..... 08

المبحث الثاني: روايـــــة ريـــــح الجنـــــوب.....13

1 ــ تقديم عام للرواية.....13

أ ــ التعريف بالرواية.....13

ب ــالشخصيـــــــات..... 15

2 ــ ملخّـــص الرواية.....22

المبحث الثالث:رواية بان الصبح.....24.

1 ــ تقديم عام للرواية. 24

أ ــ التعريف بالرواية.....24

ب ــالشخصيـــــــات.....26

2 ــ ملخص الرواية.....31

الفصل الثاني: تجليات البيئة القرويّة في الروايتين

تمهيـــــد:المكان الريفـــــي.....35

المبحث الأول: تجليات البيئة القروية في رواية "ريح الجنوب".....46.

1. التجليات الفكرية والأخلاقية.....46

- النظرة الدّونية للمرأة.....46
- التعصّب.....50
- االجود والكرم.....52
- اللامبالات.....55

- التخلف.....58
2. التجليات النفسية..... 60
- النفسية المحطمة.....63
- الحزن.....63
- المعاناة.....65
- اليأس.....69
- العزلة والانطواء.....71
- الضّجر.....74
- الصّدمة النفسية.....77
- التفاءل.....79

المبحث الثاني: تجليات بيئة القرية في رواية "ريح الجنوب".....82
- تسلط الرجل على المرأة.....82
- الجهل.....85
- الفقر.....90
- الكسل والخمول.....92
- العادات والتقاليد والمعتقدات .....94.
  أ- العـــادات و التقاليـد.....94
  ب - المعتقدات الشعبية.....97.
- التراث الشعبي.....103
  أ - المعتقدات الشعبية.....103
  ب - السحر والشعودة.....103
  ج - الأسطورة.....105
  د - الفنون الشعبية.....107
  - ✓ الأمثال الشعبية.....107
  - ✓ الحكم والألغاز.....109
  - ✓ الموسيقى.....111
  - ✓ الشعر الشعبي.....113
  - ✓ القصائد الدينية.....114
  - ✓ الطب الشعبي.....116

المبحث الثاني: تجليات البيئة القروية في رواية "بان الصبح".....118

1 - التجليات الفكرية والأخلاقية 118
- التخلف.....118

2 ـ التجليات النفسية.....119
- الحزن.....120.
- التّفاؤل.....120.
- العنف.....121
3-التجليات الإجتماعية: 123

الفصل الثالث: الموازنــة بين الرّوايتين

المبحث الأوّل:التجليّات الفكريّة والأخلاقيّة.....125
- النظرة الدّونيّة للمرأة.....125
- اللاّمالاة.....126
- التعصّب.....127
- الجود والكرم.....127
- التخلّف.....129
-

المبحث الثّاني:التجليّات النّفسيّة
- النّفسيّة المحطّمة.....130
- الحزن.....132
- المعاناة.....133
- اليأس.....134
- العزلة والانطواء.....135
- الضّجر.....136
- الصّدمة النّفسيّة.....136
- التّفاؤل.....138
- العنف.....139

المبحث الثّالث:التجليّات الاجتماعيّة.
- الجهل.....140
- تسلّط الرّجل على المرأة.....141
- الكسل والخمول.....142
- الفقر.....143

- العادات والتّقاليد والمعتقدات.....144
- التّراث الشّعبي.....145

خاتمة 147

قائمة المصادر والمراجع.....150

فهرس الموضوعات 155